جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مصـر والحجـاز

من خلال رحلة ابن ناصر الدرعي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

أحمد كرعي

إشراف الأستاذ:

د/ توفيق دحماني

لجنـة المناقشة:

أ.د/ مختار حساني ..... رئيسا

د/ توفيق دحماني ..... مقررا

د/ أرزقي شويتام ..... عضوا

د/صادق دهاش ..... عضوا

السنة الجامعية: 2014–2015

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مصر والحجاز

من خلال رحلة ابن ناصر الدرعي

ملخص لمذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

أحمد كرعي

إشراف الأستاذ:

د/ توفيق دحماني

السنة الجامعية: 2014-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

-

إهـــــداء

- إلى والدي الكريمين، محمد وفطيمة أطال الله عمرهما.
- إلى أولادي كل باسمه وإلى أمهم.
- إلى كل غيور عن الدين الإسلامي واللغة العربية.
- إلى كل إنسان يحب العدل ويعشق الحرية ويحترم الإنسانية.
- إلى كل وطني مخلص، يتفانى في خدمة أبناء وطنه ودينه، بل في خدمة بني البشر جميعا دون استثناء.
- إلى أرواح شهداء الجزائر الذين ضحوا وماتوا مفدين برقابهم من أجل إسعادنا وإنعامنا، نسأل الله لهم تعالى الفردوس.
- إلى كل من يسهر من أجل العلم قصد إسعاد البشرية.
- إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع راجيا من الله سبحانه وتعالى إفادة القراء وتنويرهم وإذابة جليد الجهل وإزاحة غبار الأمية.

شكر وتقدير

بعد تشكراتي لخالقي وخالق الكون الله سبحانه وتعالى، والقائل في محكم تنزيله: "**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**" (سورة إبراهيم [الآية 07])

أتوجه بادئ ذي بدء بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير للدكتور توفيق دحماني المشرف على هذا العمل العلمي، والذي لم يبخل عني بوقته الثمين وتوجيهه السديد وتقويمه المفيد، والذي أعانني كثيرا وصوّب الأخطاء اللغوية والتقنية جزاه الله خيرا.

وإلى جميع أساتذتي في السنة الأولى ماجستير، دفعة 2008 -2009، كل باسمه ومنهم:

★ المرحوم الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله (شيخ المؤرخين).

كما لا يفوتني أن أشكر صديقي وخلي محمد مسعدي –مدير معهد تكوين الإطارات الدينية بالتلاغمة، على ما قدمه لي من توجيهات، وفتحه لي لمكتبة المعهد (جزاه الله خيرا).

ولا أنسى تلميذي حسن عزوزي، شيخ زاوية أولاد راشد بالبويرة، وتلميذه خادم الزاوية أيوب حفظهما الله وزادهما علما وفهما وصحة وسعادة،

كما أخلص الشكر لصديقي وأخي، برغل محمد، وكذلك تلميذي هدفي الطاهر، اللذين أعاناني في الترجمة من اللغتين الفرنسية والانجليزية إلى اللغة العربية .

وكذلك أخي وصديقي مفتش اللغة العربية للتعليم الثانوي، الأستاذ بن حسان عبد الحميد، والذي قام بضم وتقييد أوراق هذه الرسالة بارك الله فيه.

وأخيرا أقدم جزيل الشكر للأخت السيدة مقرح مسعودة (أم عصام)،

التي قامت بكتابة هذا البحث على جهاز الكومبيوتر.

وفق الله الجميع لخدمة العلم والعلماء وزادنا الخلق والفهم.

المقدمة:

المقدمة:

عرف التراث الجغرافي العربي أنواعا عدة من أدب الرحلة، وتميز بعضها عن بعض بسبب الدافع لها، ومنها رحلات الحج أو الرحلات الحجازية التي تميز بها المغاربة والأندلسيون وتركوا تراثا غنيا غاية في الأهمية ودقة الوصف والإفادات الفريدة، وهناك الرحلات الجغرافية المرتبطة باكتشاف المكان الآخر، وتسجيل أوصاف المدن والجبال والأنهار، وتقدير المسافات وهناك المذكرات الجغرافية التي سجلها السفراء في بعثاتهم، وتميزوا بالملاحظة الذكية، التي تطرقت لجوانب مفيدة عمّا كتبوا عنه، أرضا وشعوبا وعادات.

والجامع بين أنواع الرحلات كلها التطرق إلى المكان والإنسان، ووصف الأرض وما عليها وما تنبته من نبت أو ذكر المتميزين من العلماء والأعيان الذين التقى بهم الرحالة في تلك الأصقاع.

ويأتي في مقدمة المدن المقصودة للزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة، لما لهما من القدسية والمكانة الدينية والعلمية على امتداد التاريخ الإسلامي، باعتبارهما مقصد الحاج لأداء مناسكه، وفريضة يؤديها المسلمون من كافة الأصقاع متحملين عناء السفر وركوب الأخطار.

كان الرحالة المغاربة الذين يتوجهون نحو الحجاز (الحرمين الشريفين) يمرون قاصدين الأزهر الشريف للنهل من العلم باعتباره منارة للعلم والمعرفة، وموطنا للراحة كونه يتوسط الطريق نحو الحرمين، كما كانوا يمرون كذلك على القيروان، وتونس وطرابلس الغرب، ويعرجون كذلك على المسجد الأقصى في القدس، وأحيانا زيارة كل من حاضرتي دمشق وبغداد.

ومن أشهر الرحالة الذين وقع اختياري على القيام بالبحث حوله، الرحالة المغربي المعروف بسيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المغربي، صاحب كتاب"الرحلة الناصرية"خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي.

وقد اتفقت مع أستاذي المشرف أن يكون موضوع دراستي **"مصر والحجاز من خلال الرحلة الناصرية"**، وفعلا قد قمت بإعداد البحث فتحصلت على نسختين من الرحلة من المكتبة الوطنية بالحامة، إحداهما مؤرخة سنة (1205هـ/ 1791م)، والأخرى سنة (1213هـ/ 1798م)

وحاولت قراءتهما بتؤدة، فوجدت أن الرحالة الدرعي قد مكث في القاهرة ردحا من الزمن، ثم ارتحل إلى مكة وزار المدينة المنورة، لأداء مناسك الحج والعمرة ثم رجع ومكث في الإسكندرية كذلك بعض الوقت ولذلك ركزت في بحثي مصر (**القاهرة، الإسكندرية**) والحجاز (مكة والمدينة).

أما أسباب اختياري لهذا الموضوع فيمكن تحديدها في ما يلي:

أولا: حبي للتراث العربي المخطوط والمنقوش وآثاره الباقية منذ القديم إلى يومنا هذا، لأن الاهتمام بالتراث هو عنوان التمسك بالأصالة والقيم، وتمجيد السلف الصالح.

باعتبار فكرنا امتداد لفكر زماننا القديم، كما أن التراث هو القاسم المشترك بين مختلف الفئات والمذاهب والشرائح الاجتماعية، فكلما كان للمجتمع امتداد عميق وجذور سحيقة، كلما كان له قيمة واعتبار.

فالمجتمعات الإسلامية كالأشجار ذات الجذور العميقة والفروع الباسقة، لا تحركها أعتى الرياح ولا تقلعها من جذورها أقوى الهزات، والحمد لله أن التراث العربي الإسلامي زاخر بالأمجاد طافح بالعلماء والأجداد، غني بالحضارة منذ الآماد إلى يوم التعداد.

وإذا كان التراث مرآة المجتمع تعكس أحواله، فإن الخوض فيه صعب المرام، إذ لا يعرف قيمة التراث إلا الأصيل ولا يعرف قدر الفضل إلا الأفاضل وإبراز صورة البلد منوط بالباحثين وحماية التراث واجب على جميع الدارسين.

ثانيا: سبق لي البحث في السنة النظرية في الماجستير أن تناولت عرضا بعنوان "التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي فاستفدت من هذا العرض وخرجت بتصورات تاريخية تخص مجال العلاقات الثقافية بما فيها الرحلات وآثارها، وكذا ملامح الوضع السياسي العام في بلاد المشرق والمغرب العربيين خلال (القرن 12هـ/ 18م) وطبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية خلال هذا القرن، ولذلك كان هذا العرض كأرضية وأساس انطلقت منه للقيام ببحثي المتواضع حول الرحلة الناصرية.

ثالثا: توجيه الأستاذ المشرف وكذلك الدكتور حساني مختار إلى دراسة مخطوط الرحلة الناصرية والمحفوظ في المكتبة الوطنية الجزائرية في نسختين كما سبقت الإشارة، فبحثت عن من سبق وأن درسه أو حققه فلم أجده محققا ولا مطبوعا ولا مدروسا، فترددت في البداية ولكن إلحاح المشرف وتشجيعه وكذا حبي للمغامرة في البحث التراثي تحشمت عناء اختيار هذا الموضوع راجيا من الله أن يعينني على إتمامه وأن يوفقني على إخراجه.

والإشكالية التي يمكن طرحها، هل للرحلات فوائد تاريخية أو مجرد وصف لمشاهد دوّنها الرحالة مر بها في طريقه؟

فهناك من يرى أن الرحلة عند المسلمين هي مجرد أحداث دونها الرحالة من أجل التسلية وكتابة قصة حياته، وهناك من يرى أن الرحلات تحتوي على رصيد معرفي مهم يحتوي على ما تعلق بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإسلامية.

وقد تأكدت من خلال تصفحي للرحلة الناصرية أنها تحتوي على رصيد شمل جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية في مصر، وفي الحجاز وفي جميع الأماكن التي مرّ بها الرحالة احمد بن محمد الدرعي من المغرب " الدرعية "إلى الحجاز (المدينة المنورة).

لقد شغل تيار العلاقات المشرقية_المغربية في العصور الوسطى، ذلك التيار الذي حمل من المشرق العربي والإسلامي إلى المغرب الإفريقي والأندلسي رجالا وسلعا وفكرا أذهان الباحثين المعاصرين وأقلامهم، وقد أكد هؤلاء الباحثون بأن تاريخ المغرب قد تأثر خلال تلك الحقبة تأثرا عميقا بشريا وحضاريا بالرفد المشرقي، فإسبانيا استوردت من المشرق، كما فعلت قرطاجنة ومرسيليا في العصور القديمة، كل زادها الثقافي: شعراءها وأطباءها، ومعلميها وفلاسفتها.

بل أن هذا المغرب حتى عندما تخلص من السيطرة السياسية المشرقية واستقل بشؤونه فإن الزعامة السياسية فيه كانت بيد المشارقة، فالأمويون في الأندلس وابن رستم، وإدريس بن عبد الله وعبيد الله المهدي كانوا كلهم من مهاجري المشرق فقد نجحوا بسب أصلهم المشرقي، وانتساب

بعضهم بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم من تزعم قبيلة أو جماعة مغربية من المشرق فإنهم ظلوا يرنون بأبصارهم وأفكارهم إلى ذلك المشرق، فالرغبة في تجديد الإسلام التي حركت أول المرابطين، تولدت من رحلة إلى المشرق، وكوّن ابن تومرت عقيدته أثناء إقامته فيه. [1]

ولكن، إذا كان التاريخ العربي المعاصر قد فتح باب البحث في ذلك التيار واسعا، فان التاريخ الحديث لا يزال متلكئا حوله، ولا يزال السؤال الأول الكبير المطروح في هذا المجال وهو: هل كان للمغرب العربي الإسلامي وجود في المشرق العربي المتوسط في العصر الحديث؟ حائرا دون جواب واضح أكان فيما يخص الوجود البشري وما يحمله من صلات وعلاقات أو الوجود المعنوي في أفكار المشارقة وخواطرهم؟ وأن موضوع الرحلات لم يكن جديدا على المغاربة، وهو بالتأكيد لم يكن طارئا على العرب بشكل عام، فقد مارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها قبل الإسلام، لكن ظهور الدين الإسلامي وانتشاره وسع من آفاق الرحلة، وزاد من دوافعها، حتى بلغت أوجها.

وقد عبر العلامة عبد الرحمن بن خلدون، في هذا الإطار بقوله: "**ثم كانت الرحلة إلى المشرق لاجتلاء أنواره، وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره، والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره، فأفدت ما نقص من أخبار ملوك العجم من تلك الديار ودول الترك فيما ملكوه من الأقطار وأتبعت بها ما كتبته في تلك الأسطار**". [2]

إن الوجود البشري في المغرب كان قائما في المشرق العربي المتوسط خلال العصر الحديث وإن حركة الانتقال من المغرب إلى المشرق التي كانت ناشطة في العصور الوسطى لم تنقطع أو تتوقف بل ظلت تتبع مسراها السابق.

ومن العوامل الدافعة لهذا الانتقال، ثوابت لا تزال قائمة حتى ساعتنا هذه.

---

[1] – ليلى الصباغ: "**الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث**"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 7، 8، جانفي، 1977، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل،، تونس، ديسمبر، 1977، ص، 78.

[2] – **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص 7.

أولها – العوامل الدينية: فمنذ الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب غدا المشرق العربي قبلة أنظار أهله ومهوى أفئدتهم بسبب الحج وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والقدس الشريف.

ثانيها– العوامل الجغرافية الطبيعية: إن التشابه في الطبيعة والمناخ بين الضفتين، تجعل المغربي لا يشعر بالوحدة والغربة، كما لا يشعر بها عادة أي مهاجر آخر من بقعة إلى أخرى، في حوض البحر الأبيض المتوسط. وقد أشار عديد من الرحالة المغاربة في العصور الإسلامية السابقة إلى هذه الناحية وأبرزها عندما قال أحمد المقري: "**وقد تذكرت بلادي النائية بذلك المرأى الشامي، وعند رؤيتي لتلك الأقطار الجليلة الأوصاف العظيمة الأخطار تفاءلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطان، إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والازدهار**".[1]

ثالثها – العوامل البشرية والعرفية: توافق المناخ مع الإنسان ووحدة في العقيدة ولو اختلف المذهب أو اللغة, والتقارب في كثير من العادات والتقاليد.

رابعها– عامل حب أهل المغرب للعلم: إن حب أهل المغرب للعلم وحرصهم على استيفائه هو من العوامل شبه الثابتة في حركة الهجرة المغربية المشرقية خلال العصر الوسيط والحديث بل من العسير في الواقع فهم هذا العامل الفكري عن العوامل الدينية السالفة لتلاحمها، فطلب العلم فريضة على كل مسلم كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمشرق بصفته مبعث الرسالة، ومنطلق القرآن ومهد العربية، كان بالنسبة إليهم موطنهم الأول، فالقبيلة التي إليها تيمم وجوههم، وبها تتعلق أفكارهم، ولا سيما في ميدان العلوم الدينية واللغوية.

وقد ازدهرت بلاد الشام ومصر بها منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وغدت كعبة يؤمها طلابها من جميع الأصقاع الإسلامية، وذلك بعد أن دعمت السنّة ربوع القطرين، وأعطيت حرية الفكر لمعتنقي المذاهب الأربعة، وانتشرت المدارس وحلقات الدراسة في

[1] – **نفح الطيب**، م1، ص 65، 66، نقلا عن: ليلى الصباغ، المقال السابق، ص 79، 82.

المساجد، وبخاصة في الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع بني أمية بدمشق. ومن الطبيعي أن تصل أخبار تلك النهضة العلمية، وترحيب المشارقة بالمغاربة من طلبة العلم والعلماء، إلى مسامع أهل المغرب عبر الرحالة والحجيج والتجار، بل والعلماء العائدين أنفسهم وأن تنتقل معها أنباء التسهيلات الكثيرة، والمزايا الاجتماعية التي خصوا بها. [1]

أما العيد مسعود، فيشير إلى ذلك بأن العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق تعود إلى العصور الإسلامية الأولى، ذلك أن الجزائر تنتسب إلى المحيط الثقافي للأمة العربية إذ انه ما من حركة عقائدية أو مذهبية أو فكرية ظهرت في المشرق، إلا وكان لها صدى في المغرب، والجزائر جزء منه كحركة الخوارج، وحركة الشيعة، وحركة المذاهب الفقهية، وحركة المعتزلة، وجدلياتهم مع أهل السنة، ثم كانت آخر تلك التيارات حركة التّصوف التي ظهرت في المشرق ثم انتقلت إلى المغرب، ولم يقف الأمر عند حد تلك الحركات وإنما تعدتها إلى المؤسسات الدينية والعلمية، فقد ظهر الرباط في المشرق وكذا الزاوية والمدرسة فاقتبسها المغرب وطورها إلى غير ذلك من مظاهر تأثير المشرق في المغرب العربي.

وقد واكب المغرب عصر الازدهار الحضاري للمشرق العربي كما واكب عصر ركوده فحينما كان أهل المشرق في أوج حضارتهم كان أهل المغرب يتميزون بنفس القوة ويستظلون بنفس الحضارة، وحينما ضعفت دولهم في المشرق والمغرب , وخبت جذوة الفكر التي ظلت تتقدم قرونا طويلة ظهر الإعياء والوهن والركود على الشعبين معا، وهو ما يؤكد انتساب المشرق والمغرب في محيط ثقافي واحد. [2]

ويشير عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم أن الجالية المغربية لعبت دورا هاما في القاهرة، ففي السجل الأول من سجلات محكمة الإسكندرية والخاص بالفترة التاريخية من 27 محرم 1130هـ إلى 12 صفر 1131 هـ أي من جانفي 1718 إلى جانفي 1719 في الربع الأول من

[1] – ليلى الصباغ، المقال السابق، ص 79، 82.

[2] – "**العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني**"، مجلة سيرتا، السنة الأولى العدد1، جمادى الثانية، 1399هـ، ماي، 1979م، مطبعة البعث قسنطينة، ص، 46.

المقدمة:

القرن 18م / 12هـ نعثر في هذا السجل على كم ضخم من الوثائق التي تتعلق بالجالية المغربية بالإسكندرية ووضعها في هذه المدينة من حيث الحياة المدنية الاجتماعية والاقتصادية بصفة خاصة.

إن الدراسة الجادة لهذه الوثائق تضع أمام الباحث الحقائق التاريخية التالية:

أولا: إن الدور الاقتصادي لأبناء المغرب في هذه المدينة كان على درجة كبيرة من الأهمية وذات فاعلية مؤكدة، فقد كان أبناء المغرب في تلك الفترة المتقدمة يقومون بعمليات الاستيراد والتصدير من وإلى الشعوب الأخرى الواقعة على سواحل البحر المتوسط، وبخاصة الموانئ التركية وملكيتهم واستئجارهم للوكالات والمخازن بهذه المدينة، كما تؤكد هذه الوثائق اشتغال أبناء المغرب بالإسكندرية بالحرف التي كان يشتغل فيها أبناء جلدتهم في القاهرة، ومعظمها مرتبط بالعمل التجاري مثل القبانة، والقصابة (الجزارة)، والحراسة (البوابة) وغيرها من المهن مثل الخياطة، والغسالة.

ثانيا: اندماج الجالية المغربية بالإسكندرية اجتماعيا، حيث تمت عمليات المصاهرة بين الأسر المصرية والمغربية بالإسكندرية وهناك العديد من عقود الزواج التي توجد بهذا السجل تدعم هذه الحقيقة وتثبتها.

ثالثا: انتماء بعض أفراد هذه الجالية إلى فرق الحامية العثمانية وبخاصة فرق مستحفظات التي كان منوطا بأفرادها حماية القلاع والحصون.

رابعا: تثبت هذه الوثائق أن انتماءات هذه الجالية لم تكن قصرا على منطقة معينة من مناطق المغرب العربي أو مدينة بعينها أو قرية بذاتها وإنما ينتمون إلى كل أقاليم المغرب ومدنه ومناطقه فإلى جوار حمل جميع أفراد الجالية صفة (المغربي) كصفة عامة، نجد الصفة المحلية سواء الانتماء إلى إقليم أو مدينة مثل المغربي المكناسي، الجزيري، المغربي التونسي المغربي التطواني، المغربي الجزايرلي المستغانمي، المغربي الجربي، التاجوري، الطرابلسي المغربي السفاقسي، المغربي التلمساني.

والملاحظ أن معظم بل جميع أفراد هذه الجالية الذين وردت أسماؤهم بهذه الوثائق يحملون لقب الحاج مما دلّ على أنهم كانوا يأتون إلى أداء فريضة الحج وفي طريق عودتهم كانوا يتخذون من المدن المصرية مستقرا لهم وكانت مصر ترحب بهم، وتفتح لهم أبوابها ليتخذوها موطنا ثانيا لهم، يعيشون فيها ويمارسون أعمالهم.

خامسا: يظهر من بعض هذه الوثائق كذلك انتماءات بعض هذه الجالية للمذهبية والصوفية التي كانت سائدة في بلاد المغرب العربي مثل العلوي، الجيلاني وغيرها...

سادسا: تثبت هذه الوثائق تضامن أفراد هذه الجالية فيما بينهم وترابطهم مع أبناء مجتمع الإسكندرية وإن كانت تثبت في نفس الوقت قيام بعض المشاحنات بين أفرادها وبخاصة فيما يتعلق منها بالمعاملات التجارية، وهذا أمر طبيعي يحدث دائما بين أبناء المنطقة الواحدة، وكان يعتبر في ذلك الوقت نوعا من المنافسة التجارية. [1]

أما مناهج البحث فارتأيت أن أتخذ المنهج التاريخي الوصفي السردي في الفصلين الأول والثاني، والمنهج الوصفي الاستنتاجي في الفصل الثالث كونه يناسب هذا الفصل (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال الرحلة).

أما خطة البحث فقد ارتأيت أن تكون كالتالي:

مقدمة تخص أسباب اختياري لهذا البحث وتتعرض إلى الإشكالية والصعوبات والمشاكل والحلول، ففي **الفصل الأول:** تناولت الأوضاع السياسية (مصر والحجاز) وقد قسمت الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: "الأوضاع السياسية في مصر"، وفيه:

أ- أوضاع مصر قبل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي).

[1] - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، "**وثائق عن دور المغاربة في مجتمع الإسكندرية في العصر العثماني على ضوء وثائق السجل الأول من سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية، 1130، 1131هـ/ 1718، 1719م**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 15، 16، جويلية، 1979، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل،، تونس، 31 جويلية، 1979، ص 120، 121.

ب- أوضاع مصر السياسية إبان القرن 12هـ/ 18م.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الحجاز وشبه الجزيرة العربية قبل القرن 12هـ/ 18م وفيه :

الأوضاع السياسية (خضوع الحجاز للأتراك العثمانيين).

حالة نجد والحجاز السياسية والدينية أثناء القرن الثاني عشر للهجرة.

1- سياسيا:

2- دينيا

وفي **الفصل الثاني** تناولت حياة الدرعي وعصره وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: خاص بحياة صاحب الرحلة وعصره ابن ناصر الدرعي من حيث مولده ونشأته، شيوخه، تلامذته، إنجازاته وأعماله.

المبحث الثاني: خصصته لتلخيص الرحلة منذ الانطلاقة من المغرب بسجلماسة إلى الذهاب إلى مصر والحجاز والعودة من الأراضي المقدسة إلى زاوية تامغروت.

أما **الفصل الثالث**: فجعلته لموضوع الدراسة التطبيقية بعنوان: "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في مصر والحجاز من خلال رحلة ابن ناصر الدرعي وجزأته إلى مبحثين هما:

أولا: مصر من خلال الرحلة:

أ- المظاهر الاقتصادية.

ب- المظاهر الاجتماعية الثقافية.

ثانيا: الحجاز من خلال الرحلة:

أ- المظاهر الاقتصادية.

ب- المظاهر الاجتماعية الثقافية.

وأنهيت البحث بخاتمة وهي عبارة عن استنتاجات البحث وحوصلة مختصرة له وأخيرا أدرجت الملاحق وبيبليوغرافية وفهرسة للمواضيع.

وبعد جهد مضني وشاق، تمكنت من العثور والاطلاع على بعض المصادر والمراجع المهمة التي أمكنتني من إعداد هذه الرسالة، من بينها أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

بعض الدراسات من الدوريات والمجلات التي اعتمدتها واستعنت بها في كتابة المقدمة والتي منها: المجلة التاريخية المغربية العددان 7 و8 جانفي 1977 حيث استفدت من مقال مهم كتبته الدكتورة ليلى الصباغ بعنوان: "**الوجود المغربي في المشرق في العصر الحديث**".

وكذلك العددان 5 و16 من نفس المجلة جويلية 1779 من مقال كتبه عبد الرحيم عبد الرحمان بعنوان: "**وثائق عن دور المغاربة في مجتمع الإسكندرية في العصر العثماني**" ومقال للدكتور العيد مسعود في مجلة سيرتا، العدد الأول جمادى الثانية 1399هـ، بعنوان: "**العلاقات الثقافية بين الجزائر ومصر في العصر العثماني** ".

كما اعتمدت في عداد الفصل الأول على مصادر من مصر والحجاز، فمثلا المصادر الخاصة بمصر حسن الجبرتي: "**عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، وج2** " وكذلك المصدر نفسه من تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم "**ج1**"، مصدر إسماعيل الخشاب، أخبار أهل القرن الثاني عشر، "**تاريخ المماليك في القاهرة**"، تحقيق عبد العزيز جمال الدين وعماد أبو غازي. ومرجع مهم هو كتاب لمصطفى عبد الكريم الخطيب بعنوان: "**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**".

وأما فيما يخص أوضاع الحجاز السياسية فقد اعتمدت على ثلاثة مصادر:

أولها: خالد الفرج، "**الخبر والعيان في تاريخ نجد**" تحقيق ودراسة عبد الرحمان بن عبد الله الشقير.

وثانيها: لحسين بن غنام: "**روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**" (تاريخ نجد)، تحقيق ناصر الدين السيد.

وثالثها: لعثمان بن عبد الله بن بشر بعنوان: "**المجد في تاريخ نجد**"، تحقيق عبد الرحمان بن عبد الله آل الشيخ.

كما اعتمدت في الفصل الثاني الخاص بالدرعي وعصره على مصادر مهمة منها: محمد المكي الناصري، "**الدرر المرصعة ج2**"، أحمد خالد الناصري، "**طلعت المشترى في النسب الجعفري، ج1**"، العباس بن إبراهيم: "**الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** "، محمد الطيب القادري: "**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج5**" تحقيق محمد حجي ومحمد بن الحاج بن محمد الأفراني، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: "**فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2**"، إلى جانب **الرحلة الناصرية** التي اعتمدتها والتي تحمل رقم 1997 في المكتبة الوطنية، ونسخة أخرى نقلا عن النت (*NET*)، مطبوعة بالخط المغربي القديم سنة 1320 شبيهة بالمخطوط، وقد قمت برسم أوراقها الأولى والأخيرة في ملحق البحث .

كما اعتمدت في الفصل الثالث والخاص بموضوع الدراسة التطبيقية، بعنوان: "**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في مصر والحجاز**"، من خلال رحلة بن ناصر الدرعي على الرحلة نفسها حيث وجدت مادة دسمة لكنها مبعثرة في ثنايا أوراق الرحلة، وجمعت ما استطعت جمعه منظما ومنسقا ومستنتجا ومحللا أحيانا. وكذلك استفدت من بعض المصادر والمراجع التي تناولت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمصر والحجاز إبان فترة الرحلة القرن 12هـ/ 18م، والتي منها ابن بشر عنوان المجد، والجبرتي، عجائب الآثار، ومحمد أسعد طلس، تاريخ العرب، وعبد الرحيم عبد الرحمن، فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، وعبد الرزاق معان، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني.

أما الصعوبات التي اعترضتني في بداية هذا البحث فتكمن فيما يلي:

- صعوبة قراءة المخطوط بنسختيه، الأولى التي تتكون من 238 ورقة، أي ما يساوي 476 صفحة والنسخة الثانية المتكونة من 203 ورقة أي 406 صفحة، باعتبار أن الخط مكتوب بالخط المغربي القديم بدون علامات وقف أو تعجب أو استفهام (خال من جميع العلامات).
- صعوبة اللغة، كون أسلوبها يعود إلى لغة القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي.
- صعوبة أسماء بعض الأماكن والمناطق الواردة في المخطوط.

- طبيعة المؤلف (المخطوط) نفسه فهو عبارة عن خليط من الأدب والشعر والفقه والنكت والحكايات والنوادر والتاريخ والسيرة النبوية، فمن الصعب جدا أن تستخرج معلومات ضافية دقيقة ومفيدة عن موضوع أو عنصر للدراسة يتكلم فيه صاحب الرحلة بإسهاب أو يصفه وصفا دقيقا ولاستخراج أو محاولة دراسة عن بلد أو مدينة كالقاهرة في مصر أو مكة، في الحجاز، لا نجده يصف أو يدرس العلاقات الاجتماعية أو المظاهر الاقتصادية والثقافية كدراستنا الحديثة فهو يشير مجرد إشارات ضئيلة متباعدة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر الله عز وجل الذي أعانني وبفضله سبحانه وتعالى وبقدرته جلّ وعظم تمكنت من إخراج هذه المذكرة، قال تعالى: "**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**" (سورة إبراهيم) [الآية 07]

وأختم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور حساني مختار، وكل أساتذتي في السنة الأولى ماجستير، مع أبلغ الاحترام والتقدير للدكتور توفيق دحماني، الذي سخر الكثير من وقته لتصحيح الرسالة وتقويمها قبل إخراجها.

جزى الله الجميع خيرا

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية في مصر والحجاز إبان القرن 12هـ/ 18م:

أ– الأوضاع السياسية في مصر قبل القرن 12هـ/ 18م.

– مظاهر المقاومة للشعب المصري.

ب– الأوضاع السياسية في الحجاز وشبه الجزيرة العربية قبل القرن 12هـ/ 18م

خضوع الحجاز للسيادة العثمانية:

– حالة الحجاز السياسية أثناء القرن 12هـ/ 18م قبل انتشار حركة محمد بن عبد الوهاب والسعوديين سياسيا ودينيا.

– ظهور السعوديين والوهابيين ودورهم في توحيد شبه الجزيرة العربية وإعلان الدولة السعودية.

– قيام الدولة السعودية الأولى وموقف الدولة العثمانية منها.

– حروب محمد علي والي مصر مع الدولة السعودية.

– العلاقات الخارجية للدولة السعودية مع بريطانيا وفرنسا.

أعالج في هذا الفصل الأوضاع السياسية في مصر والحجاز قبل وأثناء القرن 12هـ/ 18م، مع التركيز على أحداث القرن 12هـ و18م (عصر الدرعي)، صاحب الرحلة كونه من صميم دراستنا في مذكرتنا.

ارتأينا أن نقسم هذا الفصل إلى شقين أو مبحثين رئيسيين، جعلنا المبحث الرئيسي الأول لمصر قبل القرن 12هـ/ 18م، وأثناء القرن 12هـ/ 18م، بعنوان حالة مصر السياسية قبل القرن 12هـ/ 18م، مصر تحت حكم الأتراك العثمانيين منذ 923هـ/ 1517م، وجعله ولاية عثمانية في عهد سليم الأول. ثم عنصرا آخر بعنوان حالة مصر السياسية أثناء القرن 12هـ و18م، والتي كانت مضطربة بسبب الحكم الجائر للعثمانيين، مما شجع الفوضى والتناحر بين الأسر النافذة من بقايا المماليك كالفقارية والغازدوغلية والقاسمية، والتي أدت إلى ظهور حركات انفصالية وحروب أهلية، كحركة إفرنج أحمد (1123هـ/ 1711م)، وحركة علي بك الكبير (1182هـ/ 1768م)، وحركة مراد بك، وإبراهيم بك (1206هـ/ 1791م)، مما شجع وسهل على التنافس الاستعماري الفرنسي سنة 1798م، والانجليزي سنة 1801م.

كما تطرقنا إلى مظاهر المقاومة خلال هذه الفترة (12هـ/ 18م)، والتي تبين أن الشعب المصري شعب لم يرض الرضوخ، كتلك المقاومة التي كانت تحت قيادة الشيوخ والعلماء كالشيخ الدردير، والشرقاوي، والسادات وغيرهم.

ثم تعرضنا إلى حالة نجد والحجاز قبل القرن 12هـ/ 18م وبعده، وقسمنا هذا المبحث إلى شقين أو مبحثين ثانويين، تناولنا في المبحث الأول حالة نجد والحجاز السياسية والدينية قبل القرن 12هـ/ 18م، ووصفنا الحالة الدينية والسياسية، التي كانت تتخبط فيها القبائل من جهل وشرك وتناحر.

وبعد ذلك درسنا حالة نجد السياسية أثناء القرن 12هـ/ 18م، والتي لعب فيه محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، دورا رئيسا في تأسيس الدولة السعودية الأولى (1157– 1240هـ/ 1744 – 1824م).

ولذلك ارتأينا أن نتعرض لوصف حالة الحروب الداخلية في نجد وشبه الجزيرة العربية، والأوضاع الخارجية مع الدولة العثمانية ومحمد علي، وعلاقاتها الخارجية مع بريطانيا وفرنسا، والتي كان يشوبها النفاق والحذر الشديد.

أ– الأوضاع السياسية في مصر:

أوضاع مصر السياسية تحت الحكم العثماني إلى غاية القرن 18:

تمكنت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول من ضم بلاد الشام إثر معركة مرج دابق قرب حلب في 24 آب 1516م/ 922هـ، وزحف العثمانيون على مصر، عبر سيناء، واشتبكوا مع المماليك بقيادة طومان باي في معركة الريدانية 22 كانون الثاني/ جانفي 1517م/ 923هـ، وتمكنوا من دخول القاهرة، وسلبوا وقتلوا، والقى سليم الأول القبض على طومان باي،[1] وأمر بقتله شنقا في 13 أفريل 1517م/ 923هـ، على باب زويلة.

وتحولت مصر إلى ولاية عثمانية وعيّن خاير بك المملوكي واليا على مصر، غادر السلطان سليم القاهرة في 10 سبتمبر 1517م/ 923هـ عائدا إلى إسطنبول وقام بأسر الخليفة العباسي المتوكل على الله في إسطنبول وبقي هناك حتى وفاة سليم سنة 1520م/ 927هـ، ثم رجع إلى مصر حتى وافته المنية [2].

قام النظام الذي وضعه السلطان سليم الاول لمصر، على وجود ثلاث قوى تتصارع من أجل مصالحها مما يحقق أكبر ضمان للسيطرة.

القوة الأولى: هي الوالي، ووظيفته الأساسية هي إبلاغ الأوامر الواردة له من السلطان إلى سائر القطاعات الأخرى في الحكومة، وعليه مراقبة تنفيذها.

القوة الثانية: هي القوة العسكرية التي شكلها السلطان من ست وجاقات (فرق) لهم قائد عام يقيم في القلعة، ولكل فرقة ستة ضباط، ومن هؤلاء الضباط جميعا شكل مجلسا أو ديوانا لمساعدة الوالي وإدارة شؤون البلاد، ولهذا الديوان الحق في معارضة مشروعات الوالي إذا لم يجد فيها مصلحة للبلاد.

[1] : مسعود الخوند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج 18، دط، بيروت، لبنان، 2004، ص 214.

[2]: إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط 1، مكتبة العبيدان، د.ت، الرياض، ص 40، 41.

القوة الثالثة: هي المماليك، وقد استعان بهم السلطان في تسيير دفة الأمور خارج العاصمة فعيّن على كل مديرية من المديريات الأربع والعشرين أحد بكوات المماليك وتعرف مديرياتهم بالسناجق.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني الذي خلف السلطان سليم في الحكم تم إضافة مجلسين آخرين، يعرفان بالديوان الأكبر الذي يجتمع لمناقشة الأمور الخطيرة للبلاد، ويتشكل من الضباط والعلماء، أما الثاني فهو الديوان الأصغر، وهو يجتمع يوميا ولا يضم العلماء ونحوهم .

كما أضاف تعديلات أخرى جوهرية منها: أنه أباح للمماليك الترقيّ إلى مناصب عليا للحكومة حتى رتبة الباشاوية، وأهم هذه التعديلات والتي ظهر أثرها فيما بعد: إجازته للمماليك بتأليف وجاق (فرقة) سابع من بقايا جيوشه تنضم إلى الوجاقات الستة من الانكشارية، فصارت هذه الفرقة أقوى الوجاقات، وزاد بها نفوذ المماليك مما مكنهم من إثارة الفتن في البلاد ومناوأة الوالي[1] وخاصة في نهاية القرن السادس عشر، حيث صار بكوات المماليك القوة السياسية المسيطرة على مصر.

وتركزت السلطة المدنية والعسكرية في أيديهم وصار لزعميهم، وهو شيخ البلد نفوذ واسع، كما صارت مشيخة البلد بمثابة إمارة في مصر، ونتيجة لذلك تصدع نظام الحكم الذي وضعه العثمانيون في مصر[2].

فعلى سبيل المثال، في أواخر القرن السادس عشر، حدث في عهد محمد باشا الشريف في 30 ماي 1596م/ 1005هـ- يوليو 1598م/ 1007هـ، أن هجم الجند عليه ومن معه وهو في نزهة وفرقوا من معه من جند وطلبوا منه الاحتكام إلى الشرع الشريف أمام قاضي العسكر، ولكنه فرّ منهم إلى القلعة.

أما في عهد حضر باشا 1 يوليو 1598/ 1007هـ- يوليو 1601م/ 1010هـ، زاد تمرد الجند عليه عندما عمل على تنظيم القمح الذي تقدمه الدولة للعلماء بعد أن فسد نظام توزيعه، فأجبر الجند المتمردون قاضي العسكر على الذهاب معهم إلى الديوان لتقديم مطالبهم وتحقيقها

[1]- ناصر الأنصاري، **المجمل في تاريخ مصر (النظم السياسية والإدارية)**، د.ط، دار الشروق، القاهرة 1993م، ص، 190، 192.

[2]- عمر عبد العزيز عمر، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، د.ط، دار المعرفة الجامعية ، 1989 ص151.

وقد بلغ عنف العسكر منتهاه في عهد إبراهيم باشا المقتول من 4 مايو 1604/ 1013هـ إلى 08 سبتمبر 1604/ 1013هـ، فعندما خرج في وفاء النيل لقطع جسر أبي المنجا، اعترضوه وأحاطوا به فقطعوا رأسه على باب زويلة، وكان ذلك في منتهي التجبر منهم لأنها المرة الأولى التي يقتل فيها ممثل السلطان.

وبعد مقتل إبراهيم باشا، نتج فراغ سياسي في البلاد عن مقتله وهو الحاكم الشرعي المعيّن على البلاد، فولى الجند المتمردون قاضي العسكر مصطفى أفندي عزمي قائمقاما [1] على البلاد ذلك للمكانة السياسية التي كان يتمتع بها قاضي العسكر آنذاك.

وكذلك قصد إسباغ الشرعية بتوليته، ويرجع عدم اختيار أحد من قادتهم حفاظا على البلاد من الفتن، وبصفته ممثل السلطان، بعد مقتل الباشا استمر قاضي عسكر يحكم البلاد مدة شهرين حتى وصل الباشا الجديد من جانب السلطة، واستمرت ضده الفتنة حتى مجيء محمد باشا (محطم العبيد) (14 يونيو 1607/ 1016هـ–12 يوليو 1611م/ 1020هـ) الذي نجح في القضاء على الفتنة في موقعة الخانقاه سنة 1609م/ 1018هـ، حيث هزم المتمردين وفتك بالعبيد من أفرادهم.

ظل بكوات المماليك القوة السياسية المسيطرة على مصر خلال القرن السابع عشر ، وبقيت السلطة المدنية والعسكرية في أيديهم ، وازداد لزعيمهم شيخ البلد نفوذ واسع ، كما بقيت مشيخة البلد بمثابة إمارة في مصر.

وقد شهد القرن الثامن عشر تزايدا كبيرا في سلطة بكوات المماليك فكانوا يمتنعون عن إرسال الجزية إلى السلطان ويعزلون الوالي إذا غضبوا عليه، وأصبح الوالي اسما ورمزا لا حقيقة لحكمه ولا هيبة، ورغم هذه القوة والسيادة التي أحرزها المماليك في داخل المجتمع المصري، فإنهم لم يتمكنوا من الانفصال عن الدولة العثمانية بسبب انقسامهم وتطاحنهم وتنافسهم في شوارع القاهرة وفي قرى مصر.

---

[1] – **قائمقام**: أي قيامة مقام، وظيفة قيامة مقام كان يشغلها الشخص الذي يتولى عمل الباشا في فترة خلو منصب الباشوية سواء بعزل الباشا أو بوفاته، انظر حاشية عبد الرحمان بن الحسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية ط5، القاهرة، 1987، ص45.

باستثناء فترة أحد البكوات وهو علي بك الكبير (1768-1773/ 1182-1187هـ)، الذي حاول الاستقلال بمصر، ولكن الدولة العثمانية أوقعت بينه وبين قائد قواته وهو محمد أبو الذهب، وانقض على سيده وهزمه ولكن أبا الذهب لم يستقر في حكم مصر لفترة طويلة إذ مات في عام 1775م/ 1189هـ، وخلص الأمر في النهاية لمراد وإبراهيم اللّذين عاثا في مصر فسادا[1]، كما سيأتي.

حالة مصر السياسية خلال القرن (12هـ/ 18م):

لقد تميّزت الحياة السياسية الداخلية في مصر خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي، ومنذ بدايته بالصراع والتنافس على الحكم بين الفرق العسكرية المختلفة تعضدها العائلات النافذة والقوية خاصة عائلتا الفقارية [2] والقاسمية [3]، واللتان كانتا تتنافسان على الحكم منذ فترة السلطان العثماني أحمد بن محمد (1115-1143هـ/ 1703-1730م)، بمثابة حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك القاسمية نسبة إلى قاسم بك، والفقارية نسبة إلى ذي الفقار بك. أما أصل هذين الحزبين ففيه أقوال منها: أنهما ينسبان إلى أخوين قاسم بك وذو الفقار بك، لدى "ستوذون" أحد أمراء المماليك في عهد السلطان سليم الأول الذي نشطهما ونشط أحزابهما. وبعضهم يقول إن هذين الحزبين ينسبان إلى قاسم عيواظ بك "دفتردار"، وذي الفقار بك الكبير سنة 1050هـ/ 1640م. وكان قاسم عيواظ رئيس الطائفة القاسمية، وذو الفقار رئيس الطائفة الفقارية، وكان لكل من هاتين الطائفتين مناقب خاصة بهما.

فكانت "الفقارية" توصف بالكثرة والسخاء، والقاسمية بالثروة والبخل، وراية الفقارية علم أبيض مزاريقه رمانة، أما القاسمية فلها علم أحمر.

وكانت هاتان الفئتان قبل تولي حسن باشا في وفاق تام، فلما جاء خشي من اتحادهما، فعمد إلى الدسائس، وأوقع بينهما الشقاق، فحصلت بين الطائفتين وقائع دامت ثمانين يوما. [4]

---

[1] – عمر عبد العزيز عمر، **المرجع السابق**، ص 152-153.

[2] – **الفقارية**، نسبة إلى ذو الفقار بك.

[3] –**القاسمية**، نسبة إلى قاسم بك.

[4] – جورجي زيدان، **مصر العثمانية**، تحقيق محمد حرب، دار الهلال، الإسكندرية، 1994، ص 205-207.

ويمكن أن نركّز على ست محطات تاريخية ميزت أحداثا هامة في تاريخ مصر خلال القرن الثامن عشر الميلادي الثاني عشر الهجري، هذه المحطات هي:

أ– فتنة إفرنج أحمد (1708–1711/ 1120–1123هـ).

ب– حركة علي بك الكبير (1768–1773)/ 1182–1187هـ.

ج– محمد أبو الذهب (1773–1776/ 1187–1190هـ).

د– مراد بك وإبراهيم بك (1776–1786/ 1190–1201هـ).

هـ– إسماعيل بك (1786–1791/ 1201–1206هـ).

و– عودة مراد بك وإبراهيم بك (1791–1798/ 1206–1213هـ).

أ– فتنة إفرنج أحمد (1708–1711م/ 1120–1123هـ):

ظل أوجاق [1] الانكشارية مصدرا للاضطرابات والفوضى التي سادت في مصر قبل القرن الثامن عشر الميلادي، حيث سيطر كوجك محمد على مقر قيادة الانكشارية، ولم يستمر ذلك طويلا إذ ظهر له منافس خطير وهو مصطفى الغازدوغلي (مؤسس بيت الغازدوغلية) الذي كان **سرّاجا** [2] عند حسن آغا، ثم رقاه حتى تقلد منصب **كتخدا** [3] الانكشارية وتمكن مصطفى من اغتيال كوجك محمد في سبتمبر عام 1694م/ 1106هـ،، فحكم البلاد إلى أواخر سبتمبر 1697م/ 1109هـ. حيث اجتمع الانكشارية وأرغموا الوالي على النزول عن السلطة، واختاروا

---

[1] – **أوجاق**، لقب لأصناف جند السلطنة الذين تشكلت منهم القوات العثمانية البرية والبحرية أو اصطلاح يقصد به الجيش العثماني، وبحسب التشكيلات العسكرية العثمانية المذكورة في قانون نامة فإن هذا الجيش كان مقسما إلى 7 أوجاق، وكل أوجاق له وظيفته الخاصة، أنظر، مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م، ص 53، 54.

[2] – **سرّاجا**: السراج في اللغة –المصباح المضيء وفي الاصطلاح أطلق هذا الاسم بعد أن أضيف إليه بعض الأسماء المتميزة ليصبح لقبا من الألقاب التي عرف بها كبار أعيان الدولة من الوزراء والعلماء مثل سراج الدولة وسراج الدين، انظر، مصطفى عبد الكريم، نفسه، ص 241.

[3] – **كتخدا**، لفظ تركي فارسي أصله كدخدا معناه رب الدارأصبح فيما بعد حاكم أو عمدة أطلق على أمراء الأقاليم في الدويلات الإسلامية وهو المعاون والمساعد للموظف الكبير في الدولة، كان للصدر الأعظم معاون يعرف كتخدا بك أفندي ، أنظر مصطفى عبد الكريم ، نفسه، ص 363.

قائمقاما بدلا عنه ثم تحفظوا عليه، وأصبح أحمد آغا الانكشارية هو المسيطر على الأحوال في مصر.

وفي عام 1708م/ 1120هـ، كان قائد آخر من قواد نفس الأوجاق هو علي آغا الانكشارية تولّى السلطة في مصر وبعد ذلك بحوالي أربع سنوات بدأت فترة طويلة من التوتر، انتهت بقيام الثورة الكبرى عام 1711م/ 1123هـ[1].

حدثت تطورات داخل أوجاق الإنكشارية في خلال الفترة بين 1696م/ 1108هـ و1708م/ 1120هـ، تمخض عنها ظهور شخصية نافذة جديدة إفرنج أحمد باش أوده باشي[2] ليتسلط على هذا الأوجاق، خاصة بعد وفاة مصطفى كاتخدا الغازدوغلي وامتدت دائرة الخلاف إلى بقية الأوجاقات الأخرى، فقد طالب أوجاقات **السباهية**[3] بالحاق إفرنج أحمد وزميله في صفوفها، وساندتها في ذلك **أوجاقات عزبان**[4] **والمتفرقة** [5] **والجاوشية**[6]، وبذلك صارت الستة في جانب وأوجاق الانكشارية في جانب آخر وبدأت مقدمات هذه الفتنة في عام 1707م/ 1119هـ، وانفجر الموقف في سنة 1711م/ 1123هـ.

---

[1] – عمر عبد العزيز عمر، **في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دط، دار المعرفة، الاسكندرية، 2005، ص 142.

[2] – باش أودة باشي، رتبة عسكرية في الجيش العثماني تعادل رتبة ملازم عند مصطلح القرن 20، يترأس حاملها مجموعة من جنود الانكشارية يستقرون في أوظة أي غرفة، أنظر مصطفى عبد الكريم، المرجع السابق، ص 56.

[3] – **السباهية**، جاءت كلمة أسباه بمعنى جيش أو قطعة وهم صنف من العسكر يطلق عليهم فرسان الجيش –انظر مصطفى عبد الكريم – المرجع نفسه ، ص 28.

[4] – **أوجاقات عزبان**، العزبان (العزب، كان هذا لرجال هذا الأوجاق عدة اختصاصات فمنهم كبحارة (ترسانة الاسكندرية والسويس)، وكان من رجاله أمين البحرين، كما كانت لهم اختصاصات بوليسية تتألف منهم مراكز البوليس، أنظر حاشية ساوريس بن المقفع، **تاريخ مصر منذ البداية**، المجلد 2، الجزء 2، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، د.ط، مطبعة مدبولي، 2006م، ص 1129.

[5] – **المتفرقة**، طائفة من العسكر مهمتهم التأهب الدائم أثناء الحرب أوعند تحرك الركب الهيمايوني بمرافقته أينما رحل، إضافة إلى مرافقة الوزراء وأصحاب المناصب، انظر مصطفى عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص 387.

[6] – **الجاوشية**، وحدة عسكرية يقوم أفرادها بمهام الشرطة العسكرية ينفذون العقوبات البدنية بحق المخالفين من عناصر الانكشارية يرأسها جاويش برتبة رقيب، أنظر، مصطفى عبد الكريم الخطيب، **المرجع السابق**، ص 119.

وقد كان احتدام النزاع بين أوجاق الانكشارية والعزبان وارتبط بهذه المعارك خلافات أخرى بين البكوات الفقارية والقاسمية، وكان من نتائجها الإخلال بالتوازن الذي كان دعامة السلام في القاهرة، وانتهت الفتنة باشتراك كل طبقات السكان بما فيها العلماء والبدو، وكان الفريقان كالآتي:

أ- **الفريق القاسمي (العزبان):** ويضم زعماء القاسمية-إيواظ بك أمير الحج وإبراهيم بك أبو شنب وقانصو بك، وقيطاس بك **الدفتردار**[1]، وتابعة محمد بك الصغير رجال أوجاقات السباهية الثلاثة وعربان السلالمة والهنادي.

ب- **فريق إفرنج أحمد:** مسبب الفتنة يضم زعماء الفقارية أيوب بك ، محمد بك جورجا، أعراب السباهية، آغا المتفرقة، كتخدا الجاوشية مؤيدي إفرنج أحمد من الانكشارية، الباشا العثماني قاضي العسكرية عزبان الهوارة وعربان أولاد حبيب، استمر القتال أكثر من شهرين، وقام الفريق المناوئ لإفرنج أحمد-الفريق القاسمي غزبان بعزل الباشا، وعينوا قائمقاما، كما عزلوا قاضي العسكر وعينوا آخر ليحل محله [2].

وفي مارس 1711م/ 1123هـ، تآمر خصوم أحمد إفرنج مع جماعة الغازدوغلية على طرده وحصلوا أيضا على تأييد الأوجاقات الستة الأخرى وخصوصا أوجاق العزبان الذي كان يعارض بشدة سيطرة الانكشارية.

ولقد تورط الباكوات وبيوتاتهم المملوكية في هذا الصراع الدائر، فتدخل أيوب بك الذي تحالف مع الفقارية لمساندة إفرنج أحمد رغم الروابط الموجودة بين الفقارية والغازدوغلية، كما ألقى أكابر القاسمية بكل ثقلهم لتأييد العزبان ضد إفرنج أحمد وأيوب بك والوالي، وأوقفت القاسمية الوالي عن عمله وعينت أحدا من أفرادها كقائمقام.

وفي 22 أفريل 1711م/ 1123هـ، حدثت معركة خارج القاهرة، قتل فيها ايواظ بك، أحد زعماء القاسمية وكانت وفاته حدثا مهما في تاريخ العلاقات بين فرقتي الفقارية والقاسمية، فازدادت

[1] – **الدفتردار**، الدفترداية، هي دار المال، الدافر دار معناه أمين المال، وتكمن وظيفته في سجلات الحسابات وقيود واردات الخزينة، كان بمثابة وزير المالية في عصرنا الحالي، أنظر مصطفى عبد الكريم الخطيب **المرجع نفسه**، ص 82، 183

[2] – محمد بن سرور البكري الصديقي، **النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر القاهرة المعزية**، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الرازق عبد الرازق عيسى، د.ط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 18، 20.

العداوة بينهما وحاول كل منهما القضاء على الآخر نهائيا، وفشلت الفقارية وهرب أيوب بك إلى سورية ومنها إلى إسطنبول، حيث توفي بعد سنة أما إفرنج أحمد فقد قبض عليه وأعدم.

وبرهنت هذه الحرب على ازدياد نفوذ البكوات المماليك في أحداث مصر السياسية، فمنذ ذلك الوقت أصبح صراع الأوجاقات السبعة غير ذي أهمية إذا قورن بالصراع العنيف الذي ميّز العلاقات بين بكوات القاسمية والفقارية، وبيوتاتهم المملوكية.

كما أصبح الولاة العثمانيون مجرد رؤساء صوريين وعرضة للعزل إذا ما ضايقوا الفئة المملوكية المسيطرة، وكان هدف المماليك هو الوصول إلى الحكم (الرئاسة)، ومنذ قيام الثورة الكبرى 1711م/ 1123هـ إلى مجيء نابليون بونابرت 1798م/ 1213هـ، إلى مصر سيطر على تاريخ مصر مسألتان هما، الصراع بين الأحزاب والصراع بين الأشخاص في داخل كل حزب على الرئاسة، وقد مهدت الثورة الكبرى الطريق أمام القاسمية لكي تعمل على زيادة نفوذها في مصر[1].

ب– حركة علي بك الكبير[2] 1768–1773م/ 1182–1187هـ:

استطاع علي بك الوصول إلى مشيخة البلد في عام 1763م/ 1177هـ، ولم يكد يستمتع بهذا المنصب قليلا، حتى اضطره أعداؤه ومنافسوه إلى الفرار مرتين من مصر خلال أربع سنوات فأقام في الحجاز تارة وفي فلسطين، حيث استضافه ظاهر العمر تارة أخرى، وعاد إلى القاهرة في 1766م/ 1180هـ، فانتقم من أعدائه وأنزل بهم عقابا صارما باستخدام أحد مماليكه الذي اشتهر فيما بعد باسم (أحمد الجزار) بسبب ما أظهره من قسوة وبطش عند إخماد ثورة عربان الحبابية

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر، **المرجع السابق**، ص 143، 142، وانظر كذلك، إسماعيل بن سعد الخشاب **أهل القرن الثاني عشر، تاريخ المماليك في القاهرة**، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، عماد أبو غازي، ط1، دار العرب للنشر، القاهرة، يناير، 1990م، ص 33–48.

[2] – ولد علي بك الكبير في سنة 1728م في بلاد الإباضة بالقوقاز، كان والده أحد قساوسة الكنيسة اليونانية ، أسر في إحدى الغابات وجيء به إلى الإسكندرية حيث بيع كمملوك لمديري جمركها في سنة 1743م، حيث قدماه هدية إلى إبراهيم بك جاويش الانكشارية، وبد أبعد ذلك يتعلم ويتكون كبقية المملوكين ويقال أن تفوقه على رفاقه في ركوب الخيل وفي اللعب بالجريد، وضرب السيف والطعن بالحربة واستخدام الأسلحة النارية حتى صار يسمى ب(جن علي) وعمره اثنان وعشرون عاما، وكان ذلك في سنة 1749م ولما توفي أستاذه إبراهيم كاخيا 1754م تقلد الصنجعية باسم علي بك مير اللواغاردغلي، انظر، جلال يحي، **مصر الحديثة، 1517م، 1805م**، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 235.

بشرق الدلتا ووسطها والهنادي بإقليم البحيرة، ولذلك تمكن من أن يصير باشا على عكا فيما بعد.

وكان سويلم زعيم الحبابية والهنادي بالوجه البحري قد طغى وتجبر ونشر نفوذه بمعظم بلاد الشرقية والقليوبية، وتحكم في الطريق بين القاهرة والموانئ الشمالية ، ومارس القرصنة النيلية على نطاق واسع ولذلك أرسل علي بك حملتين للقضاء عليهم فقبضوا على سويلم وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح، ثم علّقوها على باب زويلة بالقاهرة.

وبعد أن انتهى من الوجه البحري تطلع علي بك لتحرير الوجه القبلي الذي كان يمد القاهرة بالمؤن والغلال من يد همام بن يوسف شيخ عربان الهوارة[1] والذي كان يحمي المماليك الفارين للصعيد في أعقاب صراعاتهم المسلحة عن السلطة في القاهرة ويقدم لهم المال والرجال والعتاد والسلاح، فأرسل علي بك إلى الصعيد حملة بقيادة أحد مماليكه، وهو **محمد بك أبو الذهب**[2] لقتال همام، وانتصر عليه خارج أسيوط وفرت فلول المهزومين إلى فرشوط واستطاع أبو الذهب أن يكسب ود ابن عم همام المدعو أبو عبد الله الذي وعده بحكم الصعيد فصدّق أبو عبد الله هذا الوعد ورفض مواصلة القتال، فمات همام حزنا وكمدا قرب إسنا فانتصر أبو الذهب نهائيا، وأصبح علي بك سيد الوجهين البحري والقبلي وصاحب النفوذ المطلق في جميع أنحاء القطر المصري،

وما كاد ينتهي علي بك من توطيد نفوذه في مصر حتي قامت الحرب الروسية العثمانية 1768م–1774م/ 1182–1188هـ، حيث انتصرت روسيا وطردت الأتراك من الدانوب والقرم

---

[1] – جلال يحي، **نفسه**، ص 235.

[2] – **أبو الذهب**: تابع علي بك الشهير اشتراه أستاذه في سنة خمس وسبعين فأقام مع أولاد الخزنة أياما قليلة وكان إذ ذاك إسماعيل بك خزندارا، فلما أمّر إسماعيل بك قلبه الخازندارية مكانه وخرج مع مخدومه إلى الحج ورجع أوائل سنة 1178هـ، تأمّر في تلك السنة وتقلد الصنجعية، وعرف باسم "أبي الذهب" ويرجع سبب تلقبه بذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهبا وفي حال ركبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقراء والجعيدية حتى دخل إلى منزله فعرف بذلك لأنه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الأمريات واشتهر عنه هذا اللقب وشاع وسمع عن نفسه شهرته لذلك فكان لايضيع في جيبه إلا الذهب ولا يعطي إلا الذهب ويقول: "أنا أبو الذهب فلا أملك إلا الذهب" انظر عبد الرحمان بن حسن الجبرتي، ج1، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج1، تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، ط5، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ص 651، 655.

والأفلاق والبغدان والصرب، وخرج الأسطول الروسي من البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط وهاجم بلاد الأناضول وسوريا، وهدد مصر نفسها، فاستغل علي بك فرصة الحرب، وضعف الدولة العثمانية فطرد الباشا العثماني محمد راقم وامتنع عن دفع الجزية والمال الميري، ثم طمع في نشر سلطانه على بلاد العرب أملا في أن يتخذ من جدّة مقر التجارة للهند حتى تتحول تجارة الشرق إلى البحر الأحمر وبرزخ السويس [1].

ونجحت الحملة التي أرسلها إلى الحجاز بقيادة مملوكه محمد بك أبو الذهب ومد علي بك سلطانه إلى الحجاز، ثم أرسل حملة إلى بلاد الشام، حيث وعد بنجدة حليفه الشيخ ظاهر العمر واستغل فرصة روسيا من جهة، وفرصة تذمر أهل الشام من عثمان بك العظم الوالي العثماني وإقبال هذا الوالي على تشجيع خصوم علي بك وأعدائه والترحيب بهم، عند خروجهم إلى دمشق، ذريعة لغزو الديار الشامية.

واستطاع محمد أبو الذهب بمعاونة صديقه ظاهر العمر أن يستولي على غزة ونابلس ويافا، والرملة وصيدا، واللد ودمشق ذاتها في أفريل 1771م/ 1185هـ.

وفي أثناء هذه الحملة كان علي بك جادا في عقد التحالفات مع روسيا والبندقية حيث لقي تأييدا من الكونت ألكسيس أرلوف (*Alexis Orlowe*) قائد الأسطول الروسي في البحر الأبيض المتوسط قصد تزويده بالمؤن والمدافع والمهندسين، فوعده بحمل مقترحاته إلى كاترين قيصرة روسيا، ولكن خيانة أبو الذهب واتهامه بالكفر والإلحاد، واتهامه ببيع بلاد العرب للكفرة ولذلك غدر به أبو الذهب وجهز جيشا لمقابلته بالقرب من الصالحية حيث دارت معارك عنيفة أسر على إثرها علي بك الكبير على يد أبي الذهب ومات بعد ذلك بأيام معدودة في 8 ماي 1773م/ 1187هـ رحمه الله[2]. ويرجع السبب الرئيس لعدم نجاح علي بك الكبير، هو تغافله عن القوة الشعبية المصرية، إذ لم يستغل فرصة كراهية الشعب للمماليك، فيحشد تلك الطاقة الجبارة للتخلص من هؤلاء المماليك العتاة، وإنما اعتمد على حزبه من المماليك، وحارب في عديد من

[1] – إسماعيل أحمد ياغي، **المرجع السابق**، ص 127، 131.

[2] – ساوريس ابن المقفع، **المرجع السابق**، ص 1141، 1143.

الجهبهات، أخطرها جبهة المماليك نفسها، والمؤامرات المستمرة التي لا تنقطع في داخلها، فضرب من داخل جبهته قبل أن يضرب من العدو العثماني. [1]

ج– حكم محمد أبو الذهب 1773–1775م/ 1187–1189هـ:

لما تولى محمد أبو الذهب شؤون مصر خالف أستاذه علي بك وضم المشردين وغمرهم بالإحسان واستمال بواقي أركان الدولة واستلين الجميع جانبه وجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه وقاتلوا بين يديه حتى أزاحوا علي بك وخرج هاربا من مصر إلى الشام واستقر بمصر وساس الأمور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال، وراسل الدولة العثمانية وأظهر لهم الطاعة وقلد مملوكه إبراهيم بك إمارة الحج في تلك السنة 1189هـ، 4 مارس 1775م وصرف العلائف وعوائد العربان وأرسل الغلال للحرمين والصرر، وتحرك علي بك للرجوع إلى مصر فدبّر له حيلة بأن جمع القراصنة والذين يظن فيهم النفاق وأسرّ إليهم أن يراسلوا علي بك ويستعجلوه في الحضور وينمقوا مساوئ المترجم أبو الذهب ومنفراته ويعيدوه بالمخامر معه، والقيام بنصرته متى حضر وأرسلوا إليه بالشرطة السرية، فراج عليه ذلك واعتقد صحته.

وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع مخدومهم وإشارته، فعند ذلك قوي عزم علي بك على الحضور وأقبل بجنوده إلى جهة الديار المصرية، فخرج المترجم ولاقاه بالصالحية وأحضره أسيرا، ومات بعد أيام قليلة، وانقضى أمره، وجمع باقي الأمراء المطرودين والمشردين وأكرمهم واستخدمهم وواساهم واستوزرهم وقلدهم المناصب وردّ إليهم بلادهم وعوائدهم واستعبدهم بالإحسان والعطايا واستبدل لهم العز بعد الذل والهوان وراحة الأوطان وقام بمجهودات جبارة، فأمنت السبل ووصلت إليه مجلوبات من الجهات القبلية والبحرية بالتجارات والمبيعات.

ونزل خليل باشا وطلع إلى القلعة على العادة القديمة وحضر للمترجم من الدولة الرسومات والخطايات، وانفرد بإمارة مصر واستقام أمره وأهمل أمر أستاذه أتباع علي بك وأتباعه، وحضر إلى مصر مصطفى باشا النابلسي من أولاد العظم، والتجأ إليه فأكرم نزله ووصلت إليه التقاليد والداقم، في ربيع الثاني سنة 1188هـ–جويلية 1774م ووّجه خليل باشا إلى ولاية جدّة،

[1] – انظر فوزي جرجس، **دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي**، العربي للنشر والتوزيع، د.ت، ص 22.

وسافر من القلزم في جمادى الثانية 1188هـ/ جويلية 1774م وشرع في بناء مدرسة تجاه الجامع الأزهر[1].

يقول عنه الجبرتي: "**وبالجملة فإن المترجم كان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة وسعدا، وحزما وعزما وحكما وسماحة وحلما، وكان قريبا للخير، يحب العلماء والصلحاء، ويميل بطبعه إليهم ويعتقد فيهم ويعظمهم وينصت لكلامهم ويعطيهم العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدّين ولم يشهر عنه شيء من الموبقات والحرمات**"[2].

توفي في عكا في ربيع الثاني 1189هـ– جويلية 1775م ولما ورد الخبر بموته وشاع في الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى: "**حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**"[3]، وذلك أنه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية، وأذعن الجميع لطاعته وقد كان أرسل إسماعيل آغا أخا علي بك الغزاوي إلى إسطنبول يطلب أمرية مصر والشام ، وأرسل صحبته أموالا وهدايا فأجيب إلى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر، فوفاه ذلك يوم دخوله عكا فامتلأ فرحا وحمّ بدنه في الحال لمدة ثلاثة أيام.

ومات ليلة الثامن ربيع الثاني (8 ربيع الثاني 1189هـ يونيو 1775م) فاتفق أتباعه على الرحيل وأخذوا أرملة سيدهم صحبتهم، لما تحقق عندهم أنهم إن دفنوه هناك في بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه، فغسلوه وكفّنوه وألقوه في المشمعات ووضعوه في عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية، فوصلوا في ستة عشر يوما ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني، أواخر النهار، 24 ربيع الثاني 1189هـ، جويلية 1775م، فأرادوا دفنه بالقرافة وحضر الشيخ الصعيدي فأشار بدفنه في مدرسته تجاه الأزهر فحفروا له قبرا في الليوان الصغير الشرقي.

ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا، وخرجوا بجنازته من بيته الذي بقصون، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد، وأطفال المكاتب وأمام نعشه مجامر العنبر والعود، سترا على رائحته ونتنه، حتى وصلوا به إلى مدفنه وختموا عليه القرآن وجروا عليه صدقات

---

[1] – **الجبرتي** ،عبد الرحمان بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج1، د.ط، دار الجيل بيروت، د.ت، ص، 480، .482

[2] – **الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، المصدر السابق**، ص 485.

[3] – سورة الأنعام، الآية رقم 44.

عدة ليال وأيام نحو أربعين يوما واستقر أتباعه أمراء مصر ورئيسهم إبراهيم بك ومراد بك وباقيهم الذّين أمّرهم في حياته.

د– حكم إبراهيم بك ومراد بك (1776–1786/ 1190–1201هـ):

إثر وفاة أبي الذهب عمّت الاضطرابات والفوضى والمنازعات الداخلية بين أتباعه وأتباع علي بك الكبير، للحصول على المشيخة والاستبداد بحكومة البلاد، ولما انسحب أتباع علي بك إلى أسوان اندلعت المنافسة من جديد بين إبراهيم بك ومراد بك، حتى أصبحت القاهرة بين عامي 1773–1789م-1187–1204هـ مسرحا للمؤامرات والدسائس، والسلب والنهب والفوضى[1].

ودخلت مصر فتنة سياسية بين أفراد الغاز دوغلية على الرياسة وقام التنافس بين إسماعيل بك وبين اثنين من مماليك أبي الذهب وهما إبراهيم بك ومراد بك، لكنهما أطاحا بإسماعيل بك واتفقا الاثنان على أن يتقاسما السلطة في مصر على أن يكون الأول شيخا للبلد وبذلك استقرت لهما الأمور في عامي (1775–1776م/ 1189–1190هـ) وحاول إسماعيل بك إزاحتهما لكنه فشل في سنة 1776م/ 1190هـ [2] .

وظل مراد و إبراهيم يحكمان البلاد و يعيثان فيها فسادا، إلى أن أرسل السلطان العثماني حملة عسكرية بقيادة القبطان حسن باشا سنة 1786م/ 1201هـ.

حملة حسن باشا الجزايرلي:

لم تقتصر مظالم إبراهيم بك ومراد بك على الأهالي، بل امتدت إلى الأجانب المقيمين في مصر بابتزاز أموالهم ومصادرة متاجرهم، ووصل بهم الأمر إلى نقض اتفاقهم مع فرنسا بل أنهم هددوا بهدم الكنائس الخاصة بالأجانب، الأمر الذي أدى إلى احتجاج سفراء وممثلي فرنسا والنمسا وهولندا لدى الدولة العثمانية، بالإضافة إلى ذلك فإنهما(مراد بك وابراهيم بك)، قد اتصلا بروسيا وشجعتهما على هذا العمل تمهيدا للانفصال عن الدولة العثمانية.

ولذلك قررت الدولة العثمانية إرسال حملة عسكرية بقيادة حسن باشا الجزايرلي في ماي 1786م–1200هـ، واستطاع أن يلحق الهزيمة بهما، ففرا إلى الصعيد، لكن لم يستطع حسن باشا

[1] – ساوريس ابن المقفع، **المرجع السابق**، ص 1144، 1146.

[2] – عمر عبد العزيز عمر، **المرجع السابق**، ص 150.

إخضاع الصعيد ولم يكن الموقف الدولي في صالح الدولة العثمانية، إذ قامت حرب بينها وبين روسيا فاستدعي سنة 1787م/ 1202هـ للاشتراك في الحرب[1].

سيطر حسن باشا على القاهرة ومصر السفلى وظلّ إبراهيم ومراد يحكمان الصعيد ويتحينان الفرصة للعودة إلى القاهرة، ودارت الحرب بينهما في عدة مواضع على طول الوادي (وادي النيل)، وفي نوفمبر 1786م/ 1201هـ، حاول حسن باشا أن ينهي هذا الصراع بالمفاوضات، فعرض على إبراهيم ومراد الأمان ووعدهما بمنحهما إقطاعات في أي مكان يريدان خارج مصر، فرفضاها وعين خصمهما إسماعيل بك شيخا للبلد[2].

هـ- حكم إسماعيل بك (1786–1791م/ 1201–1206هـ):

لقد قام حسن باشا بتعيين إسماعيل بك شيخا للبلد سنة 1786م-1191هـ، وأصل إسماعيل بك من مماليك إبراهيم كتخدا، وانضوى إلى علي بك الكبير- بلوط قوبان، فجعله مستشاره، وأقره ونوه بشأنه وقلده **الصنجقية**،[3] بعد موت سيدهم وزوجه بهانم ابنة إبراهيم كتخدا وعمل لهما حفلا عظيما ببركة الفيل دام شهرا كاملا في سنة 1174هـ (أوغسطس 1761م) وأرسله علي بك في سرياته، واعتمده في مهامه وبعثه إلى سويلم بن حبيب بتجريدة فلم يزل يحارب حتى هزمه، وفرّ إلى البحيرة فلحقه هناك، فقتله وحضر برأسه إلى مخدومه، وذلك في أواخر 1182هـ، ماي 1769م، وسافر إلى الشام صحبة محمد بك أبي الذهب، لمقاتلة عثمان باشا بن العظم، وأغاروا على البلاد الشامية، وحاربوا على يافا أربعة أشهر، حتى ملكوها وسافر قبل ذلك في تجاريد للصعيد، وحضر غالب مواقف الحرب مع محمد بك إلى أن بدأت الوحشة بين محمد بك وسيده علي بك، وخرج مع محمد بك إلى الصعيد وجرى بينهما الدم بقتله أيوب بك، فأخرج إليه علي بك جردة عظيمة، احتفل بها احتفالا زائدا وأميرها إسماعيل بك وانضم إلى محمد بك فشد عضده ، وخان مخدومه وتقلد الدفتردارية، وأميرا للحج سنتين.

---

[1]- صلاح أحمد هويدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية، 923–1213هـ/ 1517–1798م**، د.ط، دار المعارف 1984، ص 237.

[2] - عمر عبد العزيز عمر، **المرجع السابق**، ص 150.

[3] – **الصنجقية**: وحدة إدارية أصغر من الولاية، استخدمت في العصر العثماني، يحكمها موظف أطلق عليه اسم صنجق بك أي أمير الصنجقية، انظر، مصطفى عبد الكريم الخطيب، **المرجع السابق**، ص، 295

ولما مات محمد بك، لم تطمع نفسه للقدر في الرياسة والإمارة، بل تركها لأتباعه وقنع بحاله وإقطاعه ولزم داره التي عمّرها بالأزبكية فناكدوه وطمعوا في مالديه وقصد مراد بك اغتياله فخرج إلى الخارج وتبعه المغرضون له، يوسف بك وغيره، فهاجر إلى الشام ثم سافر إلى الروم وذهب إلى اسطنبول، وأقام بها مدة ثم نفوه إلى شنق قلعة، وخرج منها بحيلة تحيلها على حاكمها ثم ركب البحر نحو درنة، ووصل خبره إلى الأمراء بمصر، وأقام على ذلك شهورا فلم يقفوا له على خبر وهو ينتقل عند العربان حتى أنه اختفى عند بعضهم نيفا وأربعين يوما في مغارة .

ووصل إلى البلاد القبلية بحيلة في زي العربان، ورجع إلى مصر وتملكها واستقل بإمارتها بعد تغربه تسع سنين، وبنا داره وحصن المدينة وسورها من عند طرا والجيزة، وحصنها تحصينا عظيما من الجبل إلى البحر من الجهتين، حتى أنه لما أصيب بمرض الطاعون أحضر أمراءه وقال لعثمان بك طبل بحضرتهم: **"أنت كبير القوم الباقية فافتح عينك وشد حيلك فإني حصّنت لكم البلد وصيرتها بحيث لو ملكتها امرأة لم يقدر عليها عدو"** وتمرض يومين، ومات في السادس عشر شعبان من سنة 1205هـ، أفريل 1791م[1].

يقول عنه الجبرتي: **"كان أميرا جليلا كفؤا للإمارة جهوري الصوت، عظيم الهمة، بعيد الغور كبيرالتدبير، يحب الصلحاء والعلماء، ويتأدب معهم ويواسيهم، ويقبل شفاعتهم ويكرمهم، وله فيهم اعتقاد حسن ولما مات غسل وكفن وصلي عليه في مصلى المؤمنين، ودفن بقرب علي بك مع سيدهما ابراهيم كتخدا، بالقرب من ضريح الإمام الشافعي بالقرافة، ولم يفلح بعده خليله عثمان بك اضاع مملكته وسلمها وأخصام سيده".** [2]

و– حكم مراد بك وإبراهيم بك 1791–1798م/ 1206–1213هـ:

عندما عاد مراد بك وإبراهيم بك أو المملوكان الكافران كما سماهما حسن باشا إلى حكم مصر واستمرا حتى جاءت الحملة الفرنسية سنة 1798م/ 1213هـ، ازدادت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية سوءا، وكثرت الفتن والاضطرابات تفشت الأوبئة والأمراض وانتشرت المجاعات فانخفض النيل مرات عدة، بسبب الجفاف.

[1] – الجبرتي، **عجائب الآثار** ،ج1، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، **المصدر السابق**، ص 334، 335.

[2] – نفسه، ص 336.

فحدثت الأزمات بسبب انصراف الفلاحين عن أراضيهم، وذلك لنهب البكوات كذلك للغلاة.

وتأثر أصحاب المتاجر من الأجانب خاصة الانجليز والفرنسيين، والبنادقة الذين أقاموا بالإسكندرية والقاهرة للتجارة، حيث صاروا يعانون الشيء الكثير من تعسف المماليك بكثرة الضرائب فوجد "شارل مجالونّ" (*Magallon*)، الذي عينته حكومة المؤتمر قنصلا عاما في مصر منذ 1793م/ 1208هـ، صعوبة كبيرة في الإقامة بالبلاد من غير دفع الإتاوة السنوية للمماليك.

وفي أفريل 1794م/ 1209هـ، أرغم إبراهيم بك التجار الأجانب على دفع أربعة عشر ألف ريال اسباني، واستولى مراد بك على قدر كبير من البضائع وتعرضت مخازن التجار إلى الإغلاق في القاهرة بالقوة، فاضطروا إلى الانسحاب نحو الإسكندرية، فخرج خمسة منهم إلى مدينة الرشيد فقبض عليهم مراد بك وأرغمهم على العودة.

فظل التجار بالقاهرة تحت رقابة إبراهيم الصارمة مدة ثلاثة أشهر، حتى أذن لهم البكوات بالذهاب إلى الإسكندرية فبلغوها في أفريل 1795م/ 1210هـ، وكان على رأس المحتسبين شارل مجالون نفسه.

وعلى الرغم من الأموال الطائلة التي ابتزها بكوات المالية بشتى الطرق والأساليب من الأهالي والأجانب على السواء، إلا أنهم لم يعوا بتدبير أمور البلاد والتي سيطروا على حكومتها فأهملوا شؤون الري مما أدى إلى طغيان رمال الصحراء على الترع والقنوات وإتلاف الأراضي الزراعية، فضلا عن ذلك فقد أهملوا تحصين البلاد التي تسلموا زمامها، فاضمحلت في عهدهم الإسكندرية وأصبحت لا قيمة لها.

وهذا ما بينه فولني في تقريره حين زار مصر قبل حملة نابليون على مصر سنة 1798م/ 1213هـ، "**كانت بحرية البلاد عبارة عن ثمانية وعشرين مركبا في السويس مسلحة بأسلحة ضعيفة المفعول ولا يعرف ملاحوها كيف يستخدمون تلك الأسلحة** "[1] وهكذا كانت مصر ضعيفة عسكريا لا قدرة لها على مقاومة الغزو الأجنبي وظهر هذا الضعف واضحا عندما غزاها نابليون سنة 1798م. وهذا ما أكده الجبرتي، حيث يشير إلى الحالة السياسية التي كانت تسود مصر آنذاك، إذ

[1] – ساوريس ابن المقفع، المرجع السابق، ص 1146، 1147.

يرجع أسباب استكانة المصريين للإرهاق إلى الحكم الجائر الذي سلطته الطليعة الحاكمة من المماليك، حيث يقول: "**وفي الحالة التي نحن في صددها إذا تقصينا أسباب استكانة المصريين للإرهاق وجدنا أن هذا الشعب الذي تسوده أحوال قاسية أجدر بالشفقة منه بالاحتقار، والسبب في ذلك أن الحالة السياسية في هذه البلاد غيرها في أوربا، فإن آثار الثورات القديمة عندنا ما برحت تتضاءل يوما بعد يوم، حتى تقرب الغرباء الغالبون من الوطنيين المغلوبين على أمرهم، وأصبح الوطنيون مستعبدين على إثر انقلابات حديثة العهد ... فالدولة هنا فئتان فئة الشعب المنتصر التي يحتل أفرادها جميع مناصب السلطة المدنية والعسكرية، وفئة الشعب المغلوب الموزعة بين الطبقات المرؤوسة في المجتمع، والفئة الحاكمة التي تخول لنفسها حق الأثرة في الملكية بقوة الفتح لا ترى في الفئة المحكومة سوى آلة للاستمتاع**". [1]

مظاهر المقاومة للشعب المصري:

انتفاضات الشعب ضد المماليك:

لم يرض الشعب المصري بسيطرة المماليك وجورهم على سيادته بل قاوم بكل ما يملك من قوة مادية ومعنوية، والأمثلة على تلك الانتفاضات عديدة تزخر بها كتابات الشيخ عبد الرحمان الجبرتي، والذي يعد أفضل من أرخ لأحداث تلك الفترة وسأذكر بعضها حسب الترتيب الزمني للتدليل على حيوية هذا الشعب وعلى رفضه الخضوع لحاكميه من الظلمة.

وأول تلك الأمثلة ما ذكره الجبرتي عن أحداث سنة 1675م/ 1086هـ، حيث ولي على مصر باشا يدعى أحمد باشا الدفتردار، وكان ظالما شديد الوطأة على الناس، وقد استاء المصريون من حكم ذلك الوالي، وعرفوا بأن له صديقا يدعى عبد الفتاح الشعراوي كان يحرضه على تلك الأفعال فتربصوا به عند نزوله من القلعة وقتلوه ومثلوا به، ولم يكتفوا بذلك بل صعدوا إلى القلعة وطلبوا من الوالي أحمد الدفتر دار أن ينزل من الحكم، فرفض فهددوه بالقتل وبأنه سينال نفس المصير الذي آل إليه صديقه، فآثر التسليم والنزول عند رغبة الشعب، فقبضوا عليه واحتجزوه عندهم إلى أن عيّن السلطان واليا جديدا[2].

وفي سنة 1695م/ 1107هـ، عم البلاد قحط شديد وزادت وطأته على الناس حتى أكلوا الجيف وأوراق الشجر، وصاروا يتخاطفون الخبز من الأسواق ومات بسببها جموع كثيرة.

---

[1] – **الجبرتي ،عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مصدر سابق، ص 920-921.

[2] – الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار،ج2، دط، دار الجيل ، بيروت ، دت، ص، 43،44

حدث هذا بينما كانت مخازن الوالي وكبار المماليك مليئة بالمخزون من القمح والشعير فتنكر الأهالي، وتوجهوا إلى الوالي بالقلعة، وصاحوا من الجوع فلم يأبه لأمرهم أحد فرجموه بالأحجار، فركب الوالي وطردهم فنزلوا إلى الرميلة، ونهبوا حواصل الغلة التي بها، ووكالة القمح وحاصل كاتخدا نائب الوالي، وكان مملوءا بالشعير والفول، فتم عزل الوالي الظالم من السلطان وتم استبداله بآخر نزولا عند رغبة الشعب[1].

ومن أحداث عام 1697م/ 1109هـ، يذكر الجبرتي بأن ملتزم دار الضرب (سك النقود) بمصر وهو يهودي يدعى ياسف قد سافر إلى الأستانة لبعض الأعمال، وعندما سأله المسؤولون الأتراك عن إمكان زيادة الضرائب على أهالي مصر أجاب بالإيجاب، فزودوه عند سفره بالفرمانات والأوامر السلطانية بزيادة الضرائب، فلما عاد إلى مصر وقدمها للوالي العثماني وافق عليها.

وعندما سمع الأهالي بذلك توجه وفد منهم إلى المماليك وناقشوهم في الأمر ثم قابلوا الوالي في القلعة فرفض وعنفهم على اعتراضهم على أوامر السلطان فجاوبوا بالمثل وأصروا على تسليمهم ياسفا فأبى وأمام إصرارهم مدهم إياه فقتلوه جزاء ما قدمت يداه[2].

وهناك مثال آخر حدث في يونيو 1785م/ 1200هـ، ويتلخص في أن مدينة الإسكندرية كانت خاضعة لحكم رجلين هما قائد الجند التركي وسمي آغا القلعة **والسردار**[3] .

وقد ترك هذان الرجلان لجنودهما العنان يعيثون في الأرض فسادا، ينهبون الأموال ويعتدون على الحرمات غير آبهين لحرمات الأهالي وشكاويهم، حدث ذات يوم أن قتل أحد الجنود رجلا من أهل المدينة فثار الأهالي ثورة رجل واحد، وقبضوا على السردار وأوسعوه ضربا وتنكيلا ثم أركبوه على حمار عاري الرأس وطافوا به شوارع المدينة بين سخرية الأهالي وضربهم له بالنعال[4].

---

[1] – **نفسه**، ص.47

[2] – **الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، المصدر السابق**، ص 49.

[3] – **السردار**، لفظ فارسي مركب من سر بمعنى رأس ودار بمعنى صاحب لقب بقائد الجيش أو كبير الجيش، دخل العربية في العهد ين الأسيوي والمملوكي، بقي اللفظ ليدل على مرتبة عسكرية شاويش في أيامنا، مرتبة رئيس أركان، مصطفى عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص 243.

[4] – **الجبرتي، ج2، نفسه، ص 143**.

وهناك مثل آخر يصور غضب هذا الشعب الأبي، يتمثل في ما حدث في يناير 1786م/ 1201هـ حيث قام أحد كبار المماليك ويدعى حسين بك، حفت على رأسه كوكبة من مماليكه وهاجم دار رجل يدعى أحمد سالم الجزار بحي الحسينية، فثار أهل الحي وغضبوا لابن حيهم وتوجهوا إلى الشيخ أحمد الدردير، وهو عالم جليل من علماء الأزهر وممن اتصفوا بالجرأة والشجاعة والإخلاص لبني وطنهم يشكون له مظالمهم، فغضب لما حدث وشجعهم على الثورة.

حيث اتفق معهم على التوجه في صبيحة اليوم التالي إلى دور المماليك لنهبها أسوة بما فعلوا ، ولما علم بذلك إبراهيم بك شيخ البلد أفزعه الأمر وأرسل بأحد كبار المماليك إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يبعث إليه بثبت بما نهب ليرده إلى صاحبه.

وهناك موقف مشرف كذلك للشيخ أحمد الدردير وقفه عندما كان بطنطا حيث ما تطرق إلى سمعه ما فرضه كاشف (حاكم) البحيرة من مغارم على الناس، وامتدت يده إلى إبل بعض الأعراب فذهب إلى الكاشف بنفسه وخاصمه من فوق ظهر بغلته واشتد عليه في القول والزجر وثار الأهالي لثورته واشتبكوا مع جنود الكاشف في المعركة، فهب على الفور كاشف المنوفية والغربية لزيارة الشيخ الدردير للاعتذار له.

كما قام إبراهيم بك لزيارة الشيخ الدردير والاعتذار له بنفسه بعد عودته للقاهرة. [1]

وكذلك تفيدنا أخبار سنة 1795م/ 1210هـ، أن نفرا من فلاحي مدينة بلبيس قد ذهبوا إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي يشكون مما فرضه محمد بك الألفي أحد أعوان مراد بك على أراضيهم من ضرائب أثقلت كاهلهم فغضب الشيخ لذلك واجتمع بعلماء الأزهر واستقر رأيهم على إغلاق أبواب الأزهر، وحض الناس على إغلاق الأسواق.

وفي اليوم الثاني اجتمع العلماء بالشيخ محمد السادات في داره وتجمع حولهم عدد غفير من الأهالي.

وعندما علم بذلك إبراهيم بك أرسل أحد أعوانه لاستطلاع جلية الأمر، وجرى بينه وبين العلماء نقاش حاد ألهب حماسة الأهالي وخشي مراد بك عاقبة الأمر، فأرسل إلى العلماء يبلغهم

[1] – نفسه ,ص 149.

بسوء مما ارتكبه شريكه إبراهيم بك وفي نفس الوقت أرسل لهذا الأخير (إبراهيم بك) يحذره من عاقبة الاستهانة بحقوق الأهالي.

ولكن العلماء والأهالي قد ذاقوا ذرعا بتكرار أمثال تلك الحوادث، فاستمروا معتصمين داخل جدران الأزهر، ولم يستجيبوا له إلا بعد حضور الوالي بنفسه إلى دار الشيخ السادات، حيث عقد اجتماعا ضم كبار المماليك والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير، وتناقش المجتمعون فيما يجب أن يكون عليه الحكم، وانتهى الاجتماع بعد أن وقع المماليك على وثيقة حررها قاضي القضاة يتعهدون فيها بإبطال المظالم والسير بين الناس بالعدل، وأن يكفوا عن زيادة الضرائب، وفي هذا الحادث يضرب المصريون أروع الأمثلة في اتحادهم ووحدة كلمتهم والتفافهم حول العلماء وزعمائهم المخلصين[1].

كانت مصر في العصر العثماني نهبا مقسما بين الباشا التركي، وقواد حاميته، وأمراء المماليك. أما حقوق الشعب فكانت مضيعة، لم يعتن بها هؤلاء الحكام، ولم يكن يحد من سلطان هؤلاء الحكام غير سلطان العلماء، أصحاب السلطان الروحي، الذين كانوا في نظر الحاكمين والمحكومون رمزا للشرع والقانون السماوي، الذي يحكم بمقتضاه حكام تلك البلاد الإسلامية؛ حيث عقد العلماء نوعا من الزعامة الاختيارية ارتضاه الحكام والمحكومين جميعا، فكان الشعب يشكو لهم ظلم الحكام، وكان الحكام يستمعون دائما لهذا النصح، ويستجيبون لهذه الوساطة. [2]

ب– الأوضاع السياسية في الحجاز وشبة الجزيرة العربية قبل القرن 18م/ 12هـ.

خضوع الحجاز للسيادة العثمانية:

تلا سقوط مصر في أيدي الأتراك العثمانيين عام 1517م/ 923هـ، امتداد سيادتهم إلى الحجاز امتدادا سليما.

فالحجاز بسبب الحماية التي توفرها له مصر والعون الذي تعتد به، مثلا في الأموال والغلال التي ترسمها لفقراء مكة والمدينة والمرتبات والهدايا للأشراف كان يتبع مصر تبعية تلقائية

[1] – نفسه، ص 389، 390، انظر كذلك محمد محمودي السروجي، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث**، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، 1998، ص 5، 9.

[2] – جمال الدين شيال، **الحركة الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، مصر والشام**، 2 ج، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2001، ص 23.

بمعنى أنه لم يكن يرتبط بدولة معينة في مصر بل كان يرتبط بمصر ذاتها بصرف النظر عن الحكومة والدولة القائمة فيها.

وكان يتولى حكم مكة المكرّمة –قلب الحجاز– ومركز الأرض المقدسة الشريفيون أو الأشراف الحديثون الذين يمتد نسبهم إلى علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن سلطان مصر في عهد المماليك هو الذي يختار شريف مكة بل كان كبار الأشراف يختارونه من بينهم ويطلبون إلى سلطان مصر تثبيته في منصبه[1].

وأسرة الأشراف التي حكمت قبل ضم السعوديين للحجاز في القرن التاسع عشر هي أسرة الشريف قتادة الذي استولى على مكة سنة 1201م/ 598هـ، وظلت أسرته مستقرة حتى كان الشريف أبو نمي بركات الذي أرسل ابنه نمي إلى القاهرة ليسلم للسلطان العثماني سليم الأول مفاتيح الحرمين الشريفين، فقبل السلطان ذلك وثبت الشريف أبا نمي في الشرافة.

وفي عهده (أبي نمي) ازدهر منصب الشرافة، إذ وضع سنة 1525م/ 932هـ قانونا من ست وثلاثين مادة، جعلت هذا المنصب وراثيا في الأسرة الهاشمية وجعلت منها طبقة متميزة لا يحق لأحد أن يتطاول عليها أو يعارضها ويحرم عليها الأشغال بالمهن والصناعة.

وتعاقب من أسرة أبي نمي ثلاث عائلات حكمت مكة وهم: ذو بركات، وذو زيد، وذو عون، وتنقل الحكم مدة قرن بين بركات وزيد، ثم استقلت بها زيد حتى غزا محمد على الحجاز[2].

وبعد ان تمكنت الدولة العثمانية من الاستيلاء على مصر وعلى الحجاز سنة 1517م/ 923هـ، استطاعت أن تستولي على اليمن سنة 1538م/ 944هـ، وعلى الأحساء سنة 1552م/ 960هـ.

ومن هنا أصبحت نجد المكونة من وسط الجزيرة العربية محاطة بمناطق نفوذ عثمانية من أغلب جهاتها وقد شجع هذا الوضع أشراف الحجاز على القيام ببعض الغزوات لبعض البلدان النجدية.

[1] – إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، 1418هـ، 1997 م، ص، 42.

[2] – علي سلطان، **تاريخ العرب الحديث، 1516–1918م**، د ط، مكتبة طرابلس العالمية، د ت، ص 243.

ولكن نفوذ الدولة العثمانية في جزيرة العرب ضعف كثيرا بعد حوالي قرن من بداية وجوده فقد استطاع أئمة اليمن أن يستقلوا بحكم بلادهم سنة 1635م/ 1045هـ، وتمكن زعماء بني خالد من الاستيلاء على الأحساء عام 1670م/ 1081هـ.

وكان لهذا التغيير آثاره بالنسبة لعلاقات نجد بالقوى المحيطة بها ذلك أن زعماء بني خالد بدأوا يقومون بغزوات لبعض جهاتها، بينما أخذت غزوات أشراف الحجاز لها تقل كثيرا لتلاشي الوجود العثماني المؤيد لهم من الجزيرة العربية.

ولذلك لم نجد نفوذا عثمانيا مباشرا عليها قبل ظهور الحركة الوهابية، كما أنها لم تشهد نفوذا يؤثر في علاقات قبائلها وبلدانها المختلفة لأية جهة[1].

وكانت في أهل نجد العادات العربية الأصيلة، كالكرم والشجاعة والمروءة، والطاعة للشيوخ واحترام كبار السن.

وينتهي السكان إلى بني خالد وبني تميم وشمر وعنزة (قبيلة الأسرة السعودية) الحاكمة والدواسر وقحطان، ولم يخضع نجد للعثمانيين، بل تركوه لحكم شيوخه فلم يرسلوا له ولاة، وكان فقيرا غير مغر بالحكم وسادت بين شيوخه الحروب والعداوات والمصالحات شأن حياة القبائل ومن أشهر الأسر النجدية، كان السعوديون وهم أكثر عددا وانتشارا وآل معمر في العيينة ودهام بن داوس في الرياض وآل زامل في الخرج، وكانت الدرعية عاصمة السعوديين (آل سعود)[2].

حالة نجد والحجاز السياسية والدينية أثناء القرن الثاني عشر/ الثامن عشر الميلادي قبيل انتشار حركة محمد بن عبد الوهاب والسعوديين:

الحالة السياسية:

كانت بلاد نجد والحجاز في حالة فوضى واضطراب وقلاقل وفتن ولا نكاد نجد أميرا في نجد يحكم بلدتين متجاورتين، هذا إذا لم يكن في البلدة الواحدة عدة أمراء يتنازعون السلطة والهيمنة على الشؤون، وكان لكل أمير أو متغلب حزبه أو جماعته التي تؤيده.

[1] – عبد الله الصالح العثيمين، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، ط2، الرياض، 1411هـ، 1990م، ص13.

[2] – علي سلطان، المرجع السابق، ص 248.

ونشأت من تنازع السلطات كثرة الفتن والاضطرابات التي لا تقع تحت حصر فتسيل الدماء الغزيرة في سبيل مطامع أولئك المتنازعين، وترتب على تلك الدماء دماء أغزر تهدرها ثارات المفتونين وهكذا لكل دم ثائر ولكل ثائر مقود، هذه الحالة في الحواضر والمدن، أما البادية فحدث ولا حرج، فمنهم أتباع لكل ناعق يستخدمهم أولئك الأمراء للقضاء على أعدائهم فيقضون عليهم أجمعين.

ولقد تقطعت السبل وقلّ الأمن بل انعدم وكثرت الوقائع على المياه فكانت الجزيرة العربية في حالة مضطربة من الفوضى أشبه ما كانت عليه في عصر الجاهلية بل أشد، ولم تكن هناك إمارة يحترمها الجميع فينضوون تحت لوائها، بل كل حاكم بأمره.

وفي شرق الحجاز نجد إمارة مستطيلة من قطر إلى الكويت ومن خليج فارس إلى الدهناء عرضا، وهي إمارة آل حميد من بني خالد ولم يكونوا يصلحون للسياسة والإمارة لأنهم برغم تملكهم للأحساء والقطيف قرنا ونيفا، بدو حفاة ليسوا بأهل لذلك، وكانت لديهم قوة لا يستهان بها، ولكنها ليست بالتي تخضع أمراء نجد وأهلها لسلطتهم وإن كانت لهم سيطرة على نجد وهيمنة على شؤونه فأصلها يرجع إلى المخصصات التي يدفعا آل حميد لآل معمر وأمثالهم فقد كانوا ينالون طاعة أهل نجد بالمال متى عجزوا عنهم بالقوة.

وفي غربي نجد إمارة الأشراف في الحجاز وقد حاولوا الاستيلاء على نجد مرات عديدة ففشلوا في إخضاعها، وكثيرا ما تراجعت جيوشهم الجرارة أمام حصن صغير من قصور الزرع وليس فيه من الحامية إلا عشرون أو ثلاثون رجلا وقوتهم ليست معنوية برغم ضخامة المظهر[1].

ب: الحالة الدينية:

كان أكثر المسلمين في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي قد ارتكسوا في الشرك وارتدوا في الجاهلية، حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة، ظانين أن آباءهم أدرى بالحق وأعلم بطريق الصواب، فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين أمواتهم وأحيائهم يستغيثون بهم في النوازل والحوادث، ويستغيثون بهم على قضاء الحاجات وتفريغ الشدائد والمحن، بل أن كثيرا منهم كان يرى في الجمادات كالحجارة والأشجار

[1]– خالد بن محمد الفرج، **الخبر والعيان في تاريخ نجد، 1316–1374هـ**، تحقيق ودراسة عبد الرحمان بن عبد الله الشقير، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1421هـ، 2000م، ص 144، 156.

القدرة على تقديم النفع ودفع الضرر، وقد زين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك ثوابا يتقربون به إلى الله عز و جل، وظلوا يعكفون على أوثانهم تلك حتى صدق فيهم قوله تعالى: «**نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**»[1].

وأحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور، وصرفوا إليهم بالدعاء لهم ما زادوا به على أهل الجاهلية: «**شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ۚ**»[2] وجعلوا لغيره عز وجل مالا يجوز صرفه إلا إليه ونسوا قوله تعالى، وَقَال: «**لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴿٥١﴾**»[3]، وقوله تعالى: «**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**»[4]، ولقد انتشر هذا الضلال حتى عم ديار المسلمين كافة[5].

فالديانات المزيفة والمعتقدات البالية كانت هي التي تطغى عليها نزعة التمايز، على خلاف الوهابيين الذين كان لهم الفضل الكبير في غرس بذرة التنوير، هؤلاء قاموا بعملية تغيير وتحسن جذري، والشيء الوحيد الذي لم يتغير فيهم هو التسمية، فالرسالة المحمدية رسالة تسامح جاءت لتجعل حدا لكل المفاسد إلا أن العدد من المعلقين قد سعوا إلى تحريف القرآن بتفاسيرهم الغريبة، وانتشر بناء الأضرحة على القبور والاعتقاد في أنبياء جدد عوضا عن التوحيد.

فالوضوء والصلوات كانت تقام في ظل انتشار الانحرافات والمخالفات، فكان الأئمة يخشون ذكر كلمة الله بصوت مرتفع في الولائم والأعراس كما أن الحاضرين هم الآخرون كانوا يعانون من نفس المضايقات (تطويق العبادة النقية) حتى أن صلوات الجمعة كانت تقام بعناء أمام أعين العناصر المسيحية رغم أنفهم، حتى المجانين كانت لهم مكانة في المجتمع ولم يسمح لأي مسلم التصدي لهم حتى الحكام أنفسهم، وبعبارة أدق كان المجتمع الإسلامي في تلك الفترة يعيش

---

[1]– سورة الحشر، الآية 19.

[2]– سورة الشورى الآية 21.

[3]–سورة النحل الآية 51.

[4]– سورة الأعراف، الآية 33.

[5]– **بن غنام** ،حسين بن غنام، **تاريخ نجد، روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1985م، ص 13، 17.

حالة التسيب والحرمان، فكانت عامة الناس تريد القضاء على هذه الأزمة، واختفاء عهد التطرف ومفاسد الأسر الحاكمة وأتباعها، مما استدعى تدخل الوهابيين والسعوديين [1].

فقد كانت لبلدان نجد من ذلك أمر عظيم وهول مقيم، كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة ويدعونه لتفريج الكرب وكشف النوب وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أنه في قريوة في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفا ورهبة فتقربوا إليهم وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله فكأنهم أعناهم الله تعالى بقوله: «**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**»[2]، وكأنما كان جوابهم: «**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**»[3].

وكانوا يأتون في شعيب كثيرا من المنكر مالا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب وبهتان مثله لهم إبليس وصوره ودسه عليهم من غير أن يشعروا، وكان الناس والرجال يأتون بليدة الفيدا، حيث يكثر ذكر النخل المعروف بالفحّال ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون فيه، فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج فتضمه بيدها ترجو أن يفرج عنها كربها، وتقول: "**يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول**".

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية فيتبركون بها ويعلقون الخرق إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من الموت، وفي أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى ابنة الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله فأنفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا، وقد نسوا قوله تعالى: «**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**»[4].

وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج) سلكوا فيه سبل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتمدوا منه النفع والخير، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجا، وكان هو يأتي إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج، فكان مهاب الجانب،

---

[1]– Louis Amelie Sedillot, ***Histoire des Wahabis de puis leur origine jusqu'à la fin de 1809***, l'imprimerie de Crapelet, Paris, 1810, pp 3-6

[2] – سورة الصافات، الآية 86.

[3] – سورة الزخرف، الآية 22.

[4] – سورة الصافات الآيتان 96، 95.

ويهابه ويخافه الحكام أنفسهم، وهاب الناس أعوانه وحاشيته فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، وكانوا يزعمون بأنه أعمى، وأنه يأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده.

وأما ما كان يفعل في الحرم المكي الشريف، زاده الله رفعة وتشريفا فهو يزيد على غيره كثيرا، ففي تلك البقاع المطهرة تأتي جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان، وانتهكت فيه الحرمات والحدود وكان لأهل الباطل فيه جولات فأين قوله تعالى: «**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**»[1]، وقوله تعالى: «**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**»[2]، ولقد جهروا بكل ذلك وتظاهروا به عيانا ولم يتيسر من أهل العلم من يزيل هذا الضلال، بل تألبوا على مخالفة الحق وحاولوا تغيير الصواب لقوله تعالى: «**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**»[3].

فمن ذلك ما يفعل عند قبر أبي طالب، وعند قبر المحجوب وعند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها في ترف، وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلاة من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهما بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية، وكذلك عند قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الطائف.

وكذلك ما يفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام، من الأمور العظيمة المحرّمة كتعفير الخدود والانحناء، والسجود خضوعا وتذللا، واتخاذ ذلك القبر عبادة وقد لعن عليه الصلاة والسلام فاعله، وكفى بذلك زجرا ووعيدا، ونهى عما يفعل عنده الآن غالب العلماء وغلّظوا في ذلك تغليظا شديدا.

وأما ما يفعل في البقيع وقبا وجدة التي فيها قبر طوله ستون ذراعا، عليه قبة يزعمون أنه قبر حواء، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيأه وسواه فيجيء عنده السدنة من الأموال كل سنة مالا يكاد يخطر على البال.

وعندهم معبد يسمى العلوي، فاقوا في تعظيمه جميع الخلق وأربوا في الغلو فيه على جميع ما ذكرنا، فلو دخل قبره سارق أو غاصب أو قاتل، لم يعترضه مؤمن ولا فاسق بمكروه ولم يجرؤ أحد

[1]– سورة الحج، الآية 25.
[2] – سورة الحج، الآية 26.
[3] – سورة الرعد الآية 32.

أن يخرجه منه فمن استجار بتربته أجير ولم ينله أحد من الحكام بأذى، وفي 1210هـ/ 1785م، اشترى تاجر من أهل جدة مالا قيمته تزيد على السبعين ألف ريال من بعض التجار الوافدين من أهل الهند وأهل الأحساء، فانكسر بعد أيام وأفلس، وتغيرت حاله ولم يبق عنده ما، يقابل نصف الذي عليه، فهرب إلى ذلك المعبد وترك بيته وما فيه من مال، ولم يرزأ بقليل ولا كثير حتى اجتمع التجار ورأوا أن ينظروه وييسروا عليه، وجعلوا عليه المال نجوما في سنين، وكان أهل الدين من المبشرين بذلك[1].

ظهور السعوديين والوهابيين ودورهم في توحيد شبه الجزيرة وإعلان الدولة السعودية:

أ– السعوديون:

ينتمي آل سعود إلى قبيلة ربيعة أحد أركان قبائل نزار الأربعة، التي تتكون منها القبائل العدنانية، مضر وربيعة وإياد وأغار، وربيعة هو ربيعة الفرس بن نزار بن معبد بن عدنان، ومن ربيعة، تتفرع عدة قبائل أشهرها بكر وتغلب أبناء وائل وعبد القيس، وبنو حنيفة وعنزة.

ويمتاز الربعيون بحب الزعامة والنزعة إلى الاستقلال والحرية، ومساكنهم اليمامة والعروض لبني حنيفة وبلاد البحرين من قطر، إلى حدود العراق لعبد القيس والعراق العربي لبكر وتغلب ومشارف الشام لعنزة بن أسعد، وعنزة بن أسعد، إحدى قبائل ربيعة الكبرى، وهي لا تزال تحافظ على اسمها القديم إلى الآن، وهي التي أنجبت هذه الأسر الحاكمة في جزيرة العرب وأكبرها وأهمها أسرة آل سعود.

وإذا قلنا ربيعة، فإننا نعني به ربيعة بن مانع المريدي حجر الزاوية في بناء مجد آل سعود ومؤسس مملكتهم، وقد كان أبوه مانع من سكان الدرعية، بلد الدروع إحدى بلدان القطيف البحرين، وآل درع من عنزة يحكمون القطيف، وإمارتهم في العارض من نجد، ولهم قربى ورحم من مانع المريدي ولأمر ما استقدموه إلى العوارض من نجد وأقطعوه ضياعا قرب الرياض من منتصف القرن التاسع عشر للهجرة، فنزلها واستثمرها وآوت إليه أفئدة من الناس، وأطلقت مانع ومن معه اسم الدرعية على تلك الضياع التي أقطعت لهم، وبنوا فيها مدينة الدرعية أكبر مدينة، بنيت في

[1]– ابن غنام، **روضة الأفكار**، تحقيق ناصر الدين الأسد ،**المصدر السابق**، ص 14-18.

نجد وبعد مانع ظهرابنه ربيعة، أول من انتسبت إليه الإمارة والحكم في الدرعية التي أخذت تتمركز في العارض.

ويمكن تقسيم حكومة آل سعود إلى دورين:

الدور الأول: الإمارة 858–1157هـ/ 1454–1744م:

هؤلاء الأمراء توارثوا الإمارة في ثلاثة قرون كاملة على الدرعية فقط، شأن بقية أمراء نجد في تلك العصور لكل بلد أميرها، ولم يذكر لهم التاريخ حوادث ذات بال غير وقائع صغيرة مع جيرانهم أو للدفاع عن حوزتهم لا يتعدى قتلاها العشرات من الطرفين.

استقل موسى بن ربيعة بإمارة الدرعية في أوائل القرن العاشر، بعد أن قضى على آل يزيد مزاحميه وأبادهم حتى ضرب المثل بذلك، وحكم بعده ابنه إبراهيم فخلفه ابنه مرخان وبعد وفاته تأمر على الدرعية أبناء مقرن وربيعة إلى قريب سنة 1050هـ/ 1640م، وبعدها تنازع على الإمارة ابناؤهما مرخان بن مقرن، ووطبان بن ربيعة، فقتل وطبان مرخان سنة 1065هـ/ 1654م، وفر إلى الزبير فأسس أبناؤه إمارة لهم في الزبير، مدة طويلة وتولى في الدرعية محمد بن ناصر ثم قتل سنة 1084هـ/ 1673هـ، فخلفه محمد بن مقرن، وتوفى سنة 1106هـ/ 1743م، وتأمر بعده ادريس بن وطبان، وقتل سنة 1107هـ/ 1695م، ومن بعده ملك الدرعية سلطان حمد القيسي إلى سنة 1120هـ/ 1708م، حيث قتل وخلفه أخوه عبد الله ثم قتل وتولى موسى بن ربيعة بن وطبان، وبعد وفاته خلفه سعود بن محمد بن مقرن الذي توفي سنة 1137هـ/ 1724م، فتأمر فيها زيد بن مرخان الذي قتله مقرن بن محمد بن مقرن وقتل به، وصفت الإمارة لمحمد بن سعود سنة 1139هـ/ 1726م، وبحكمه ابتدأ دور الإمامة، حيث تولى الحكم أميرا من 1139هـ/ 1726م إلى غاية 1158هـ/ 1744م، وإماما من 1158هـ/ 1744م إلى غاية 1179هـ/ 1765م[1].

الدور الثاني: دور الإمامة 1157هـ/ 1319هـ – 1744 /1902م:

ويمكن تقسيم هذا الدور إلى ثلاث مراحل:

–المرحلة الأولى:1157هـ/1240هـ – 1744 / 1824م.

[1]– خالد بن محمد الفرج، **الخبر والعيان، المصدر السابق**، ص 132، 135.

وتبدأ من عام 1157هـ/ 1744م، وهي السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى بلدة الدرعية واتفق مع أميرها محمد بن سعود على تأييد دعوته، وبذلك تأسست الدولة السعودية الأولى واستمرت هذه المرحلة مدة تناهز 75 سنة تقريبا، وتولى الحكم في هذه المدة أربعة من كبار مؤسسي الدولة السعودية الأولى وهم:- الإمام محمد بن سعود 1139-1179هـ/ 1726-1765م.

- الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود 1179-1218هـ/ 1765-1802م.

- الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود المعروف بسعود الكبير 1218-1229هـ/ 1803-1813م.

- الإمام عبد الله بن سعود 1229-1233هـ/ 1813-1817م.

وينتهي هذا الدور في عام 1233هـ-1817م، عندما دفعت الدولة العثمانية بالحملة الثالثة على الجزيرة العربية بقيادة إبراهيم باشا، وهذا الدور هو الذي أركز عليه دراستي كونه يلمس صلب بحثي الخاص بأحداث القرن الثامن عشر السياسية في نجد والحجاز (المملكة السعودية)[1].

المرحلة الثانية :1240هـ/ 1319هـ – 1824/ 1902م.

وتبدأ من 1240هـ-1824م، وهي السنة التي استولى فيها الإمام تركي بن عبد الله على مدينة الرياض، وحرر سائر بلدان نجد من سيطرة محمد علي باشا والي مصر آنذاك.

وفي فترة الانتقال (1233-1240هـ/1817م-1824م) كانت الجزيرة العربية وخاصة نجد تعاني من ويلات نكسة دامت قرابة ست سنوات، عمت البلاد خلالها الفوضى والاضطراب وذلك من جراء سقوط الدرعية بيد ابراهيم باشا وتخريبها وتهديمها بعد حصار طويل، أبلى فيها أهلها بلاء حسنا، وهكذا كانت بداية الدور الثاني، حركة مقاومة الاحتلال، واستمر هذا الدور مدة 17عاما، تناوب على حكم البلاد خلالها ثمانية أمراء هم:

- ❖ الأمير مشاري بن سعود الكبير 1235هـ-1819م.
- ❖ الأمير تركي بن عبد الله 1235-1249هـ (1819-1833م).
- ❖ الإمام فيصل بن تركي 1250-1254هـ (1834-1838م).

[1]– عبد الله بن محمد الحقيل، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية**، ط1، مكتبة العبيكان، 1998م، ص 11، 12.

- ❖ الإمام خالد بن سعود 1254–1257هـ (1838–1841م).
- ❖ الإمام عبد الله ثنيان 1257–1259هـ (1841م–1843م).
- ❖ الإمام فيصل بن تركي للمرة الثانية 1259–1282هـ (1843 م–1865م).
- ❖ الإمام عبد الله بن فيصل 1282–1286هـ/ (1865 م–1869 م)
- ❖ الإمام سعود بن فيصل نازع أخاه عبد الله الحكم خلال الفترة من 1282–1291هـ/ 1865–1874م، وانفرد كل منهما بالحكم خلالها.
- ❖ الإمام عبد الرحمان الفيصل 1306–1308هـ/ 1889–1891م، ولم تدم ولاية عبد الرحمان الفيصل إلا سنتين تقريبا، حيث استولى محمد بن عبد الله بن رشيد – أمير حائل على الرياض وضمها إلى إمارته، ورحل الإمام عبد الرحمان الفيصل إلى الكويت هو وأسرته، وبذلك انتهى الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية.

المرحلة الثالثة 1319هـ–1902م:

وتبدأ من 1319هـ–1902م، وهو العام الذي فتح فيه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمان الفيصل آل سعود الرياض، حيث انطلق منها إلى توحيد أجزاء البلاد تحت راية التوحيد، حتى، تم له بعون الله وتوفيقه تأسيس المملكة العربية السعودية. [1]

أوضاع الدرعية والحجاز في فترة الدولة السعودية الأولى خلال القرن 12هـ–18م (1157–1240هـ)، (1744–1824م)

يرتبط تاريخ قيام الدولة السعودية الأولى سنة 1157هـ–1744م بشخصيتين بارزتين لعبتا دورا رئيسا في تأسيس الدولة (المملكة) وانتشارها في مختلف أنحاء الجزيرة العربية تتمثلان في الشخصية الدينية ويمثلها محمد بن عبد الوهاب والشخصية السياسية ويمثلها محمد بن سعود واللذان عقدا حلفا بينهما لا يزال قائما إلى يومنا هذا، ومادام تاريخ أحداث المملكة العربية السعودية مرتبطا بهذين البطلين ارتأيت أن أقدم نبذه قصيرة أو ترجمة توضيحية لكل شخص منهما.

1– نبذة عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1115–1208هـ/ 1703–1793م

[1]– عبد الله بن محمد الحقيل، **المرجع السابق**، ص 12، 13.

هو محمد بن عبد الوهاب، بن سليمان بن علي، بن محمد بن أحمد بن راشد، بن يزيد بن محمد بن يزيد، بن مشرف التميمي، ولد رحمه الله تعالى سنة 1115هـ/ 1703م، في بلدة العيينة من بلدان نجد، تلقى في طفولته العلم في بلدته العيينة، فحفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة من عمره وكان جاد الفهم وقاد الذهن، سريع الحفظ فصيحا فطنا، روى أخوه سليمان أن أباهما كان يتوسم فيه خيرا كثيرا ويتعجب من فهمه وإدراكه مع صغر سنه وكان يتحدث بذلك ويقول أنه استفاد من ولده فوائد من الأحكام.

وكتب والده إلى بعض إخوانه رسالة نوه فيها بشأن ابنه محمد، وأثنى فيها عليه وعلى حفظه وفهمه وإتقانه، ذكر فيها أن ابنه بلغ الاحتلام قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة من عمره، وأنه رآه حينئذ أهلا للصلاة بالجماعة، لمعرفته بالأحكام فقدمه أبوه ليؤم الناس، وزوجه وهو ابن اثنتي عشرة سنة، بعيد بلوغه ثم أذن له بالحج، فحج وقصد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد أن أدى الزيارة، وكان والده آنذاك قاضي العيينة فقرأ عليه في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان رحمه الله على صغر سنه كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، وكان لسرعة كتابته يكتب في المجلس الواحد كراسا من غير تعب فيحار من يراه لسرعة حفظه وسرعة كتابته [1].

حج بيت الله وزار المسجد النبوي مرة ثانية، ثم حضر مجالس العلماء، وانقطع لطلب العلم واستفاد بالخصوص بصحبة الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف، أحد العلماء المشهورين من المجمعة في بلاد نجد، وكان قد سكن جوار الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعرف بالشيخ محمد حياة السندي بوساطة الشيخ عبد الله بن إبراهيم نفسه، الذي كان من أساتذة الحديث المعتمدين في المدينة، وصار ابن عبد الوهاب من تلامذته الخواص ومكث عنده زمنا طويلا.

توجه الشيخ من المدينة النبوية إلى البصرة ودرس على الشيخ محمد المجموعي الحديث واللغة، ولازم صحبته وكان يريد الشام أيضا لكن قلة الزاد حالت دون همه هذا فرجع إلى حريملاء بطريق الأحساء، حيث انتقل والده في سنة 1139هـ-1726م من العيينة [2]، وفي هذه السنة مات عبد

[1]– ابن غنام، **روضة الأفكار** ، المصدر السابق، ص 81، 82.

[2]– مسعود الندوي، **محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه**، ت: عبد العليم عبد العظيم السيتوي، د.ط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1420هـ، ص 40، 42.

الله بن معمر أمير العيينة، وتولى بعده حفيده محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب بخرفاش، فوقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب نزاع، فعزله عن القضاء وولى مكانه أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الله عالما من علماء الوهبة.

فلما وصل الشيخ محمد إلى بلده حريملاء جلس عند والده وأخذ يقرأعليه، ثم أكب على مؤلفات أحمد بن تيمية وتلميذه محمد بن القيم الجوزية وقد كتب بخط يده رحمه الله كثيرا من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يزال بعضها موجودا بالمتحف البريطاني بلندن.

وكثر منه وهو مقيم في حريملاء الإنكار للبدع والشركيات الموجودة فيها، والمنتشرة في ذلك الزمان بنجد حتى وقع بينه وبين والده كلام، ووقع بينه وبين بلدة حريملاء جدال وخصام.

ولم يصدع بالدعوة ويصرح بإنكار الشرك، إلا بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة 1153هـ/ 1740م، فاشتد إنكاره على الشرك والبدع، وأخذ يعلن دعوته، دعوة التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وأخذ ينشر شرائع الإسلام، ويكاتب أهل بلدان نجد يأمرهم بعبادة الله الواحد الأوحد، وينهاهم عن التعلق بالأولياء والصالحين والأشجار والأصنام وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وانتقل إلى العيينة فتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالقبول والمناصرة، وأكرمه غاية الإكرام، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره ويقبلوا قوله.

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجددا للإسلام في بلاد نجد، بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم، إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإنما كان نجاحه سريعا بتأييد آل سعود له، ومنعهم إياه، ممن يريده بسوء، ما كان آل سعود أقوى بشيوخ عشائر نجد وأمرائها، ولكن الله نصرهم بنصر دينه: "**على الرغم من أن أمراء مكة المعتدين في الأرض، الملحدين في الحرم، قد تصدوا المقاومة، دعوة الإصلاح والتجديد، فأذاعوا في العالم الإسلامي كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للمسلمين. وكان مقامهم بمكة المكرمة مسهلا لهم ذلك، وصدقهم أكثر الناس الذين هم أتباع كل ناعق وسعوا لحمل الدولة العثمانية على قتال آل سعود**". [1] وتزوج الشيخ عند عثمان بالجوهرة بنت عبد الله بن معمر، أثر الشيخ في الأمير عثمان وخرجا معا صحبة جنود عثمان، فهدموا القباب وقطعوا الأشجار، وكان الشيخ رحمه الله هو الذي تولى هدم قبر زيد بن الخطاب بيده، فلم يبق بعد ذلك وثن في هذه البلاد التي كانت تحت ولاية عثمان بن معمر.

[1] – محمد رشيد رضا، **الوهابيون والحجاز**، مطبعة المنار، القاهرة، 1344هـ، ص 6.

ولكن حاكم الأحساء والقطيف الشيخ سليمان بن محمد بن عريعر الحميدي كتب إلى عثمان بن معمر كتابا يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلدته، ويهدده فيه بعزله وقطع مرتبه، وكان أبو عريعر قد أجرى لابن معمر تحصصا شهريا، فانصاع ابن معمر لأمره وأمر الشيخ بمغادرة بلدته، فخرج الشيخ وولى وجهه شطر الدرعية، فوصلها وحل ضيفا بها على أحد تلامذته، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن سويلم، وذلك سنة 1158هـ/ 1745م، فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، أسرع بالمسير إليه ودخل عليه في دار الشيخ محمد بن سويلم وقابله بالبشر والحفاوة العظيمة والإكرام، وقال له بعد السلام: **"أبشر أيها الشيخ بالنصر والمنعمة"** فقال الشيخ: **"وأنا أبشرك بالأجر والعز والتمكين والغلبة، وهذه كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ومن تمسك بها ونصرها غنم في الدنيا وربح في الآخرة"**، وأخذ الشيخ يخبر الأمير محمد بن سعود بحقيقه الإسلام قبل حدوث الشرك وتسرب البدع، ويبين له ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من توحيد الله وإفراده جل وعلا بالعبادة دون ما سواه[1].

2– نبذة عن الإمام محمد بن سعود:

هو الأمام محمد بن سعود، بن محمد بن مقرن، بن مرخان بن إبراهيم، بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة بن مريد، من رؤساء قبيلة عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان تولى حكم الدرعية سنة 1139هـ/ 1726م.

وبعد توليه بسبعة عشر عاما أتى إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فآواه ونصره، حيث أخذ يغزو ويجاهد أنصار الشرك وأحزاب الضلال إحدى وعشرين سنة، حيث توفي في هذه السنة (1179هـ/ 1775م)، فبلغت مدة ولايته رحمه الله أربعين سنة وقد أنجب أربعة أبناء، هم فيصل وسعود اللذان استشهدا في إغارة دهام بن داوس على الدرعية سنة 1160هـ/ 1747م.

والإمام عبد العزيز والأمير عبد الله والد الإمام تركي بن عبد الله فرحم الله الإمام محمد بن سعود ورضي عنه، فلقد ناصر الإسلام ورفع راية التوحيد، وجاهد أعداء الدين وحماة الباطل من

[1]–عبد الرحمان بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ط2، دار اليمامة للبحث والترجمة والطبع، 1394هـ، ص 23، 27.

الوثنيين والمشركين، فأعز الله دولة الإسلام وأظهر به دعوة التوحيد وقد تعاقب أحفاده من بعده على نصرة الإسلام وحماية الدين إلى هذا اليوم[1].

مبايعة الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب:

يشير ابن بشر في كتابه **عنوان المجد في تاريخ نجد،** (ج1) في حوادث سنة 1157هـ/ 1744م، بأنه لما وصل الشيخ إلى بلاد الدرعية نزل عند عبد الله بن عبد الرحمان بن سويلم وابن عمه حمد بن سويلم، فلما دخل على ابن سويلم ضاقت عليه داره خوفا على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ وسكّن جأشه، وقال: **"سيجعل الله لنا ولكم فرجا ومخرجا"**، وعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه وأتوا على زوجته وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلوبهم معرفة التوحيد، وقذف الله في قلوبهم محبة الشيخ[2].

وكذلك يشير ابن بشر أن زوجة محمد بن سعود أخبرته (زوجها) بمكان الشيخ وقالت له: "**إن هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فأغتنم ما خصك الله به**"، كما دخل عليه أخوه مشاري وثنيان، وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته، فقذف الله في قلب محمد محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه، فأراد أن يرسل إليه فقالوا لو تسير برجلك وتظهر توقيره ليسلم من أذى الناس ويعلمون أنه عندك مكرّم، فسار إليه محمد بن سعود ود خل عليه في بيت ابن سويلم فرحب به.

اللقاء بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود:

لما دخل محمد بن سعود على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيت ابن سويلم، رحب به وقال: "**أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعمة**"، فقال له الشيخ: "**وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين. وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجدا كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم البعض فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك**"، وجعل يشرح

[1] –انظر حاشية ابن غنام، **روضة الأفكار ، المصدر السابق،** ص 99.

[2] – عثمان بن عبد الله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** تحقيق عبد الرحمان بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط2، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982م، ص 41.

له الإسلام وشرائعه، فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك وتقرر عنده، طلب من الشيخ المبايعة على ذلك. [1]

المبايعة بينهما:

فبايع الشيخ على ذلك، وأن الدم بالدم والهدم بالهدم وعلى أنّ الشيخ لا يرغب إن أظهره الله، إلاّ أنّ محمد بن سعود شرط في مبايعته للشيخ أن لا يتعرضه فيما يأخذه من أهل الدرعية مثل الذي كان يأخذه رؤساء البلدان على رعاياهم، فأجابه الشيخ على ذلك، فيشركه رغبة فيما عند الله سبحانه، فكان الأمر كذلك، ووسع الله عليهم في أسرع ما يكون.

وهاجر إلى الشيخ أصحابه الذين بايعوه في العيينة، وتزايد المهاجرون من كل بلد لما علموا استقراره وأنه في دار منعة، فلما علم عثمان بن معمر أن محمد بن سعود آوى الشيخ وتقرب وبايعه على دين الإسلام ونصرته والذّب عنه، وأن الدرعية صارت دار هجرة لمن شرح الله صدره لذلك وبعضهم قد أوذي في بلده، وأن الشيخ في زيادة من أصحابه، ندم عثمان على ما فعل من إخراجه، فركب في عدّة رجال من كبار أهل بلده وقدم على الشيخ في الدرعية وطلب منه الرجوع معه لينصره ويأويه، فقال الشيخ: "**ليس هذا إليّ اليوم إنما هو إلى محمد بن سعود**"، فأتى عثمان محمد بن سعود يأبي عليه، وقال: "**ليس ما إلى أردت من سبيل**".

ولما كثر المهاجرون عند الشيخ، ضاق بهم العيش وشدة الحاجة وابتلوا في ذلك بلاء حسنا فكانوا بالليل يحترفون ويأخذون الأجرة، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة إلى أن أتاه الله الرزق الواسع بعد الشدة والامتحان. [2]

قيام الدولة السعودية الأولى وتوسعها وموقف الدولة العثمانية منها:

تمكن السعوديون والوهابيون من الاستيلاء على معظم الجزيرة العربية، بل وصلوا إلى اليمن جنوبا، والشام والعراق شرقا وشمالا، وذلك بفعل تعاليم الدين والتمسك بها من جهة، وتكوين جيش قوي أعد للفتوحات من جهة أخرى، حيث كان قائده الأعلى الأمير محمد بن سعود والجانب السياسي اسند لمحمد بن عبد الوهاب، ضف إلى ذلك الزيادة في ربط العلاقة بين

[1] – ابن بشر، **عنوان المجد، المصدر السابق**، ص 41.

[2] – نفسه، ص 41، 43.

الأسرتين، فإن الأمير محمد بن سعود قد تزوج بابنة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، من المعروف أن أئمة الدولة السعودية الأولى هم محمد بن سعود وعبد العزيز بن محمد، وسعود بن عبد العزيز وعبد الله بن سعود آخر أئمة هذه الدولة، واتخذت هذه الدولة بلدان نجد ومناطقها ميدانا أول وأرحب للتطبيق، خصوصا في البلدان المحيطة بالدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى .

وبعد أن أخذت تتوسع دائرة حدودها وتنتشر دعوتها وبشكل تدريجي في مناطق نجد وفي المناطق الأخرى، غير النجدية حتى تكتمل صورة التوحيد السياسي المبني على أسس الدعوة السلفية وفكرها الديني.

حروب الدولة السعودية الأولى مع بلدان نجد:

تميزت علاقة الدولة السعودية الأولى، بالمعارضة في نجد وخارجها بالكفاح المسلح واستخدام الحل العسكري، فخاضت سلسلة طويلة من الحروب.

وتعد حروبها مع دهام بن داوس أمير بلدة الرياض وقت ذلك من أطول الحروب، التي خاضتها ضد القوى النجدية المعارضة التي تصدت لمقاومة الدولة السعودية الأولى، وهي ما زالت في مطلع تأسيسها، فجهر هذا الحاكم النجدي بعدائه القوي لحكومة الدرعية منذ 1159هـ–1746م، أي بعد اتفاق الدرعية والرياض بقرابة 28 سنة، وانتهى الصراع أخيرا بضم الرياض إلى الدولة السعودية عام 1187هـ/ 1773م، في عهد عبد العزيز بن محمد بن سعود.

وظلت الدولة السعودية الأولى تمارس الجهدين السلمي والعسكري في منطقة نجد حتى السنوات الأولى من مطلع القرن الثالث عشر الهجري أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عندما تمكنت الدولة من بسط سيادتها على جميع بلدان نجد، وتطبيق مبادئ الدعوة الإصلاحية فيها الأمر الذي ساعد على توسيع رقعة تلك الدولة فأصبحت تمتد من الدهناء والصمان شرقا حتى الحجاز غربا ومن حدود جبل شمر شمالا حتى نهاية حدود وادي الدواسر جنوبا، وبهذا تكون الدولة السعودية قد حققت في مشروعاتها التوحيدية الطويلة والواسعة، وفي مرحلتها الأولى والتي ركّزت في المقام الأول على البلدان المجاورة للدرعية ثم توسعت حتى استكملت ضم إقليم نجد كله، وكان على الدولة بعد ذلك أن تعد نفسها لعمل أوسع وجهد أكبر، لأنها أخذت تجابه قوى سياسية

1 Louis Amelie Sedillot, ***Histoire des Arabes***, Librairie Hachette, Paris, 1854, p 455.

أكبر من التي جابهتها في بلدان نجد ومناطقها، حتى أنها وجدت في بعض المناطق مواجهة مذهبية مما قوّى في الوقت نفسه حدة الصراعات والحروب بين الدولة السعودية والقوى السياسية المعادية لها خارج إقليم نجد[1].

توسيع الدولة السعودية وامتدادها خارج نجد:

توفي محمد بن عبد العزيز عام 1179هـ/ 1765م، وخلفه ابنه عبد العزيز، والذي في عهده تم ضم الرياض كما أسلفنا سنة 1187هـ/ 1773م، ثم ضم القسيم والأحساء عام 1208هـ/ 1797، ومكة والطائف عام 1217هـ/ 1802م، ووصلت إمارته إلى جنوب العراق ودخل كربلاء، كما وصلت إلى جنوب الشام، وكان ابنه سعود قائد جيوشه في عام 1216هـ/ 1803م طعن بيد شيعي متطرف وهو يصلي صلاة العصر، فخلفه ابنه سعود في الحكم، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفي عام 1206هـ/ 1791م، فغزا سعود جنوبي العراق في أواخر العام 1218هـ/ 1803م، وكذلك في عام 1220هـ/ 1805م، وفي عام 1223هـ/ 1808م، وأرسل ابنه عبد الله في غزو آخر عام 1225هـ/ 1810م.

وانتشرت الدعوة السلفية في عسير وكان أميرها محمد بن عامر، وتمكن من قتل هذا الأخير عام 1216هـ/ 1801م، ودخلت الحجاز في الطاعة وأغار على أطراف الشام فوصل إلى مزيريب وبصرى، وذلك عام 1225هـ/ 1810م، ومن ناحية الشرق وصلت الدعوة إلى عمان التي كانت تدخل في الطاعة بعض الأحيان وتنقض العهد أحيانا أخرى، وهكذا دانت أكثر الجزيرة العربية إلى سعود ولم يكن منها خارج الطاعة سوى جزيرة البحرين وبعض مراكز النفوذ الانجليزي، إذ دخلت الأحساء في الطاعة منذ 1208هـ/ 1797م واستولى طاهي بن شعيب على تهامة، وكان يومها أمير عسير كما أن إمام صنعاء المنصور وابنه المتوكل قد هادنا سعودا واستجابا إلى شيء من الدعوة السلفية[2].

موقف الدولة العثمانية ومحمد على والي مصر من توسعات الدولة السعودية الأولى:

[1] –أنظر **الموسوعة العربية العالمية**، مجلد 10، ط 2، فهرست الملك فهد، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ، 1999م ص 472، 473.

[2] – إسماعيل أحد ياغي، محمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر 987–1492هـ–(1400–1998)**، ج1، د.ط، د.ت، (الجناح الأسيوي)، ص 69، 70.

نظرت السلطة العثمانية بقلق عميق إلى توسع الدولة الوهابية، إذ أنها وهي المفترض فيها حماية الأماكن المقدسة، قد وجدت نفسها أعجز من أن تبسط سيادتها عليها، كما أن جيوش آل سعود قد بدأت تهدد فعليا مواقعها في سوريا والعراق، وفوق هذا كله فإنها المرة الأولى منذ قيام السلطة العثمانية التي يرفض فيها حاكم سني الاعتراف بخلافة السلطان العثماني، مع كل ما يترتب عن هذا الموقف من نتائج سياسية تهدد شرعية حكمها في البلاد العربية[1]. وقد استمرت الدولة العثمانية على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل، لاعتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية، تزيل ما لهم من السلطان في جزيرة العرب، ويتبع ذلك هدم الخلافة العثمانية. ثم ظهر لها أن مصلحتها تقضي بالاتفاق مع آل سعود، والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها، حتى ما كان بيد الدولة منها، ففعلت ذلك، وعلم بذلك أنها لم تكن تعاديهم لسبب ديني كما كان يظن الجاهلون. [2]

وإزاء عجز الجيش العثماني عن القضاء على الدولة السعودية، استنجد السلطان العثماني بواليه في مصر محمد علي للوقوف في وجه هذا الزحف المتواصل،[3] كلف السلطان العثماني محمود الثاني واليه على مصر محمد علي باشا، على استعادة الحجاز وحرب السعوديين وأمده بالأموال والعتاد.

– الحملة المصرية الأولى 1226هـ/ 1811م بقيادة طوسون بن محمد علي باشا والى مصر:

خرجت من السويس، ونزلت بينبع واستولت على المدينة المنورة وزحفت إلى الجنوب للاستيلاء على مكة ولكن الأمير عبد الله بن الإمام عبد العزيز، تصدى لها وأنزل بها هزيمة عند وادي الصفراء جنوبي المدينة، وطلب طوسون الإمداد من أبيه، ثم نهض واستولى على مكة والطائف.

– الحملة المصرية الثانية حملة محمد علي نفسه 1228هـ/ 1813م.

[1] أنظر مسعود الخوند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج12، د.ط، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، 2004، ص 287.

[2] – محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ص 7.

[3] Bernard Lois, ***The Arabs in History***, Tpord University, Press, Lendand, 1947, pp 176-177.

رأى محمد علي أن ابنه طوسون لا يستطيع انجاز مهمته في الحجاز بالسرعة التي كان يريدها منه، فخرج بنفسه إلى الحجاز من السويس، ومعه جيش قوي وعتاد كبير سنة 1228هـ الموافق لـ: 1813م، واستطاع تمكين سلطانه من مكة والمدينة والطائف ثم سار إلى تربة وأرسل حملة بحرية إلى القنفذة، فدخلت تهامة وعسير ولم تستطع حملته على تربة أن تتغلب على السعوديين وارتد محمد علي إلى جدة وطلب الإمدادات من مصر، وفي تلك الأثناء توفي الإمام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبد الله سنة 1229هـ/ 1814م.

وكانت الإمدادات قد وصلت لمحمد علي فتقدمت قواته وتغلبت على مقاومة الأمير فيصل بن عبد الله عند بسل، بين تربة والطائف، وتقدمت فاحتلت تربة ثم بيشة وعاد محمد علي إلى مكة ومنها إلى مصر أما ابنه طوسون فقد تقدم نحو الحجاز وحاصر الرس في نجد وثبت له الأمير، ثم دخل الجافيان في مفاوضات سنة 1230–1815م، وكان الفريقان مستعدين للاتفاق على أن ينسحب السعوديون من الحجاز وينسحب المصريون من نجد، ولكن محمد علي رفض تلك الشروط وأصر على الاستسلام الكامل[1].

– الحملة المصرية الثالثة (حملة إبراهيم باشا):

سارت الحملة صوب ينبع عام 1231هـ–1816م ثم استولت على المدينة المنورة ثم توجه نحو الحناكية فوصلها أواخر عام 1231هـ/ 1816م، وكانت قوات الدولة السعودية بقيادة الأمير عبد الله بن سعود، التقى مع كتيبة عثمانية مصرية كانت تحت قيادة الضابط علي أوزن في ماوية، انهزمت فيها القوات السعودية، فسار الإمام عبد الله بن سعود إلى الخبراء ثم تركها وتوجه إلى عنيزة، وسار إبراهيم باشا إلى بلدة الرس، فوصلها في 25 شعبان 1232هـ–1817م واستولى عليها، ثم استولى على الخبراء وغادر الأمير عبد الله عنيزة إلى بريدة ، ثم اتجه نحو الدرعية للدفاع عن آخر معقل للسعوديين، حيث كان محيط المدينة يصل إلى 12 كلم.

ضرب ابراهيم باشا الدرعية بمدافعه مدة عشرة أيام متتالية، وازداد تشاؤما أمام صمود الأهالي وأمام اشتعال النيران في مستودع ذخيرته الحربية، وحاول السعوديون من هذا الموقف ولكن دون جدوى خصوصا بعد وصول إمدادات جديدة إلى قوات إبراهيم باشا، وظل الوضع كذلك

[1] –حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1977م، ص 212.

مدة خمسة أشهر وأمام فشل السعوديين بسبب قلة المؤن وطول مدة الحصار، مع نقص في العتاد الحربي أدت إلى استسلام القائد عصاب العنيسي أحد قادة الجبهة السعودية، والذي خرج عن الجماعة وانضم إلى إبراهيم باشا، وتعد وقعة غبراء من أشهر معارك الدرعية 1233هـ-1818م، مما أدى إلى رفع الراية البيضاء، واستسلم الكثير من المجاهدين، فشن إبراهيم باشا هجوما مركزا على جبهات القتال، خاصة جبهة الأمير عبد الله بن سعود، فاضطر هذا الأخير إلى طلب الصلح مع إبراهيم باشا، واتفقا على شروطه في 09 من ذي القعدة عام 1233 الموافق ل: 10 ديسمبر 1818م ومن أهم هذه الشروط.

01- أن تسلم الدرعية لإبراهيم باشا.

02- أن يتعهد إبراهيم باشا على أن لا يوقع الضرر بها.

03- أن يتعهد الإمام عبد الله السفر إلى القاهرة ومن ثم يرسل إلى السلطان العثماني في اسطنبول وذلك عملا برغبة السلطان نفسه، وفعلا أرسل الأمير عبد الله بن محمد إلى القاهرة تحت حراسة مشددة في 1 محرّم 1233هـ/ 1818م، ولكن إبراهيم باشا نقض العهد، وأخرج السكان من الدرعية وهدمها بمدافعه وقطع نخيلها ودمر كل حصونها، تنفيذا لأمر محمد علي وبأمر من السلطان العثماني.

وقد ترتب على سقوط الدرعية عدة نتائج أهمها:

1- عمت الفوضى في نجد لسقوط الدولة السعودية الأولى.

2- ازداد ضعف اقتصاد البلاد النجدية.

3- ازداد نفوذ محمد علي باشا وازداد ضغطه على السلطان العثماني بسبب تحقيق الانتصارات على السعوديين.

4- أخذت بريطانيا تركز نفوذها الاستعماري في ساحل الخليج، خصوصا بعد ظهور قوة محمد علي في المنطقة وتطلعه على نشر سيادته على الجزيرة العربية، في ظل السيادة المستقلة عن العثمانيين.

5- ظهور مقاومة سعودية جديدة في نجد ضد الحكم العثماني المتمثل في سيادة محمد علي باشا وقيام دولة سعودية ثانية.

6– ظهور تأييد وطني محلي في نجد للأسرة السعودية ساعدها على إعادة بناء الدولة السعودية من جديد.

7– تأصل في البلاد النجدية مبدأ كره الحكم الأجنبي وما يظهر ذلك من أمور تلتصق به.

8– ظهور القوى السياسية المحلية في المناطق التي تكونت منها الدولة السعودية الأولى قبل سقوطها[1].

العلاقة الخارجية للدولة السعودية الأولى:

نظرا للتنافس التقليدي بين فرنسا وبريطانيا حول المستعمرات، خاصة في بلاد الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، فإن كلا من الدولتين حاولتا الاتصال مع الدولة السعودية الأولى لتحقيق مصالحهما في المنطقة، على حساب الوحدات السياسية للخليج، مستغلتين العداء التقليدي لكثير من مشيخات الخليج مع الدولة السعودية، بسبب المد السعودي في المنطقة، وكانت هذه الوحدات تستعين بقوات الدول الأوربية الكبرى للوقوف ضد التوسع السعودي، وخاصة بريطانيا التي كانت على علاقة مع مشيخات الخليج كاليمن وعمان، وقد استعانت سلطنة عمان بالفرس ضد السعوديين وكذا الحال بالنسبة للبحرين.

1– علاقة الدولة السعودية مع بريطانيا:

لم تكن علاقة الدولة السعودية مع بريطانيا وطيدة، وإنما ظلت محدودة وفي مناسبات معينة وظروف سياسية خاصة، مثل التحالف القائم بين الدول السعودية والقواسم اللذين ظلوا في عداء تقليدي مع كل من سلطنة عمان ومسقط وبريطانيا، جرّ هذا العداء الدولة السعودية الأولى إلى خلافات مع بريطانيا.

علما أن بريطانيا كانت لا ترغب في العداء مع السعوديين حفاظا على مصلحتها الاقتصادية والتي تتركز على الساحل، وبالتالي فهي تخسر كثيرا في حال تدخلها في المناطق الداخلية من الجزيرة العربية.

وزاد إلحاح بريطانيا على هذا النمط من التقارب بينها وبين الدول السعودية الأولى، عندما زاد خلاف بريطانيا مع المسؤولين العثمانيين في ولاية البصرة جاءت بعثة بريطانية برئاسة رينود،

[1] – **الموسوعة العربية العالمية**، المرجع السابق، ص 478، 480.

مساعد الوكيل البريطاني لشركة الهند الشرقية البريطانية في الكويت إلى الدرعية عام 1214هـ/ 1799م، لإجراء محادثات مع المسؤولين السعوديين، وعلى رأسهم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حول إيجاد نوع من العلاقات الودية وحسن المعاملة بينهم بعد الخلاف القائم بين الطرفين الذي تمخض عن تدخل حرس الوكالة البريطانية في الكويت مع القوات الكويتية في رد هجوم سعودي ضد الكويت، مما أدى إلى تعرض بريد شركة الهند الشرقية البريطانية المار من البصرة إلى حلب لاعتداءات القبائل التابعة للدولة السعودية الأولى، بالإضافة إلى مساعدة بريطانية لحكام سلطنة عمان والبحرين في موقفهم المعادي للسعوديين، وموقف بريطانيا المعادي اتجاه القواسم المحالفين للسعوديين.

ولقد استقبل السعوديون بعثة رينود استقبالا يليق بكرم الضيافة العربية، وعلى رأسهم الإمام عبد العزيز بن محمد وتركزت البعثة على مبدأ تأمين شركة الهند الصينية البريطانية، على الرغم من حسن استقبال رينود فان بعثته لم تحقق نجاحا يذكر، لأن السعوديين ظلوا متحسسين من الأجانب النصارى وكانوا حريصين كل الحرص على تجنب إقامة علاقة مفتوحة بينهم وبين بريطانيا الدولة النصرانية الاستعمارية وهو أمر تفرضه مبادئ الدين الإسلامي التي قامت عليها الدولة السعودية الأولى[1].

كما أن بريطانيا كانت تتعامل بنفاق سياسي خطير اتجاه الدولة السعودية الأولى، ذلك ما نجده في موقفها المؤيد لمحمد علي في غزو الحجاز ونجد.

لقد كانت سعادة بريطانيا كبيرة عندما علمت بسقوط الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى في أيدي قوات إبراهيم باشا، باعتبار أن السعودية كانت تؤيد القواسم وتدعمهم في جهادهم ضد بريطانيا في الخليج العربي، مما يعني تهديد المصالح البريطانية في المنطقة، حيث أدركت بريطانيا مدى الاستفادة من هذه الظروف، فأسرعت بزف التهاني إلى إبراهيم باشا من مبدأ الاحتواء في ضوء المصالح الذاتية لها، وبعثت الكابتن جورج فورستر سادلير ليهني إبراهيم باشا على

[1] - **الموسوعة العربية العالمية**، المرجع السابق، ص 483، 484.

احتلاله للدرعية ولمحاولة إيجاد قاعدة يمكن من خلالها التنسيق بين قوات الباشا البرية والقوات البريطانية البحرية للقيام بعمل حربي مشترك ضد القواسم، أتباع الدولة السعودية الأولى[1].

وتميزت العلاقات البريطانية السعودية بما يلي:

1- كانت بريطانيا تنفذ مخططها أولا ثم ترجع بعد ذلك إلى الأسلوب الدبلوماسي الهادئ، إذ لا داعي للتشدد بعد نيل المرام .

2- كانت بريطانيا واقعية في تعاملها، لأنها تتعامل مع دولة محلية قوية وحدودها واسعة ولها تأثيرها الكبير في المنطقة.

3- كانت بريطانيا تحاول من خلال موقفها اللين تجاه الدولة السعودية الأولى أن تحد من التدخل السعودي في مناطق نفوذها في الخليج.

4- حاولت بريطانيا أن تجعل نفسها دولة محايدة في المنطقة، كي تتمكن من أن تقوم بدور الوسيط الفاعل في الخلافات، التي تنشب بين الوحدات السياسية في المنطقة.

5- حاولت بريطانيا أن تكون علاقتها بالدولة السعودية في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي علاقة ود وسلام، على الرغم من أنها كانت في الخفاء أحيانا وبشكل علني أحيانا أخرى تساعد القوى المحلية الخليجية المعادية لها.

وعموما فإن موقف بريطانيا من الدولة السعودية اتسم بالخبث والكراهية، لأنها كانت لا ترغب بحال من الأحوال أن ترى دولة محلية قوية تجاورها في الخليج، ولها عرى وصداقة وأخوة وجوار مع القوة المحلية الخليجية، ويتضح ذلك أيضا مما ألصقه المسؤولون البريطانيون من تهم وصفات جارحة بالدولة السعودية الأولى من خلال وثائقهم الرسمية عنها.

ب– علاقة الدولة السعودية مع فرنسا:

لم تكن علاقة الدولة السعودية الأولى بفرنسا واضحة، كما هو الحال بالنسبة لوضوحها مع بريطانيا، فقد بدأت تلك الملامح بالظهور بعد حملة نابليون على الشرق كجزء من الصراع الفرنسي البريطاني، فقد حاول نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا أن يتصل بسكان الشرق كي يفيد منهم في دعم موقف فرنسا ضد الأوربيين خصوصا بريطانيا .

[1] – علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007م، ص 327.

وزاد التطلع الفرنسي للمنطقة في فترة الحروب النابليونية في أوربا، ومن هنا وجهت فرنسا بعثة فرنسية برئاسة جردان للقيام بنشاط كبير في بلاد فارس ومناطق الخليج ذات الصلة بالطرق البحرية الموصلة إلى الهند لضرب خطوط المواصلات البريطانية في الشرق، كجزء من الموقف الفرنسي المنافس للاستعمار البريطاني في المنطقة ولكن باءت محاولاتهم بالفشل[1] ، كما أرسل نابليون ممثلا عنه لبلدان الخليج ورسولا خاصا اسمه دولا سكاري 1220هـ/ 1811م ليجمع في حلف القبائل بوادي الشام والعراق وفارس ليعاهدوه على تسهيل زحف جيشه حتى نهر السند وأن يفتحوا له الطريق التي كان الإسكندر قد سلكها ، فقام دو لاسكاري بما عهد إليه وتوغل في فيافي الصحراء مارا من تدمر وعلم من أول قبيلة زارها أن الأعراب مقسومون إلى أربعة أحزاب وهي:

1- **الحزب الأول**: أصدقاء الترك الذين تتألف منهم أفخاذ قبيلة عنزة ويرابطون على حدود سوريا.

2- **الحزب الثاني**: هو أعظم من الأول و يتألف من ممثلي العنصر العربي الحاقدين بشدة على كل من يجري في عروقه غير دم العرب ويقيمون في صحاري العراق.

3- **الحزب الثالث**: هو حزب بدوي فارسي.

4- **الحزب الرابع**: هو حزب الوهابيين.

ويرى "دولا سكاري"، أن يتوجه إلى الحزب الثاني (العنصر العربي العراقي) وكان يحب أن يربط الوهابيين به ، وكانت ضرورة مقاومة الترك تقضي على حلفاء فرنسا الجدد بأن يجعلوا السلطة في قبضة زعيم واحد فكان دريعي (*DRAYHY*) الرجل المحارب والرفيع الذكاء ومضى دريعي ممثل نابليون في جزيرة العرب معاهدة مع عدة شيوخ سنة 1811م/ 1220هـ، نصت على ما يلي:

1- أن يخاصموا العثمانيين خصاما أبديا.

2- أن يقاتلوا الوهابيين قتالا لا هوادة فيه.

3- أن لا يخلطوا بين الدين وشؤون السياسة.

4- أن لا يحاربوا القبائل التي لا تنضم إليهم.

5- أن يقتلوا كل من يخون القضية المشتركة.

[1] - **الموسوعة العربية العالمية**، المرجع السابق، ص 484، 485.

6- أن يطيعوا دريعيا .

ويلتقط الإنجليز ذلك النبأ ويستعينون بالليدي ستينهوب على جميع أعراب سورية بالعثمانيين ويدفعون أموالا إلى الوهابيين ليحلوا ذلك الحلف الشامل لنحو 600 خيمة وتدور رحى الحرب بالقرب من حماة بين ثمانين ألف عربي من رجال ذلك الحلف ومائة ألف وهابي، فتم النصر لدريعي ليهزم أعداءه ويصل الى حدود نجد، حيث ذهب دولا سكاري ودريعي إلى الدرعية ليوضحا له ذلك، فبدا سعود صعبا بسبب ارتباطه مع الإنجليز، رغم ذلك فان دولا سكاري قد وفق في بعثته سنة 1812م/ 1227هـ.

غير أن انهزام نابليون في موسكو حال دون تحقيق أمنية "دولا سكاري"، وأبصر تبدد أحلامه فمات غما ووقعت وثائقه في يد الأعداء وأدت النكبة التي سقط بها نابليون إلى سير الجيوش العثمانية طليقة إلى جانب قوات محمد علي الذي أرسله ابنه طوسون لاحتلال الحجاز ونجد سنة 1811م/ 1226هـ[1].

مما سبق يمكن القول:

- أن مصر والحجاز دخلتا تحت الحكم العثماني في نفس السنة (923هـ / 1517م)

- كانت مصر في حالة فوضى واضطراب وعدم استقرار خلال القرن 12هـ/ 18م، حيث سيطر عليها المماليك وأسرهم المتنفذة، كالقاسمية والفقارية والغازدوغلية، أدى ذلك إلى حروب أهلية وحركات انفصالية كفتنة إفرنج أحمد 1708م/ 1120هـ، وحركة علي بك الكبير 1768م/ 1182هـ، وحركة إبراهيم بك ومراد بك 1791م/ 1206هـ، مما شجع إلى سرعة الاحتلال الفرنسي سنة 1798م/ 1213هـ، والانجليزي 1801م/ 1216هـ، وتنافسهما على احتلال مصر.

- أن الشعب المصري شعب أبي مقاوم لم يقبل الخضوع للحكم الأجنبي، وكان قادة مقاومته علماء أجلاء وشيوخ من أمثال الشيخ الدردير والشيخ الشرقاوي والشيخ السادات.

- كانت شبه الجزيرة العربية والحجاز ابان القرن 12هـ/ 18م، وقبله تعيش في الجهل والفقر والتناحر بين القبائل وعادت إلى جاهليتها الأولى، تتخبط في الشركيات وعبادة الأضرحة والأولياء.

[1] – ل .أ –سيوديو، **تاريخ العرب العام، حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية**، ت. عبد الله على الشيخ ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص 443، 445.

– لعب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود دورا رئيسا في تأسيس الدولة السعودية الأولى (1157–1240هـ/ 1744–1824م) التي لعبت دورا هاما في نهضة الدولة السعودية الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية، حيث قضت على الشركيات ودعت إلى التوحيد الصحيح من الكتاب و السنة على المذهب الحنبلي.

– خاضت الدولة السعودية الأولى حروبا كثيرة داخليا في نجد وخارجيا مع الدولة العثمانية ومحمد علي الذي حاول احتلالها ثلاث مرات: 1811، 1813، 1816، واستطاع أن يستولي على الحجاز ونجد سنة 1817م.

– كانت للدولة السعودية الأولى علاقات خارجية مع بريطانيا وفرنسا ولكنها اتسمت بالمكر والخداع والحذر الشديد.

الفصل الثاني:

حياة الشيخ الدرعي وعصره:

أ– نبذة عن حياة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الأغلاني

من حيث:

– مولده وتربيته.

- شيوخه.
- خلافته في تسيير شؤون الزاوية الناصرية.
- تلامذته.
- صفاته وأخلاقه.
- أعماله وإنجازاته.
- دوره في بناء الزوايا والمساجد في تمغروت.
- الزاوية الناصرية وموقعها.
- دار الكتب الناصرية

ب – تلخيص الرحلة:

أتناول في هذا الفصل بعض الجوانب من حياة الشيخ أحمد بن محمد الدرعي (صاحب الرحلة)، من حيث: مولده ونشأته مع نبذة عن حياة أبيه محمد بن ناصر الدرعي، وأمه حفصة الأنصارية، مع التركيز على شيوخه وتلامذته وآثاره العلمية وانجازاته العملية ،كبناء الزوايا والمساجد ودوره الاجتماعي والتربوي بتامغروت في الدرعية أين كان يخدم الطلبة والفقراء.

وكذلك نعالج مؤلفه العلمي المهم المعروف والمشهور باسم الرحلة الناصرية، والتي تعد أهم إنجاز علمي مؤلف لدى الشيخ الدرعي، والتي أثار فيها جوانب مهمة من التاريخ ومختلف العلوم الدينية؛ كالفقه، والسيرة، والتفسير، إلى جانب الشعر، والأدب، والنوادر، ووصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي مر بها وزارها في المغرب والمشرق العربيين، من خلال رحلته خاصة في مصر والحجاز، مع تعرضه لذكر العلماء الذين أجازوه في مصر والحجاز في حجاته الأربع، وكانت حجته الرابعة سنة 1121هـ-1709م، والتي جمعت كل رحلاته، وهي المشهورة بالرحلة الناصرية، والتي كانت نهايتها يوم الخميس 06 رمضان 1122هـ، 19 أكتوبر 1710م، انطلاقا من الزاوية الناصرية بسجلماسة، والرجوع إليها، وكانت بدايتها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأول عام إحدى وعشرين ومائة وألف 1121هـ، 1709م.

أ- نبذة عن حياة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الأغلاني من حيث مولده ونشأته وتعلمه وتربيته:

هو أحمد بن الشيخ سيدي محمد فتحا بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين ابن ناصر بن عمر، هكذا كان والده يكتب رضي الله عنه في نسبه، الدرعي الأغلاني الشيخ الإمام الأوحد نقل صاحب الدرر من خطه ما نصّه: «**حدثني والدي رحمه الله، أن أمي لمّا حملت بي وحان وضعها نام والدي يوما في بيت سيدي عبد الله بن حسين رضي الله عنه، دخل خلوته فآتاه آت في المنام فقال: أسعد الله المولود، قال: «فاستيقظت فلم أجد أحدا، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه»**[1].

ولد كما بخط والده رضي الله عنه نصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان عام سبعة بموحدة وخمسين وألف (1057هـ/ 1647م)، ووافق سابعه يوم ختم صحيح البخاري، ونشأ في صيانة وعفاف.

[1] العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، ج2، د.ط، المطبعة الملكية، الرباط 1974، ص 357، 358

شيوخه:

تخرج على يد والده الشيخ سيدي محمد واستخلفه بعده، وحضر عليه في التفسير والحديث والعربية وأصول الدين، وغير ذلك، وعن الإمام أبي سالم العياشي فسمع منه الصحيح وأجازه فيه وغيره، وعن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي الفتوح التلمساني، وعن الفقيه أبي العباس الجزولي وغيرهم من أصحاب أبيه، وحج مع والده سنة ست وسبعين وألف (1076هـ/ 1665م)، وسنه يومئذ 19 سنة واجتمع بعلماء مصر والحرمين الشريفين وأخذ عنهم، ولما مرض والده دخل عليه المترجم ليلة من رجب سنة 1084هـ/ 1673م، فقال: "**إذا أنا مت فخليفتي أحمد**"، وقد أشار الصالحون بذلك قبل ولادته، فلم يلبث بعد ذلك أن توفي بنحو سبعة أشهر، وكان سنه آنذاك سبعا وعشرين سنة وخمسة أشهر، ووفد عليه للتعزية سيدي الحسن اليوسي وسيدي أحمد بن عبد القادر التاستاوتي وغيرهما[1].

أبوه:

ابن ناصر الدرعي، محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر أبوعبد الله الدرعي ولد سنة ألف وأحد عشر هجري (1011هـ/ م1602م)، من صلحاء المالكية وعلمائهم في المغرب، كانت له زاوية وأتباع كثيرون وهو الممدوح بالقصيدة لليوسي، كان من أهل درعة قرب سجلماسة وهو أستاذ العياشي صاحب الرحلة، عني في أول أمره بجمع الكتب نسخا بخطه وشراء وتصحيحا ومقابلة مع كتابة الفوائد على حواشيها وطورها على ضيق معيشته، وكان ينام مع أهله على التراب لضعف ماله من شراء حصير أو فراش، أهدى إليه أحد تلامذته حصيرا، فآثر وضع كتبه عليه وحفظ كثيرا من المتون، وكتب منها التسهيل والقاموس وأثرى بعد ذلك، وحج مرتين أولاهما سنة 1070هـ/ 1659م، فقرأ على بعض علماء الحرمين والأزهر.

له تصانيف منها فتاوى في الفقه، وهو فهرسة لشيوخه وكتاب الأجوبة الناصرية وسيف النصر لكل ذي بغي ومكر (رجز)، والممتع بشرح المصنع في علم الفلك، وغنيمة العبد المنيب في التوسل، والدرعية(منظومة في فقه مالك) وشرح فرائض خليل، وشرح لامية الأفعال وكتاب في المناسك وآخر في الطب وآخر في خطبه وإصلاحات في العربية وهوامش على صحيحي البخاري ومسلم، بدأها بعضهم بجمعها وجمع ابنه أحمد كل مكاتباته مع أهل زمانه في تأليف مستقل[2].

---

[1] – **نفسه** ، ص، 357 ، 358.

[2] – **الزركلي** خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج7، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، ماي، 2002م، ص 63، 64.

ويقول عنه محمد المحبي في "**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**" ،"**ابن ناصر الدرعي العربي النحوي اللغوي، الناظم مجدد الطريقة الشاذلية، مربي العلماء والفقهاء بركة المغرب، صاحب الكشوفات وأوحد الدهر، أجمع أهل المغرب على جلالته وعظم قدره، وما أظن أحدا بلغ رتبته في الاشتهار عندهم، فإني كثيرا ما أسأل عند آحاد المغاربة فيبادروني بذكر فضائله وولايته بأول وهلة، ولا أراهم في وصف غيره كذلك وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين وألف (1085هـ/ 1674م) رحمه الله تعالى**"[1].

يتصل نسبه لجعفر بن أبي طالب، هاجر أجداده إلى درعة في صدر القرن العاشر هجري[2].

كان سيدي محمد رأسا في العلم والعمل والولاية ماهرا في الحديث والتفسير والتصوف يستظهر تسهيل ابن مالك وجل استفادته في العلوم الظاهرة عن شيخه سيدي علي بن يوسف الدرعي، وأجاز له سيدي محمد بن سعيد المراكشي، ولقي سيدي أبا بكر السجستاني في رحلته للمشرق واستفاد منه، وأما شيخه في طريق القوم، فهو الشيخ القطب سيدي عبد الرحمان بن حسين التمجروتي الدرعي الرقي عن سيدي أحمد بن علي الدرعي، عن سيدي الغازي، وأخذ عنه أئمة أعلام، كالعلامة اليوسي، وهو الممدوح بداليته المشهورة بين أهل الأدب التي لم تسمح قريحة بمثلها، وعارض بها دالية البوصيري في مدح أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وتلامذته وأتباعه كثيرون جدا، وصيته كثير ومن كلامه إذا ما رأى من أحد فترة في طلب العلم: "**مسألة تستفاد وتزداد، خير وأفضل من ملك بغداد** ".

توفي رحمه الله في صفر الخير، غروب شمس الثلاثاء، السادس عشر من سنة خمس وثمانين وألف (1085هـ) بوادي درعة، ودفن من الغد بزاوية شيخه أيضا وأخيه في الله ومحبه سيدي أحمد بن عبد الله الأنصاري الدرعي خلف ظهره[3].

أمه:

أما أمه، فيشير صاحب كتاب طلعت المشتري في النسب الجعفري نقلا عن صاحب الدرر قال صاحب الدرر: "**نقلنا بخط سيدي الخليفة رضي الله عنه في كرّاسة، ألفها في التعريف بوالدته حفصة الأنصارية**" ما نصّه: "**هي حفصة بنت عبد الله بن محمد بن علي، من زاوية سيدي الناس وذرية سيدي الحاج إبراهيم بن عبد الله، والد سيدي احمد بن إبراهيم، توفي والدها، وتركها صغيرة دون بلوغ في حجر أمها وربتها**

[1] – المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، المجلد الرابع، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 238.

[2] – محمد حجي: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، د.ط، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964م ص 57.

[3] – الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء الصلحاء بفاس**، ج1، د.ط، تحقيق الحفيد الدكتور الشريف محمد بن علي الكتاني، د.ت، ص 294، 295.

أحسن تربية، وكانت تأتي بها في المواسم لزيارة الأشياخ، وكانت بارعة الحسن وافرة الحياء، وكان القطب أحمد بن إبراهيم لم يتزوج في حياة شيخه عبد الله بن حسين". وقال: "**أخاف أن تشغلني الزوجة عن خدمة الشيخ**"[1].

فلما توفي شيخه ابن حسين المذكور قضى الله له بعد التوقف والمشاورة لوالده الشيخ سيدي محمد بن ناصر بأن يتزوج السيدة حفصة وكانت السيدة حفصة عند سيدي أحمد بن إبراهيم وكانت لا تلد إلا البنات فقال سيدي عبد الله بن حسين ذات يوم: "**أن حفصة تلد ولدا يرث سبعة أقطاب**" فظن الناس أنه يكون من سيدي أحمد بن إبراهيم، فلما توفي ولم يولد له ولد استرابوا في كلام الشيخ سيدي عبد الله حتى تزوجها الشيخ سيدي محمد بن ناصر، فصدّق الله مقالته، وولدت سيدي أحمد الخليفة قال: "**هذا القاضي الأعدل أبو عبد الله محمد بن موسى الأصحافي في رسالته التي خاطب بها الطائفة الناصرية بعد وفاة الخليفة المذكور، رحم الله الجميع**". [2]

وقد وجد بخط يد الشيخ محمد بن ناصر رضي الله عنه على"**السفر الثالث للإحياء للغزالي ما نصّه**"**الحمد لله ولد لي أحمد ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان عام سبعة (بتوسط الموحدة)وخمسين وألف (1057هـ/ 1647م) أحياه الله حياة طيبة**"[3].

وذكر صاحب الدرر أنه وجد بخط يد سيدي أحمد الخليفة المذكور مخبرا عن نفسه، أنه "**ولد وقد إبهار الليل، ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان، ووافق سابعه يوم ختم صحيح البخاري، ونشأ في صيانة وعفاف، وتخرج على يد والده الشيخ سيدي محمد واستخلفه بعده**"[4].

خلافته في تسيير شؤون الزاوية الناصرية:

نقل غير واحد عن خط الولي الكامل أحمد بن عبد القادر رضي الله عنه، ما نصّه: "**كنت ذات يوم أمام الشيخ أبي عبد الله بن ناصر، رضي الله عنه في مجلسه، فقلت له: يا سيدي من الخليفة بعدك؟ فقال: أحمد، فقلت له: يا سيدي لماذا وهو أصغر إخوته ؟ فقال: لأمور ثلاثة فمنها أن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم لما قربت وفاته كان يقول لي: تزوج حفصة فإنك تلد معها رجلا صالحا خيرا مني ومنك، الأمر الثاني، أني كنت يوما في خلوة وذلك يوم ولادته فسمعت هاتفا من قبل الله يقول يا محمد بن ناصر "اليوم يولد لك رجل صالح"، الثالث أني كنت أرسل أولادي مع الطعام للأضياف لكل واحد نوبة، فتكون نوبته هو**

---

[1] – **الناصري** أحمد بن خالد الناصري، **طلعت المشتري في النسب الجعفري**، ج2، د.ط، *Harvard Collage Library* ص 17، 18.

[2] – نفسه، ص 17، 18.

[3] – نفسه، ص18

[4] – الناصري محمد المكي الناصري، **الدرر المرصعة**، د.ط، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، د.ت، ص 81.

أفضل من الجميع لبقاء الطعام في الأواني. ويقول المترجم عن نفسه: حدثتني والدتي رضي الله عنها أمام أبيه ذات يوم وأولاده حاضرون فقال: يا أولادي، إياكم أن تحدثكم أنفسكم أني فضلت أحمد عليكم، عن هوى فإنكم كذلكم أولادي وإنما جاء هذا من عند الله، فإن أهل الله هم الذين أقاموه قبل أن أتزوج بأمه" وقال تلميذه العلامة المتفنن الصالح الشهير أبوعلي الحسين بن أحمد بن شرحبيل البو سعيدي، في تأليفه المسمى (هداية مالك الأمر في مؤازرة سيف النصر)، في طالعته بعد التعريف بناظمه الشيخ سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه ما صورته: **"ثم تولى بعده بأمره وإذنه وتوكيله قبل مرضه بأزمنة وقد ترك التصرف في الزاوية وأمورها كلها في صحبته، وولى ذلك ولده المرتضى وخليفة سيف السنة المشتهى سيدنا ومولانا أبا العباس، وقانا الله وإياه مصارع البأس تولية شرعية بحضور الجمع الغفير من الأئمة المشاهير والفقهاء الأكابر"**[1].

وقال الشيخ سيدي أحمد بن عبد القادر رضي الله عنه في" **النزهة**": **"سألت الشيخ رضي الله عنه عن الخليفة بعده"**، قال لي: **"أحمد وصيي وخليفتي من بعدي في سيره، وقد بشرت به في بطن أمه"**[2].

حج أربع مرات، الأولى مع والده سنة 1076هـ/ 1665م، ست وسبعين وألف، ويومئذ كان سنه تسع عشرة سنة، والثانية سنة 1096هـ/ 1684م، ست وتسعين وألف، وزار في طريقه سيدنا عقبة بن نافع الفهري، وكان معه فيها بعض أصحابه كالقاضي سيدي أحمد بن إبراهيم المراكشي والفقيه سيدي عبد الله بن إبراهيم السملالي إمام مسجد طلحة، وسيدي محمد بن عبد العزيز الرسموك وحضروا في طرابلس الجهاد مع العدو الكافر.

ولما حلّ بالمدينة المنورة مدحه شعراؤها، واجتمع بالشيخ إبراهيم الكوراني مجيزه، والشيخ إسماعيل وأجازه وأسند إليه قراءة القرآن والحديث عن الشيخ علي الشبرماسي عن الشيخ الحلبي، صاحب السيرة، عن القاضي شمهروش، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتلاقى بمصر بشيخه علي بن محمد الزعتري وقرأ عليه كتب التوقيت ورسالة الشيخ محمد الحطاب وأبي الفتح، في"**العمل بنصف الدائرة**"، وأجازه عامة.

وكانت حجّته الثالثة سنة 1109هـ/ 1697م، تسع ومائة وألف، وزار قبر أبي لبابة الصحابي رضي الله عنه، ولما وصل قرأ على الزعتري رسالة أبي الفتح المقدم، ورسالة في علم الإسطرلاب، ورسالة في علم كرة العالم واجتمع بالبقري الشيخ محمد بن قاسم البقري، فقرأ عليه الفاتحة وصدرا من سورة البقرة إلى (المفلحون)، بقراءة ورش وأجازه.

---

[1] – الناصري احمد بن خالد مصدر سابق ، ص 18، 19.

[2] – نفسه، ص 19 ، 21.

وكانت حجته الرابعة سنة إحدى وعشرين ومائة وألف (1121هـ/1709م)، وقد جمعت رحلته الكبرى المشهورة هذه الرحل كلها، وهي المشهورة الموجودة بأيدي الناس[1].

يقول المترجم في الرحلة الناصرية عن نفسه، في حجته الثانية سنة 1096هـ/ 1684م: **"ومن جملة أهل ودّنا بمصر المتواضع على رفقة أهل وقته، شيخنا الشيخ أبو الحسن علي الزعتري إمام الموقتين بالديار المصرية، وكنّا رجونا لقياه فاستقبلنا بموته "فإنا لله وإنا إليه راجعون". وقد كنّا قبل هذه المرة قرأنا عليه كتب التوقيت ورسالة الحساب ورسالة على نصف الدائرة للشيخ عبد العزيز الموقت، ولازمت إتيان مجلسه بداره على عشرة، مدة إقامتنا بمصر ضحى كل يوم فقرأنا عليه رسالة أبي الفتح في العمل بنصف الدائرة ورسالة في علم الإسطرلاب ورسالة على كورة العالم، وأعطانا رضي الله عنه كورة صغيرة متقنة من نحاس اشتريتها على يده واختبر عملها، فألفاها متقنة الصنع على منهج المعروف والسير المألوف، وأتحفنا بعض الأحبة بإسطرلاب [2] صغير يعطى التحقيق في الجلي والدقيق وأجازنا، رضي الله عنه عام سبعة بتقديم السين وتسعين بتقديم المئات أي 1097هـ/ 1685م**، ونص إجازته: **"الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فقد قرأ علي سيدي أحمد بن سيدي محمد بن ناصر المغربي رسالة العلامة أبي الفتح في العمل بنصف الدائرة قراءة جمع وإتقان ورسالة العلامة الشيخ محمد الحطاب في معرفة التواريخ والأوقات قراءة جمع وإتقان، وقد أجزته بإقرائها للطلبة بشرطه وأجزته لجميع ما تجوز في روايته بشرطه، وأنا الفقير علي الزعتري الشافعي وذلك في مجالس متعددة، آخرها أواخر ربيع الثاني من شهور سنة سبعة وتسعين وألف من الهجرة النبوية/ 1685م، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"**[3]. ثم يختم، ومما أجادنيه وأنشدنيه.

إذا مضى القرن الذي أنت منهم وخلفت في قوم فأنت غريب[4]

ويقول كذلك:

---

[1] – العباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ص 358، 359.

[2] –الإسطرلاب: آلة فلكية لقياس ارتفاع الشمس أو النجوم: أنظر عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة الفقه المالكي**، ط1، دار الغرب بيروت، 1983م، ص 24.

[3] – الرحلة،و،و،55 ،56

[4] – تفسه ، و ،56.

"وممن أجازنا بمكة من السادات، أبو محمد عبد الله بن سالم البصري، وقد كان أجازنا بلفظه، ثم بعث إلينا بالإجازة إلى بلد تابع لبعض أصحابنا، ونص إجازته"بسم الله الرحمان الرحيم وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان والأكملان على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ...

أما بعد، فقد التمس مني الفقير إلى الله تعالى مولانا وسيدنا العلامة، القدوة الكامل الفهامة مولانا الشيخ أحمد بن مولانا، شيخ الإسلام، الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، نفعنا الله تعالى به وبأسلافه، فإني أجيزه برواية الكتب الستة التي هي، دواوين الإسلام ورواية موطأ مالك، فقد أحببته إلى طلبته أن يرووا جميعا عني، وأن يروي جميع من ينتج عني روايته، والفقير لم يكن أهلا لذلك وما وسعني إلا إجابته نفعنا الله به"[1].

وكذلك إجازتي: "في الشيخ الفاضل اللوذعي والكامل الألمعي الشيخ حسين بن محمد بن علي بن شرجيل البوسعيدي الدرعي، أن يروي جميع ذلك سلك الله بنا وبهما أحسن المسالك، وذلك بحق أخذ هذا الكتاب وغيرها من مشايخ جلة، من مشايخ الإسلام والعلماء الأعلام كالشيخ حسين بن محمد الجعفري والشيخ محمد بن سليمان وغيرهما، وأجلهم شيخ الإسلام محمد بن علاء الدين الملالي، وذلك عام مجاورته بمكة المشرفة سنة ستة وسبعين وألف (1076هـ/ 1665م) ، والمسؤول عن المجازين المشار إليهما أن لا ينسياني من دعائهما الصالح وفقني الله وإياهما لصالح القول والعمل وجنبنا الزيغ والزلل ونسأله أن يميتنا على سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين كتبه الفقير لله سبحانه، عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم البصري منشأ، المكي مولدا، الشافعي مذهبا، لطف الله به وبالمسلمين آمين. حرر في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة(الحرام)سنة اثنين وعشرين ومائة وألف"[2] (1122هـ/ 1710م).

ويقول كذلك: "ومن لقينا بالمدينة المنورة خطيب الحرم الشيخ إبراهيم، قرأت عليه حديث "إنما الأعمال بالنيات، ..."، فأجازني ونص إجازته: "أحمد الله سبحانه ونسأله أن يصلي ويسلم على نبيه وأشرف خلقه مولانا محمد وآله وصحبه وأتباعه وإخوانه، أخذت قراءة القرآن والحديث عن العارف بالله تعالى الشيخ علي الشمولي، عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة عن القاضي شمهروش عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أجزت الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر، أن يروي بهذا السند الشريف العالي المنيف، حديث سيد المرسلين وحبيب رب العالمين كتاب البخاري وغيره من الكتب، قد قرأ عليّ حديث" ِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، ..." نفع الله به المسلمين وجعلني الله وإياه في بركة سيد المرسلين آمين"[3].

---

[1] – نفسه، و، 96

[2] – نفسه، و، 97.

[3] – نفسه، ص 135.

ويروي كذلك عن نفسه، أنه التقى عام ستة وتسعين وألف (1096هـ/ 1684م)، كبار المشايخ بالمدينة المنورة، من بينهم الشيخ الخطيب بالمسجد النبوي، الشيخ إبراهيم البدري والسيد الأمجد الشيخ الكريم الحنفي العباس الخطيب، والإمام بمسجد خير الأنام صلى الله عليه وسلم وعلى حزبه الكريم، ومدحنا بما لسنا له أهلا فتقبل الله منه ما صورته:

الرّوق قد صرحت على الأجنان * وتمايلت تربا غصون البان**

وتبسمت أكمام زهر الروض * عن طيب .....بزاد العان[1]**

وبقيت يا بدر الطريقة ساطعا * هدى بنورك أسفار الركبان**

وكذلك إمام مسجد قبا الشيخ الصالح بن أحمد المطري، شكر الله سعيه، وأثمن رأيه وأنشد لنا ما نصه:

محمد نجل ناصر طاب محمـده * نزل بطيبة بيت المسرات**

أكرمكم به عالما لله محتسبـا * معلم الخير في خير الطريقات**

مكمل كامل فاقت مكارمـه * حتى رقت كرما فوق السموات**

يسر الوجود إمام الوقت سيدنا * بحر الحقيقة خطب في النهايات[2]**

تلامذته:

وممن أخذ عنه رحمه الله، الشيخ محمد الصالح الشرقي، أخذ عنه الورد الناصري وأخذ عنه كذلك سيدي المعطي صاحب الذخيرة، وسيدي أبو العباس الشرادي، والسيد الحسين المدعو شرحبيل[3]، وعنه أخذ جماعة من أبناء أخيه، وهما موسى ويوسف الوارث لسره والخليفة بعده والشيخ عبد الله السوسي ومحمد بن عبد السلام بناني، والشيخ عبد الله الحفيظ[4]، ومن تلامذته الرحالة الجزائري ابن حمادوش، حيث ذكر في رحلته المسماة: "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**" يقول: "**لقيته رحمه الله عند قدومه لفاس المرة الأولى والثانية وأخذت عنه الحديث المسلسل بالأولية والمصافحة والمشابكة بالماء والتمر وبمناولة السبحة، ويقول أشهد بالله وأشهد الله ويقول لي ويده على كتفه: إني أخوك فقل: وبصورة الصف وبالسؤال عن الاسم وتوابعه وبالدعاء بالرحمة وبإنا أعطيناك الكوثر، وبفضل صوم عاشوراء وبالقبض على اللحية، وبالعد في اليد وبالأخذ باليد، وبالإشارة إلى الشيخ، وبالشهادة على السماع، وبالشهادة على الشيخ، كما قرأت عليه ثلاثة أحاديث من أوائل كل من الكتب الستة الحديثية ومن الموطأ والشمائل وجامع الأصول، ومشارق الأنوار،**

[1] – هكذا وجد بياض في شطر البيت.

[2] – **الرحلة** ، و، 131.

[3] – العباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ص 358، 359.

[4] – محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية**، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص 232.

وسيرة ابن هشام والكلاعي، وأول الرسالة والتلقين والتهذيب ومقدمات ابن رشد، والبيان والتحصيل له، ومعلم المازري وإكمال القاضي والتنبيهات له، وإكمال الأكمال للآبي واختصاره للشيخ السنوسي، وتذكرة القرطبي ومختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي، ومختصر خليل، ومن تفسير ابن عطية والكشاف، والبيضاوي وابن جزي وأبي السعود وابن عادل القرطبي، ورسالة القشيري بشرحها لشيخ الإسلام الأنصاري، وغير ذلك من الكتب العلمية والمسائل الحديثة".

"وأجازني، وكتب لي ذلك بخطه في أربع مواضع من أربعة كتب، ولقنني الذكر، وعدد لي مشايخه بلفظه"، ومما أفادني نقلا عن بعض كتب الإمام الشافعي قوله«العلوم سبعة، علم التفسير يخوف، وعلم الفقه يشرف، وعلم النحو يكيس، وعلم الحساب يحمق، وعلم الشعر يرقق، وعلم الحديث يورّع، وعلم التنجيم يكفّر"[1].

صفاته وأخلاقه:

يقول العلامة محمد الطيب القادري في كتابه **نشر المثاني** عن "المترجم": **"فمنهم الإمام الكبير الشهير الولي الخطير، سيدي أحمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، كان جليل القدر، كثير الشأن عظيم الذكر، له صيت في المغرب وكذلك في المشرق، وكان عالما نحويا لغويا مؤرخا، يقيّد الشوارد ويحفظ الفوائد من أهل العناية والشهرة بالولاية، ألف كتاب الأجوبة وكتابا آخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يقرب من دلائل الخيرات، وكتابا في رحلته للمشرق، جمع فيه كثيرا من فوائد الرحلة العياشية، وله كلام في الطريق وحض على إتباع السنة وتأكيد في إتباع العلم وتحكيمه"[2].**

ومن فراسته ما حكى لنا بعض أهل الخير والصلاح من أهل مدينة تفشاون، أنهم كانوا يجدون بمحراب بعض مساجدها بولا وغائطا زمنا، فرصدوا فاعل ذلك، فوجدوا مجذوبا بالبلاد كان قاطنا بتفشاون يقصد المحراب ويبول فيه ويغوط، فلما تحققوا أنه فعله شدّدوا عليه في النهي فلم يفد فيه نهي، حتى هموا بقتله واجتمعوا على ذلك، وأشار عليهم إمام المسجد أن يرصدوا وقت مجيء صاحب الترجمة لزاويتهم التي بتفشاون، ليجتمع الفقراء الذين من أتباعهم كان يأتيهم كل سنة، فقد جاء صاحب الترجمة فأعلموه بالأمر، واستشاروا معه في شأن المجذوب فأمعن النظر في ذلك وخلا بإمام المسجد، وقال له:

---

[1] –**ابن حمادوش**، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري: **الرحلة، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال**، تحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، د.ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 55، 56.

[2] – القادري ،محمد الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ج5: تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص 1960.

"لا بد أن تصدقني، هل تشرب شيئا من الخمر الذي يقال له عندكم(رب الفقيه أعمى)قال: نعم"، فأمره أن يتوب من شربه فتاب، وكان إمام المسجد يشربه ويأتي إلى الصلاة بالناس، فلذلك كان المجذوب يقصد المحراب ويبول ويتغوط فيه، فلما تاب إمام المسجد عن شربه على يد صاحب الترجمة، فمن يوم تاب لم يبل ولم يتغوط المجذوب في المحراب أبدا، وأصلح الله حال الجميع ببركاته، وكان هذا المجذوب يدعى بسيدي أبي حنشة[1].

ويقول الأفراني: **"ومن كراماته الشهيرة ما حدّثني به من لا أردّ حديثه عن بعض الفقهاء قال: "لما دخل الشيخ المدينة المشرفة في حجته الأخيرة جلس تجاه الحجرة الشريفة والناس يزدحمون عليه لأخذ العهد وتلقين الأوراد وهو منبسط لذلك قال: فقلت في نفسي إن هذا الرجل المغرور راض عن نفسه، وإلا فكيف تصدّر في هذا المكان الذي تتضاءل فيه الأملاك وتخضع رقاب العارفين وإذا طلعت الشمس خبئت السرج، قال فكاشفني الشيخ لما في نفسي فالتفت إلي وقال: "والله ما جلست لما ترون حتى أمرني النبي صلى الله عليه سلم به وما أذعنت له حتى هددت بالسيف، قال: "فسقطت على يده أقبلها وقلت له: يا سيدي تائب إلى الله تعالى، فدعا لي وانصرفت"**[2].

وحدّث عن بعض ثقاة أصحابه بأن كان طلبة الجن كانت تتعاهده للقراءة عليه ويرجعون إليه في ما استصعب عليهم من مسائل العلم، وكان صاحب الترجمة يحكي عن الإمام العارف بالله أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الثعالبي أنه قال: **"من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة "بشرط أن يقول كل من رآه أشهد أني رأيتك فيشهد له، وهو رآه أبو عبد الله محمد بن ناصر، وكذلك عن شيخه أبي الحسن الدرعي عن أبي زيد المهدي عن أبي عبد الله الرقي عن عبد الكبير المهدي عن سيدي عبد الرحمان الثعالبي، فكان الناس يستشهدونه عن الرؤية، فيشهد لهم وهذا كله، من باب تحسين الظن وتغليب جانب الرجاء، وله وجه من السنة"**[3]. وكذلك جاء في الدرر المرصعة كذلك يروي أبو العباس أحمد بن موسى بن محمد بن ناصر في الصفوة ما نصه: **"ومنهج الشيخ الصالح الناصر أبو العباس أحمد بن الإمام الشهير بأبي عبد الله بن ناصر الدرعي، وكان رحمه الله إمام وقته علما وعملا قوّالا بالحق شديد الشكيمة على أهل البدع، لا تأخذه في الله**

---

[1] – نفسه، **نشر المثاني ، المصدر السابق ، ص**، 1960.

[2] الأفراني، محمد بن الحاج بن محمد الأفراني، **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق الدكتور عبد المجيد خيالي، ط1، الدار البيضاء، 2004م، ص 365، 366.

[3] **– نفسه**، ص 365، 366.

لومة لائم متعاونا، مقبلا على ما يعينه متسابقا للسنة في أقواله وأفعاله، حريصا على إحياء السنن وإماتة البدع فهدى الله به أقواما ونفع به أناسا كثر"[1].

ولقد كان بعض أشياخ العلم بفاس يقول في الحديث الشهير: "**لا تزال طائفة من أمتي بالغرب ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله، إن لم تكن هذه الطائفة الآن بتمجروت فلست أدري من هم لإقامة السنة فيها على وصفها المألوف"[2].**

وكان رحمه الله مثابرا على التعليم مكبا على المطالعة، قائما على البخاري وغيره من الكتب الحديثة مقسما أوقاته لها بأنواع الطاعات من تلاوة ومطالعة وتفسير ونوافل، وكان حافظا لسانه عارفا بزمامه مستعملا للجهد في سائر أموره[3].

يقول صاحب الدرر: "**وكان ذا خلق حسن ونية هادفه خالصة، محببا للعلم وأهله وتدريسه وكان جوّادا يكرم الطلبة وغيرهم، ولا سيما طلبة العلم، وكان ذا احتمال وصبر وحلم وتواضع لا يخاف في الله لومة لائم"[4].**

وجاء في سلوة الأنفاس الجزء الأول: "**كان وليا صالحا، عارفا ناصحا نحويا لغويا، له كتاب الأجوبة وتأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ورحلة ألفها في ذهابه إلى المشرق وكلام في الطريق، وحض على إتباع السنة و له أتباع كثيرون جدا في جهات أقطار المغرب ومما أنشده فيه بعض الأدباء وهو أبو عبد الله الدقاق الدغيمي.**

لئن فاتنا المرسي قطب زمانه * ولم نجن من ذاك الرياض له قطعا**

فعنه أبو العباس نجل ابن ناصر * كفانا وأغنانا ولان لنا عطفا"[5]**

وذكر بعض أهل الكشف أنه كان من الأبدال، وذكر بعضهم أنه أخذ عنه من مؤمني الجن واحد وعشرون أو اثنان وعشرون ألفا، وأنهم مات منهم يوم موته ثلاثة من الازدحام عليه، قال الشيخ أبو علي سيدي الحسن من رجال المقداني في الروض اليانع، عند تعرضه لأشياخ سيدي الصالح بن سيدي المعطي الشرقاوي: "**وأن من جملتهم الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي أن سيدي الصالح كان يعظمه ويفخمه ويثني عليه في المحافل ويبجله، وإذا ذكر عنده تضاءل عند ذكره وإذا استشفع به إليه قبل الشفاعة**

---

[1] **الناصري**، محمد المكي الناصري، المصدر السابق، ص، 80، انظر كذلك محمد البشير ظافر الأزهري: **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب أهل المدينة**، د.ط، مطبعة الملاجي العباسية، 1342، ص 42، 43.

[2] نفسه، ، ، ص 80

[3] – نفسه ،و،و، 80، 81

[4] – نفسه، ص 81.

[5] – سلوة الأنفاس، ج1، **المصدر السابق**، ص،296.

على ممر أيامه ودهره وأنه عقد مرة الرحلة إليه لزيارته ما نصه". كما ورد: **"وكان سيدنا الصالح يحض من يحبه على الدخول لحضرته والانخراط في سلكه والدخول في زمرته، ويعظم الطريقة الناصرية ويجل قدرها، ويفخم شأنها وأمرها، لأنه بني على أساس السنة المحمدية، أصلها وظهر كظهور الشمس شرفها وفضلها، وذلك مستفيض ومشهور عند الحاجة والجمهور"**[1].

أعماله وإنجازاته:

جاء في كتاب **فهرس الفهارس: "وكان قائما على البخاري وغيره من الكتب الحديثة استنساخا وقراءة وشراء من المشرق والمغرب ، بحيث يضرب المثل بمكتبته وزاويته التي بدرعة، وفي الروض الزاهر أنه: "كان معتنيا بشراء الكتب واقتنائها حتى قيل أنه اشترى بمصر في آخر حجاته مائة مثقال ذهب من الكتب، ولا يمنعها من مستحقاتها حتى أنه اشترى نسخة من صحيح البخاري بمكة بثلاثة وسبعين مثقالا ذهبا، وهو أول من أدخل اليونانية للمغرب ولم تر قبله ولا بعده"**[2].اه

ويقول كذلك: **"قلت اشتهر في كتب المتأخرين أن الشيخ المترجم أدخل النسخة اليونينية للمغرب، وكنا نفهم ونسمع من الناس أنه أدخل الأصل (اليوناني) اليونيني بنفسه ثم تحقق أنه أدخل بعض فروعه المقابلة على الأصل اليونيني، وقد وقفت على الفرع المذكور الذي جلبه الشيخ المترجم من المشرق وهو في عشرة أسفار بخط مشرقي واضح نقي كاتبه إبراهيم علي القيصري المكي الحنفي، فرغ منه سنة 1117هـ/ 1705م، تجاه الكعبة المعظمة،** وذكر أن ناسخ **الأصل اليونيني محمد بن عبد المجيد أتمه سنة 669هـ/ 1270م، وعلى الفرع المذكور بخط المترجم:"ملك لله بيد أحمد بن محمد بن ناصر كان الله له بمكة المشرفة ثمانين دينارا ذهبيا"**[3].

دوره في بناء الزوايا والمساجد بتمجروت:

الزاوية الناصرية:

هذه الزاوية اشتهرت نسبتها إلى الشيخ الكبير الولي الشهير البحر الزاخر للمآثر الصالحة والمفاخر، العارف بالله تعالى أبي العباس سيدي أحمد بن الولي العارف بالله تعالى، القطب الرباني والغوث الصمداني، عالم الصالحين باتفاق وصالح العلماء على الإطلاق، أبي عبد الله سيدي محمدا(فتحا)بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر بن عثمان الدادسي أصلا الدرعي، اقليما

[1] – نفسه، ص 296، 297.

[2] – **الكتاني** ،عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج2، اعتناء الدكتور إحسان عباس، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص 677.

[3] – نفسه،ص.677، 678.

الأغلاني، دارا المقدادي نسبا"وهي من الأصل لوالده سيدي محمد المذكور بناها تلميذه سيدي محمد بن إبراهيم الخياطي، دفين درب الحرة من مطالعة فاس، وإنما اشتهرت نسبتها إلى الابن، لأنه كان خليفة عن والده من بعده، وكان له من الشهرة بهذه الديار ماليس له (لأبيه)[1] .

موقعها:

تقع الزاوية الناصرية بتامجروت على ضفاف وادي درعة، على ضفاف الأطلس الكبير بعيدة عن مركز زاكورة، بنحو 22 كلم، عن جنوبها الشرقي أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري مع شيخه عبد الله بن حسين الرقي، الذي كان يلقن فيها أوراد الشاذلية وقد جاء أبو عبد الله محمد ابن ناصر الدرعي إلى زاوية تمكروت عام 1040هـ/ 1631م لأخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن حسين وأقام ابن ناصر في هذه الزاوية مدة، بطلب من الشيخ عبد الله بن حسين وأقبل على التدريس ونشر العلم فيها، وقصده الطلاب من مختلف جهات الصحراء، وقد تصدر أحمد الأنصاري للمشيخة الصوفية بزاوية تمكروت، بعد وفاة أستاذه الرقي غير أنه لم يلبث أن مات قتيلا بأحد منافسيه من زعماء درعة، فاستقل حينئذ الشيخ محمد بن ناصر بهذه الزاوية وأصبح يشتغل فيها بتدريس العلم للطلبة، وتربية المريدين، وتحمّل الشيخ ابن ناصر كثيرا من شظف العيش وصبر في هذه المدة غاية الصّبر على معيشته وكسوته، حتى كان ينام مع أهله على التراب، لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه، وربما افترش حصيرا أو جريد النخل[2].

طارت شهرة تمكروت مع الزاوية الناصرية وكانت هذه المؤسسة وأشباهها تحتاط في نحو هذه الفترة بالأرياف المغربية برسم السكن نظير الواقع في سائر القرى غير أن هذه تحتضن مركزا طليعا لإحياء السنة ونشر العلم وبذل الطعام.

وقد أدت الزاوية الناصرية خدمة كبرى في الحفاظ على الثقافة الإسلامية، وبالخصوص في الجنوب المغربي خلال هذه الفترة التي قرنها الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وهذا ما تسجله المقولة المشهورة: "**لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي ظهرت فيه وهم:**

سيدي محمد بن ناصر في درعة، وسيدي محمد أبي بكر الدلائي في الدلاء وسيدي عبد القادر الفاسي في فاس"[3].

دار الكتب الناصرية:

[1] – سلوة الأنفاس، ج1، المصدر السابق، ص 294، 295.

[2] – محمد حجي، المرجع السابق، ص 57، 61.

[3] –**المنوني**، محمد المنوني، **دليل مخطوطات**، دار الكتب الناصرية بتمكروت، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1985م، ص 20، 22.

ابتدأ تأسيسها من أيام أبي عبد الله بن ناصر، وبذل مؤسسها مجهودا مهما في جمع كتبها الأولى، وإلى جانب المؤلفات التي اقتناها بالشراء، نسخ بنفسه واستنسخ العديد من الدواوين العلمية ومن مستنسخاته بخطه **قاموس** للفيروز أبادي، والأمالي لأبي علي القالي، وبعض كتاب **العقد الفريد** لابن عبد ربه، ورابعا **المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام** للشمني، وهذ الأخير لا يزال محفوظا ضمن المجموعة الباقية بتمكروت تحت رقم (637).

اعتنى أبو عبد الله بن الناصر بتصحيح الكتب ومقابلتها، وتقييد الفوائد بهوامشها، وقد عاين أبو العباس الهشتوكي كثيرا من كتبه عليها خطه، معارضة وتهميشا، خصوصا نسخ صحيحي البخاري ومسلم. ومن الهدايا لنفس المؤسسة في فترة تأسيسها، ما يذكره ابن عبد السلام الناصري مدى اعتناء الشيخ ابن ناصر بروايات صحيح البخاري.

وفي هذا المقام ذكر محمد المنوني: "**ثم أن الإمام أبا زيد عبد الرحمان المكناسي أهدى لشيخه أبي ناجي نسخة عتيقة رباعية من ثمانية عشر جزءا رواية أبي ذر الهروي، ثم تنافس تلامذته، اليوسي والتجموعتي والعياشي وأبو الحسن علي المراكشي في ذلك فجاء كل للشيخ بنسخة جيدة**"[1].

وجاء في الدرر عن دور المترجم: "**فقام أيّده الله في ما استخلف عليه أحسن قيام، وزاد شيئا لم يكن في عصر الشيخ والده القطب الإمام، بنا الصومعة بنيانا رصيعا والمدرسة، وجدد مسجد الخلوة تجديدا أمينا لم يكن عليه أولا، وبنا مدرسة للتدريس جانبه عجبا وبنا مسجدا خارج باب سجلماسة من زاويته وحفر بئرا بإزّاء قبور شهداء الطاعون والوباء، وبنا قربه بيتا لغسل الموتى، وبنا مسجدا جامعا، وجعل فيه الخطبة بزاوية الفتح، ومسجدا آخر جامعا، وأقام فيه الخطبة بزاوية البركة، وبنا مسجدا آخر فيه خمسة صفوف بزاويته الجديدة بأمرزر، وكل مسجد بفناءاته الجيدة وحوانيته، وبنا بمسجد الخلوة حماما، وجعل من يسخن به ليلا ونهارا، بحيث يجد من يريد الطهارة ماء سخونا متى أحبه وأراده وبنا مسجدا آخر ومضآته للنساء داخل زاوية وخزانة جيدة للكتب، وميز خزانة كل نوع وصنف من العلوم بعلامة تميزه عن غيره وزاد أجنة وأمتعة للزاوية واجتهد في منافعها وأمورها غاية**". [2]

يقول صاحب الدرر، قلت: "**قد أغفل كثيرا من مآثره ولعلّها لم تكن قلة بعد تأليفه للكتاب المذكور"الرحلة"، ومن أشهرها وأحسنها، الزاوية المعروفة بزاوية الفضل، والتي يقول فيها والده رضي الله عنه:**

ألمم بدرعة واختر للنزول بها * زاوية الفضل مأوى المجد والكرم**

---

[1] – نفسه، ص 24، 25.

[2] – **الناصري** ،محمد المكي الناصري، المصدر السابق، ص 80، 81.

ذات بناء وأشجار منوعة * تبدو قلائدها للناس في الظلم".** [1]

وبنا مسجدا كبيرا، وأقام به الخطبة، وجعل بها أحرى أزواجه رضوان الله عليهن، وهي السيدة زينب بنت عبد الرحمان الثرندية الدرعية رحمها الله، ورضي عنها، وكانت تلك الزاوية في ذلك الأوان وبعده بقليل كما قيل:

نضاخة تملأ العين بمهجتها * فيحاء فيحت بأنواع الرياحين**[2]

وابتنى خزانة جيدة خصصت لها دار، حتى صارت تعرف بدار الكتب والذي شاده عام 1123هـ/ 1711م، وأتقنه بدائع الصنعة، واستجلب له الصنّاع من فاس، وجملة بطاقات مغطاة بالزجاج الملون، فإذا أشرقت الشمس انعكس شعاعها إلى الداخل ليزيد منظر بيت الكتب حسنا وبهجة، حيث وصفها أحد الشعراء الناصريين، أبو عمران موسى بن محمد الكبير بن أبي عبد الله بن ناصر(شاعر معاصر):

علم المحاسن قد أناخ بروضـة * ذات السنا ومقردين محمد**

راقت بأبرق نورها أفق العـلا * فتبلج الأصباح وأسنى مقصد**

بيت حوى كل المحاسن فأزدهى * عجبا وفاق كل مشهد.**

وقد استمرت هذه الخزانة بدار الكتب الآنفة الذكر حتى العصور الأخيرة وكان موقعها من ملحقات سكن شيخ الزاوية في بناية مرتفعة تشتمل على بيتين أحدهما "بيت الكتب الكبير"، وهو الذي تصفه القصيدة والثاني عرف "ببيت الكتب الصغيرة" مع مخبأ عال يعرف "بالطارمة العلوية"، وثالثها مستودعات للكتب في خزانات خشبية موزعة حسب العلوم ومرقمة وقد أخرجت من هذه الدار في تاريخ غير محدد كمجموعة من المؤلفات الحديثة وبعض كتب التفسير واللغة والتصوف ووضعت على حدة، داخل المشهد الناصري في خزانات حائطية صار مجموعها يعرف بخزانة الروضة وأخيرا نقلت المخطوطات من دار الكتب، وخزانات الروضة ووضعت جميعها بالمدرسة القديمة والآن صارت الكتب الباقية في بناية جديدة شيدت حديثا، وهي عبارة عن بناية مكتبة ذات قاعة فسيحة في طولها وعرضها، تتخللها نوافذ للضوء والتهوية، وهي مجهزة تجهيزا مناسبا برفوف خشبية مغطاة بواجهات زجاجية لحفظ المخطوطات وصيانتها فضلا عن مقاعد وطاولتين[3].

---

[1] – نفسه، ص، 83، 84.

[2] – نفسه، ص ، 85.

[3] –**المنوني** ، محمد المنوني، المرجع السابق، ص 27، 28.

ب- تلخيص الرحلة:

يبدأ كلامه رضي الله عنه بـ: "**الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيت الحرام من أعظم القربات وجعل التردد لتلك المشاعر العظام زيادة في الدرجات وتكفير للسيئات، كما جاء في صحيح الأثر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم ومجد وعظم قال عليه السلام: من حج معز البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**"[1]، ثم يأتي بمجموعة أحاديث أخرى، ثم يقول "**أما بعد فلما كان عام تسعة عشر ومائة وألف 1119هـ/ 1707م، تتابعت زفراتي وأنيني إلى تكحيل انشاه العينين بمشاهدة مشاهد الحرمين، ففزعت إلى الاستخارة خروجا من النفس، أن يكون ذلك نصيب على الكيفية الواردة في الصحيح فلا أتركها ليلا ونهارا**"[2].

ثم يرتحل مع أصحابه إلى سجلماسة، وأنه وصل إليها سابع يوم من سفره ويزور ضريح سيدي عبد الرحمان المجدوب للتبرك، ويبقى مع صحبه إلى عام إحدى وعشرين (1121هـ/ 1709م) ، ويذكر مفارقة الأهل والمنازل والطلول يقول: "**وكنت مع صحبي أتلو القصائد المحركة لتفريغ الكربات ودفع المضرات**"[3]، ثم يقول: "**خرجنا من الزاوية الناصرية عمّرها الله تعالى بالعلم والعمل وإتباع السنّة إلى يوم القيامة، والعجلة لنا عادية وهداية الله هادية، يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام إحدى وعشرين ومائة وألف، وتوخينا ذلك اليوم رجاء بركة قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم بارك لأمتي في بكورها**"[4]. ويذكر كرم أهل سجلماسة لهم خاصة أعيانهم وعلماءهم، ومنهم أبو حفص سيدي عمر، والعالم الفقيه قاضي الجماعة بسجلماسة ونواحيها، سيدي عبد المالك التجمعتي، وسيدي محمد القرفي، صاحب والده وتلامذته أحمد بن محمد الهشتوكي، وأحمد بن أبي زياد الغواطي.[5]

ويذكر الخيرات التي وجدها بسجلماسة وأسعارها كالقمح والتمر والبر، ويذكر أنه اشترى فرسا لركوب الغلام ويقول: "**ورحلتنا كانت يوم الجمعة**"[6]، ثم يواصل ويقول: "**ووردنا منهل تلغمت وماؤه عذب، ثم القنادسة ومغيل ويوكس، ثم العيونية وبازا، دار الأخ سيدي محمد بن زيان وتناولنا الكسكسي واللحم، ثم عبرنا بشار وتوغلنا في الصحراء، ثم نزلنا الأغواط، ثم ظعنا من الفاسلون يوم الخميس 07 رجب، الأول من سبتنبر، ثم نزلنا مخليف قبل العصر ثم نزلنا عين أنافي عصر الأحد رجب رابع سبتنبر، وتلقانا أهلها بالترحاب وكذلك عين ماضي**

---

[1] - الرحلة،و،1.

[2] - نفسه ،و، 2.

[3] - **نفسه** ، و،2

[4] - **نفسه** ، و،3

[5] - **نفسه**، و،7

[6] **نفسه** ، و،10

وأهلها كلهم طلبة، ثم رحلنا يوم الثلاثاء، ونزلنا بخيموت ظهرا، ومررنا بأراضي الأغواب الواسعة ذات الفواكه المتنوعة، ثم وصلنا لبرج سيدي خالد اصفرار يوم الأربعاء عشرين رجب 14 من سبتنبر"[1].

ثم يذكر وصوله إلى قرية أولاد جلال ولقائهم مع علمائها، سيدي محمد بن الحاج وسيدي عبد الباقي، وسيدي محمد بن عيسى وسيدي محمد السعيد، "**وساروا معنا ميلا وودعناهم**"[2]، ثم يذكر بأنهم مرّوا على ضريح الولي الصالح ابن زيد سيدي عبد الرحمان الأخضري، ويقول: "**ونزلنا مليلة ظهرا وبتنا، ووجدنا بها مطرا غزيرا، ثم نزلنا بسكرة عصر السبت الثالث والعشرين من رجب سابع عشر سبتنبر، وأقمنا بها الأحد والاثنين**"[3]. ويصف عمرانها ونخيلها وثمارها، وشمسها البالغة 24 درجة مئوية، حيث يقول: وكما يقول العياشي: " **ما رأيت أجمل منها شرقا وغربا** "[4].

ثم يواصل: بعنوان: **ذكر خروجنا من بسكرة** [5]، فيقول: "**ظعنا ضحى من بسكرة يوم الثلاثاء خامس وعشرين رجب، العاشر سبتنبر، ونزلنا بسيدي عقبة عصرا**"[6].

ثم يتناول شخصية سيدي عقبة ودوره في فتح بلاد المغرب.

ويقول: "**ثم وصلنا زريبة الوادي، وصلينا في قبة سيدي حسن الكوفي ونزلنا توزر ضحى الأربعاء رابع شعبان، الثامن والشعرين من سبتنبر، فوجدنا بناءهم أحسن من بناء بسكرة، ثم رحلنا إلى نفطة وقضينا بها الخميس، وتوزر هذه هي قاعدة بلاد الجريد، ثم وصلنا سراد يوم الجمعة ثم بلدة ابن سيدي هلال حد السبخة في سادس عشر شعبان**"[7]، ويواصل القول: "**واشترينا بها بعيرين، أحدهما بأحد وعشرين ربع، والأخر والأخر بسبعة وعشرين ربع، وفي سابع شعبان يوم السبت أول أكتوبر دخلنا السبخة الكبيرة، والتقينا ببعض الحجاج الصعاليك* الراجعين من أهل تكرت وسألتهم عن أحبابنا فأخبرونا بسلامتهم، ثم قابس ظهر الثلاثاء عاشر شعبان، رابع أكتوبر ومات لنا بعير في هذه الرحلة، وبقينا إلى الأربعاء 11 شعبان، ومررنا بضريح أبي لبابة وزرناه وصلينا في مسجده، وتلقانا هناك الأخ سيدي علي الفرجاني، وأطعمنا بقصعة كبيرة من الطعام**

---

[1] **نفسه** ، و، و،13،14

[2] **نفسه** ، و،15

[3] نفسه، و،15

[4] نفسه.

[5] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، **الرحلة**، و، 17.

[6] نفسه، و،17

[7] نفسه، و،22

*يقصد بهذه الكلمة" الفقراء و ذوي الحاجة" ولا تعني السيئي الأخلاق

مملوءة وهو من أصحاب الوالد تقبل الله منه، ثم ظعنا يوم الخميس وسار معنا سيدي علي الفرجاني أميالا نحو طرابلس"[1]، وجاء في عنوان: **"ذكر وصولنا لطرابلس حماها الله من الأغيار"**[2].

يقول: **"كان وصولنا لطرابلس يوم الأحد الثاني والعشرين من شعبان، عشرة من أكتوبر**[3]**" ثم يذكر صلحاء وعلماء طرابلس فيقول: "ومن جملة أهل ودنا في طرابلس من السادة الأعلام أبو عبد الله سيدي محمد ابن مقيل، وصهره الأجل سيدي أحمد بن محمد المكني تقبل الله عمله وأصلح فعالهم، ثم يقول: "وأكرمونا مدة إقامتنا"، حيث يذكر أنه التقى مع صديقه العالم المغربي الهشتوكي"، وقرأنا بهذه المحروسة على شيخنا سيدي أحمد الفقي أبو العباس تواليف على الربع المجيب، ومدة إقامتنا شهران كاملان ويومان"**[4].

ثم ينتقل إلى ذكر رحيلهم عن طرابلس بعنوان: **"ذكر رحلتنا من بلاد طرابلس حماها الله"**،[5] والذي كان يوم الجمعة السابع والعشرين شعبان، الثلاثين من أكتوبر، ويذكر مزاره للولي الصالح سيدي عبد الحفيظ، ووالده سيدي محمد العيد بلحاج حفيد سيدي حامد بن محمد، قاصدين تاجورا ويصف خيرات تاجورا، خاصة السفرجل الذي لايوجد مثيله في الأرض، ويذكر بعض علماء تاجورا بعنوان: **ذكر أهل المحبة بتاجورا**[6]، الذين التقى بهم ومنهم العالم المدرس سيدي عبد الرحمان بن عمار بن لقي، وصنوه، الفقيه سيدي عبد الله وسيدي محمد أمراد وسيدي أحمد خالد والحاج محمد عمار وسيدي علي الميّاسي، ومع نحو ستة عشرة امرأة وبالغوا في إكرامهم حيث يقول: **"أقمنا بها السبت والأحد والاثنين، حيث لحق بنا ركب المغرب، ثم ظعنا بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء، في رمضان، ونزلنا غافق بعد العصر، ومررنا بوادي المسير، ماؤه غزيرلا ينقطع صيفا وشتاء، تجتمع له جبال مسلاتة، وبتنا قرب تورغت حيث نزلنا قبل الاصفرار"**[7].

ثم يصف منطقة تورغت، ويتعرض إلى ذكر بئر فيها للأخ في الله عبد السلام بن عثمان، وغرس عليه أشجار التوت لقصد ابن السبيل تقبّل الله منه، ثم يذكر وصولهم إلى سهل عابد ووجدوا الأخ في الله سيدي أحمد بن شحاتة، الذي أحضر لهم الرطب بعراجين من البلح الحلو، وأعطوا للجميع من أهل الركب تقبل الله منه، ثم يواصل حديثه بأن ظعنوا في هذه الديار إلى غربي مسراتة بين العشائين، وفي الغد

[1] نفسه، و،و،23، 24

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، **الرحلة**، و، 24.

[3] نفسه.

[4] – **نفسه**، و، 30.

[5] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، **الرحلة**، و، 33.

[6] – نفسه.

[7] – نفسه، و،34

ارتحلوا ونزلوا خارج قصر أحمر، بطرف السبخة بإزاء روضة أبي شقيقه، بين الظهرين من يوم الأحد سابع رمضان[1].

وقد أورد صاحب الرحلة أنه زار: "**الشيخ المحقق العالم العلاّمة المدقق، العارف بالله الدال على الله، صاحب القلمين ومحقق الناظرين ومحل المذهبين ومرتضي الفريقين مقتدى أهل العلم الباطن، ومتبوع أهل الظاهر، وينبوع الأسرار في سائر المظاهر وقطب مغربنا وإمام أئمتنا سيدي أبي العباس أحمد بن أحمد زروق البرنوسي الفاسي، حقق الله إليه نسبتنا وخلص في محبته سريرنا آمين، وزرناه بمقتضى الوقت من أدب ووقار، وذل وانكسار، وعند استواء الشمس ولم نعرّج على سواه، وصلينا الظهر، وخرجنا آمين موضع الركب**"[2].

ثم يرجع إلى التذكير بحجة سنة 1096هـ/ 1684م صحبة والده، ويذكر بأنه التقى في هذا الساحل من السادات الأماثل، سيدي علي بن شعيب، وهو من أصحاب والده محمد الناصري، رضي الله عنه، وهو رجل من أهل الصلاح، وسيدي فتح الله خير وهو من أحفاد سيدي عبد السلام، وهو من ترجى بركته ورسمه وسمة خير، نازل وحده بداره، منقطعا عن الناس في نخيل من طرف البلد من ناحية البر ودفن قرب منزله، عليه روضة يزار، والمجدوب الصادق سيدي أبو تركية لا يوبه به، ويحكى عن الولي خير أنه في حجة ست وتسعين (1096هـ) (1684م)، لما تقربوا من داره خرج إليهم يتهادى بين رجلين تحط رجلاه الأرض، فنزلوا على دوابهم، وصافحوه، فقال للمترجم: "**أنت سيدي أحمد بن محمد بن ناصر وذكر ذلك مرارا عديدة قال: "فقلت نعم"، فضمني إليه ضمة وهو يقول لي مرحبا مرحبا وظهر منه من السرور والحبور والفرح، مالم يظهر من غيره، ممن مررنا عليه من أهل البوادي و القصور**"[3].

ويقول: "**الحمد لله والشكر لله واليوم يوم عيد**"، ويبالغ في الدعاء قائلا: "**وأخذ بيدي وسار معنا إلى مسجد باب داره، فجلس معنا ونادى بإحضار الطعام، فأحضر الخبز والعنب الجيد، ... ومن العجب أنه كان لا يقوم على رجليه، ولما تتبعنا كانت له القدرة على ذلك، وما ذاك والله أعلم إلا لما غمر من المحبة، ثم أتانا للركب بعد المغرب، قرب الصلاة بصحفة كبيرة يحملها رجل أمامه وهو على حمار يقود به إنسان، وقمنا إليه". وقال: "هذا ما تفطر به"، مخاطبا إياي: "لما صمت ولم تأكل مع الجماعة بمنزلنا"، فوضعت الصحفة وبها ثريد ولحم كثير ونفقة كبيرة ومن أطيب العنب وأجوده فقال لي: "كل أمام أصحابك ويأكلون معك "، فأكلنا، وقال في أثناء الأكل كلّ من أكل من طعامي هذا فإنه يجد له إن شاء الله البركة، ولما فرغ الناس من**

[1] – نفسه، و،و، 40، 41

[2] – **نفسه**، و،41.

[3] – نفسه، و،44

الأكل، نهض نهوض الصحيح الذي لا بأس به ولا عكة، وقمنا لوداعه، توفي عام ثلاثة ومائة وألف (1103هـ/ 1691م)، **ودفن بموضعه وزرناه وتلقانا ولده سيدي أحمد أحسن الملاقاة، فالله يوفقه للخير ويعينه عليه**"[1].

ويواصل كلامه عن رحلته هذه، بأنهم سافروا من مسراته يتقدمهم الدليل عبد الحفيظ بن غنيمة الحنفي، فدخلوا برقة ووردوا ماء الشميرة قبل المغرب، وسقوا واستسقوا، ثم ظعنوا، فبدت لهم نخيل تورغا، وهي بلدة منقطعة فيها نخيل كثير، وتمرها طيب أجود من تمر الساحل. وفي هذا الصدد قال: "**ثم واصلنا المسير إلى مقطع الكبريت وقت الصبح، وصلينا فيها الصبح، وسرنا بعد طلوع الشمس ووردنا على الأحمر ظهرا، وسقينا دوابنا وصلينا الظهر، ونزلنا القصر مغربا، ثمّ ظعنّا سحر الاثنين خامس عشر رمضان، سابع نوامبر، ونزلنا غربي اليهودية، واليهودية قرى كبيرة متقاربات فيها أثار بناء يدل على أنها ملكتها يهودية في عسكرها، ولها كذا من النخيل**"[2].

"**وفي يوم الخميس الثامن عشر رمضان بلغنا المعتمر ظهرا، وهو أحياء بساحل البحر ماؤه طيب عليها كثبان رملية وسقينا واستسقينا وتيامنا عن البحر قليلا ونزلنا بحد السبخة، ثم ظغا منه قبل السحر ونزلنا الجديدة بعد ظهر السبت عشرين من رمضان، اثني عشرة نوامبر وهي آبار منحوتة في الحجر قرب اجدابية بإزاء قصر دثر بابها**"[3].

ويواصل قائلا: "**وبهذه الرحلة ضلّ ولدنا جعفر بن موسى فوجدناه، ثم رحلنا إلى أجدابيا قرب طلوع الشمس**"[4]. ثم واصلوا السير من أجدابيا قرب الظهر وتنكبوا طريق الجبل الوعر، ويذكر مساوئ خلق ناس أجدابيا ويصفهم باللصوصية وتسلطهم على الحجاج ثم يموا طريق اسلاوبل، متكلين على الله عن يمين الجبل مسافة سبعة أيام، لا ماء فيه إلا ما حدرته السيول والأمطار في قيعان الأرض، ثم نزلوا شرقي شيكة، يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان عشر من نوامبر، ثم نزلوا وادي موسى قبل الغروب وأوردوا دوابهم نحو غدير ماء شرقي المنزل وصلّوا العصر بعدوان، ونزلوا مزربا قرب عشاء الأربعاء.

وفي سحر الخامس والعشرين من رمضان، السابع عشر من نوامبر، صلوا العصر بواد سمالوس، وتجاوزوه كونه لا ماء فيه، وباتوا في شيكة، وبعد صلاة الصبح ظعنوا ومروا على نجع كبير من السماني مع الأشراف وعرضوا عليهم النزول للشوق فأبوا، واشتروا بعض حاجاتهم من الغنم، وباتوا غرب تيملي،

---

[1] – **نفسه**، و، 45.

[2] نفسه، و،47.

[3] نفسه.

[4] نفسه.

وصلّوا الظهر بقصر مخيلف، ثم مروا بدرنة وعين غزالة ذات الماء العذب ثم المدروفية، وفي يوم الخميس ثاني عيد الفطر نزلوا بالشجيرات السبع إلى يوم الجمعة، ثالث عيد الفطر، الخامس والعشرين نوامبر، وفي يوم الأحد خامس عيد الفطر نزلوا العقيبة بعد العشاء واستراحوا إلى الضحى[1].

ثم يتابع سير الرحلة قائلا: "**ثم من يوم الثلاثاء مررنا على نجع أولاد علي والحرابة بعد الظهر**"[2]. ويصف سوء معاملاتهم لهم، حيث ظهرت فيهم مخائل المكر وأخذ الناس حذرهم منهم. ثم في يوم الخميس تاسع شوال، أول دجانبر، نزلوا بالآبار السبعة عشاء، وبأحلاق قبل الغروب، ثم قصبة المدار يوم السبت وأدركهم وابل ركب الفاسيين أول هذا اليوم، وكان من بينهم الحاج محمد بن أبي بكر الذي خدمهم في كل موطن وفي كل محل: "**الله يجازيه عنّا خيرا ويعطيه فوق أمنيته**". وصار الركب واحدا فجمع الله الشمل وأنس الناس بعضهم ببعض واشتد عضد كل بأخيه وكان أميرهم الحاج محمد جفيرة[3].

ثم يواصل قائلا: "**ونزلنا بسفطة اللبن بتنا في موقع جاف، لاماء فيه ولا طين عشية يوم الاثنين العشرين من شوال، ثاني عشر دجانبر الموفى ثلاثة وأربعون يوما من خروجنا، وظعنا من أبي شعبة بقرب قصر أحمر في آخر العمران من عمالة طرابلس فوجدنا أرض مصر خصبة من الزرع والبرسيم وساير أنواع المزارع بقرى الريف، فصارت كأنها فدّان واحد، وبتنا في أرغد عيش واشترى الحجاج من أنواع المطاعم الريفية ونحن على ساحل بحر النيل الذي هو أشرف الأنهار الأربعة الخارجة من الجنة وآثار بركاته ظاهرة بالعيان**"[4].

ثم يصف جور الأتراك، وظلم قيادهم ويصف كثرة الزحام وكثرة الأسواق والنشاط الدؤوب في مصر، ثم يذكر بأنهم ظعنوا بعد صلاة الصبح يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شوال، ثالث عشر دجنبر إلى تافيليا في السودان، وبلغوا بنابة ضحى وهي مدينة على ساحل النيل لها أسواق: "**وفي الجانب الشرقي اكترينا سفينة بخمس وعشرين فضة، وعبرنا عليها نحن وحرمنا، وبقي أصحابنا حتى يعبروا بالأثاث ويقلبوا باقي الإبل مع أصحابنا الفلاحين**"[5] .

---

[1] – **نفسه**، و، 51.

[2] – نفسه.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه، و،53

[5] –**نفسه**، و، 54.

ثم يذكر ويصف دخولهم إلى مدينة القاهرة (مصر) تحت عنوان: **ذكر دخولنا إلى مصر حاطها الله في السر والجهر وصلى الله على سيدنا محمد وآله**[1].

فيبدأ قوله: "**ولما حملنا أمتعتنا التي عبرنا بها مع الدرابك،** [2] **قدمنا للمدينة يسر الله لنا ولإخواننا كل مؤونة، فدخلنا القاهرة وقد تعالى النهار وبقي للظهر نحو سبعة ونصف وأممنا منزلنا بالبندر قاصدين دارا اكتراها التاجر الشكور الحاج محمد الشربيني، وأقمنا به الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد**"، **ويصف ظلم وجور أهالي القاهرة على الحجاج، "وعزمنا على الرحيل يوم الاثنين"**[3].

ويرجع إلى وصف الحالة الصحية للقاهرة، حيث لم يجد فيها الأمراض، ثم يذكر العلماء الذين لاقاهم في القاهرة قائلا: "**ومن جملة أهل ودنا بمصر المتواضع على رفقته إمام أهل وقته شيخنا الشيخ أبو الحسن علي الزعتري، إمام الموقتين بالديار المصرية**"[4]، والذي أجازه عام 1097هـ/ 1686م، [5] والقليوبي والقليوبي الشافعي، والشيخ موسى المصري[6]، ويذكر حياته ومؤلفاته وبعض شيوخه ، ثم يذكر لقاءه مع الشيخ عبد الرؤوف، نقيب كسوة الكعبة المشرفة وقيمة الكسوة التي تبلغ بـ: 22 (اثنين وعشرين ألف كيس)، ثم يصف حفل ومهرجان الكسوة الذي يكون في النصف من شوال أو بعده أو قبله بقليل، بحضور الأشراف الوجهاء، نقل ذلك عن شيخه العياشي في رحلته، وأن هذا اليوم من أعظم أيام السنة"، ذكر أن بطريق مدينة الرملة يتواجد مسجد السلطان، وهو من أعظم معابد المسلمين على حد قول المقريزي، ومع ذكر ممن أكرمهم هناك، كذلك الشيخ حسن نقيب الأشراف، وذكر فضله وعلمه وكثرة وجود المراجع والكتب عنده، وكان حنبلي المذهب وكان ذلك ليلة المولد النبوي وذكر شرابهم وهي القهوة والتي لم يكن يتمنى عنها شيئا، وكان للمضيف بيت واحد، وحكى عن شيخ شيخه سيدي عبد الله بن حسين[7].

وذكر بعد ذلك خروجه من مصر مع أولي الأمر، وذكر بأنهم منعوا الحجاج حتى يبلغ الوقت المعتاد، ذكر بعدها أبياتا جاءته وهو في داره بالقاهرة كان مطلعها:

---

[1] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، الرحلة، و، 55.

[2] – يقصد بها السفن والفلك.

[3] – الرحلة، و،55

[4] – نفسه.

[5] – انظر نص الإجازة، هذاالفصل من الرسالة المتعلق بحياة صاحب الرحلة، ص 74.

[6] – نفسه، و،55.

[7] – **نفسه**، و، و، 55، 64.

حدّث عن المرعى الخصيب الأينع * ودع التغزل في الجمال الأروع**

وأنزل وأعذ بالظاعنين وبثهم * أشواقي التي مزجى بالأضلع**

حتى يقول:

ذي النسك والفعل الحميد أحمد * ابن ناصر سامي المقام الأرفع**

المالكي الشاذلي المغربي * اللوذعي أخ النوال الأوسع**

وذكر تنبيها مفاده أن أكثر العلماء مائلون في القهوة إلى الإباحة، مع ذكر فوائدها ومضارها في الطب.

كما ذكر بعدها بعض أماكن شرب القهوة، والتي هي أماكن يحضرها الجواري والمرد وغيرها. وأن المشارقة يقدمونها للأضياف مكان القر، وذكر أن أصلها (القهوة)، وأنها من اليمن، وأن أول من أحدثها وأخرجها، الولي الصالح علي بن عمر الشاذلي وأمر احجامه بشربها، ذكر أن المشارقة وبعض المغاربة أتوا بها من اليمن، فهي مكان توزيعها، وذكر أن سعرها في مكة الحمل بعشرين ريالة، وفي مصر بـ: 50 وفي البلاد الأخرى والقسطنطنية بـ: 200، ثم ذكر فتوى لابن حجر المكنى الهيثمي بإباحتها، وفصّل الفتوى، وشرع بالرد عليها ذاكرا الدخان والذي شاع بين الناس وهو محرم، من المشاكل التي منيت بها الجزيرة العربية في تلك الحقبة مشكلة التدخين، فقد انقسم الناس في شأنه ما بين محلل ومحرم، وبلغ أمره إلى الأشراف، ومن هؤلاء الشريف مسعود، فقد قرر في سنة 1155هـ/ 1742م، أن يحرم على الناس تعاطيه في المحلات العامة وبيوت القهوة، وأمر رجاله أن يقبضوا على كل من يرونه يدخن ويضعوه في الأطواق والحديد والسلاسل. ويرجع سبب تشدد الشريف مسعود بأمره كونه محرم. وقال آخرون أنه فعل ذلك وإن لم يكن محرما لانتشاره الكبير، وتعاطي الناس له، والسوقة والأراذل والأسافل. وكانوا لا يرفعونه إذا مر أمامهم الشريف أو العالم أو الفاضل، فلذلك أمر بعدم التظاهر بشربه. [1]

ثم ذكر أبياتا في ذكر القهوة للعلامة محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي المعروف بابن الحنبلي، كتب بها للشيخ علي بن محمد بن عرّاب.

أيها السامي لكلتا الذروتين * بجوار المصطفى والمروتين**

والعلي القدر علما وكذا * عملا فوق علو النيرين**

فأجابه بأبيات قال فيها :

أيها السامي سمو الفرقدين * وإمام العلم مفتي الفرقتين**

[1] – محمد أسعد طلس، مرجع سابق، ص 198-199.

يا رضى الدين يا بحر الند ا * من رجالكم راح مملوء اليدين**

جاء في نظام منكم قد حكى * في نصوح اللفظ مسبوك اللجين**

ثم ذكر حلّها مع إنكاره مجالس شربها المذكورة، وأنها للعابدين والقائمين في الليل خائفين متبتلين، وذكر بأن ابن عرّاف كان مشهورا فضله ومعروفا علمه وورعه في علماء الحرمين، ثم ذكر أضرارها وسبب تحريم العلماء لها [1].

انتقل بعدها إلى ذكر شخصية أخرى، فأخبر أنه أكرمهم، وكان ذلك بمصر وهو سيدي عبد الله هاشم، أحد أمراء مكة والسيد أحمد بن غالب، ثم ذكر أنه اجتمع بالأستاذ البقري (الشيخ البقري) والذي انتهت إليه رئاسة علم القراءات قال: "**أتيت لداره سنة عشر**[2] (1110هـ/ 1698م)، ووجد ابن محمد الأستاذ الشيخ يقرئ عليه بالعشر، قال: "**قرأت من حيث انتهى، فجاءته أحداهما تمشى على استحياء لا تخف نجوت من القوم الظالمين**"[3]، ثم ذكر إجازة الإمام البقري له بقراءة سورة الفاتحة وصدرا من سورة البقرة وذكر نصفها.

ثم ذكر جملة فوائد، أفاده بها الشيخ رحمه الله، ثم ذكر أنه زار ما بمصر من المزارات مثل السيدة نفيسة والشافعي، وذكر عمرانها، ثم أخذ يذكر الشافعي وأستاذه وفضائلهما مع الأئمة الآخرين، وزار مقام الإمامين عبد الرحمان بن بلقاسم وأشهب، وعقبة بن نافع وذا النون المصري وأبا حفص محمد بن الفارض وابن عطاء الله السكندري والبوصيري، كما زار تربة المجاورين قرب الأزهر، وزار بالقرافة الصغرى جملة من علماء الدين، وذكر طريقة التبرك عند قبر الصالحين.

وذكر عقيدة شيخه العياشي في الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه أصل الموجودات وسر المشهودات، ثم ذكر التجهيز للرحيل وذكر أنهم كانوا يكترون الراحلة أو يشترونها وذكر ما حدث في تلك السنة، من تدني في أسعار الرواحل، وكان الأجر بالفول، فيقول: "**يوم الحادي والعشرين من شوال خرج المحمل من القاهرة**"[4]، وذكر المهرجان الذي يكون مع خروجه يقيم بالعادلية إلى يوم 23 شوال، فيرحل إلى البركة، وذكر اختلاف المغاربة عن المشارقة في أنهم لا يخرجون معهم، وتفضيلهم السري،

---

[1] – **نفسه**، و، و، 64، 66.

[2] – نفسه ، و ، 66.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه.

ويخرج المغاربة في يوم 27 شوال [1]، ثم يأتي بعنوان رئيسي جاء فيه "**ذكر خروجنا عن مصر إلى درب الحجاز وما في أخباره من حقيقة ومجاز**"[2]، خرجوا يوم 27 شوال، وانتظروا يوما آخرا التوارق، ثم خرجوا يوم الثلاثاء وكان الجو حارا وذكر أشعارا تدر صعوبة الدرب وتسلط الجمال والعكام منها :

درب الحجاز مبارك ولكنه يحتاج صبرا زائدا لاحمال

وعيوبه شتى ولا مثيل الذي أصبحت ألقاه من الجمال

ومروا على قبر سيدي إبراهيم المتبولي، ونزلوا غربي الدار الحمراء، مع هلال ذي القعدة وخرجوا يوم الخميس الأول من ذي القعدة (11 من الليالي)، الثلاث والعشرين من دجانبر ثم، نزلوا عجرود، واستقوا فيها الماء، ويصف فيها الطريق بدقة ويصف حصنين مرّ من أحدهما كما يصف جغرافية الأرض ووعورتها، وقلة المرافق بها، ويصف مدينة السويس بأنها مدينة صغيرة، ذات أسواق ومساجد على شاطئ البحر المالح، ثم ذكر الميناء التي تأتيه السفن من كل مكان، ثم يصف البحار والمحيطات بأسماء ذلك الوقت، وهي البحر الصيني والهندي، والقاري واليمني والحبشي وغيرها، ثم ذكر الجزر التي في بحر الروم (الأبيض المتوسط)، وطائر البقنسي العجيب والذي قد انقرض وغيرها من كلام المغريزي، ثم ذكر رحلة البكرى ويبدو أنه يستقطف منها ما يناسب رحلته، ثم عاد إلى ذكر مراحله واستمر بهم المسير إلى الأحد رابع ذي القعدة، 25 دجانبر (الليالي الأربعة عشر)، وذكر هلاك الأنفس والدواب في ذلك الدرب المقفر وقلة الماء، حتى بلغ بهم العطش أن عصروا ما في بطون الإبل، وهي أرض التيه قال فيها شعرا :

ولم أنس بالتيه يوما بـه * تفانا الحجيج صدا وولوها**

وأن يستغيثوا يغاثوا لمـاء * عجرود كالمهل يشوي الوجوها**

ساق في أثناء ذلك قصة المماليك البحرية، لما هربوا من القاهرة وقصتهم مع مدينة من مدن بني إسرائيل، وعثورهم على دنانير ذهب من زمن موسى عليه السلام، ثم ذكر رجل من أهل أتوات الذي اخذ منه جمله، وصلوا إلى بندر النخيل، ثم أكمل ذكر رحلته ثم أخذ ينقل من رحلة البكري من عجرود إلى النخيل، رجع إلى رحلته وذكر اليوم السابع ذي القعدة الثامن والعشرين من دجانبر سابع عشر الليالي، وكان ذلك في صّر وقرّ شديدين، باتوا تلك الليلة بسطح العقبة، وظعنوا منها يوم الخميس ثماني ذي القعدة، 29 دجانبر (الليالي 18)[3].

---

[1] – نفسه، و، و 66، 69.

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة ، **الرحلة**، و، 69.

[3] – نفسه، و، و، 69، 74.

ودخلوا عقبة إيلة ومالها من عقبة كؤود، ووصف مشقتها واستعدادهم للعربان الذين أيقنوا أنهم سيقطعون الطريق عليهم ولكن كفى الله المؤمنين القتال، ووصف تضاريسها وصفا دقيقا وتكلم عن أمير مصر إبراهيم أبو شنب [1]، ومكثوا فيها الخميس والجمعة، وذكر في هذه الصفة صفة الألعاب النارية التي نراها اليوم، ونقل كلام البكري من النخيل إلى العقبة، ثم انتقل إلى المزارات التي زارها في هذه المرحلة، وذكر منها قبر الإمام إبراهيم اللقاني، ثم ذكر ارتحالهم من العقبة وانتقل إلى كلام شيخه، كما وصفه أبو سالم في رحلته، ويكمل وصف رحلته وأنهم نزلوا مدينة الأقصاب بعد العصر من يوم الثلاثاء، ثم يصف تضاريسها، وارتحلوا يوم الأربعاء 4 ذي القعدة 4 يناير وذكر أن عام حجهم كان كثير المطر جدا، عاد إلى رحلة البكري ذكر ما مرّ به في هذا الجزء من الطريق بين العقبة والمويلح، وذكر في ما ذكر أبياتا يصف بها صعوبة الطريق قال الشاعر:

صعدوا إلى ظهر الحمار لعلهم * أن يبلغوا لصعودهم كل الأمل**

تعب الحمار من الطريق وطولها * ومد يدها واجتث من بعد الرمل**

حتى الجمال به شكت يا هل ترى * يقبل به عذر الحمار أم الجمل**

ومضى في ذكر رحلة البكري وما فيها من القصص الشيقة، ثم ذكر رجلا من أهل المغرب من سكان زاوية الفتح انقطع هناك، وتزوج(الحاج أحمد المغربي)، وذكر الطريق ومنازله وأماكنه، ثم ذكر قبر سيدي مرزوق الكفافي، وذكر عدة مراحل منها تسمى "إسطبل عشر" وفيها يختفي العربان للأذى، وذكر شدة الحر وريح السموم، التي لفحتهم حتى أصيب الناس بعناء مضن، وحتى بركت الإبل ولم تستطع السير، وذكر هلاك كثرة من الخلق في هذه الموجة من الحر والتي كانت شديدة جدا، ومات المغاربة زهاء الستين من قلة الماء والعطش من نساء وصبيان ورجال وولدان، [2]، دخلوا أول أرض وهي عقبة ذات أشجار وأحجار تخالف ما قبلها من أرض ثم يواصل في رحلته، ويذكر أنه نزل بوادي العقيق وارتحل منه، وكان ذلك يوم الأحد 25 ذي القعدة (15 الليالي)، ونزلوا أرض النبط ويصفها ويذكر الأربعة آبار التي وجدها، ثم يذكر مواجهة من الركب مع بعض الصعاليك، ثم يواصل ويذكر دخولهم مدينة ينبع ويذكر أنها باب الحجاز وأن فيها أخبار كل الحجاز وتأتيها البضائع من المدينة، ثم ينقل عن أبي سالم العياشي.

[1] – انظر الفصل الأول خاص بالوضع السياسي في مصر في الرسالة، ص 34، 37.

[2] –**نفسه**، و، و، 75، 81.

ويذكر قبر الحسن المثلث، وينقل عن البكري ومراحل هذا المقطع الذي سيمر هو به، ثم يذكر أنهم مروا بالينبوع يوم الثلاثاء 27 ذو القعدة، 6 يناير، ثم يذكر الطريق ويعلق على إشعال الشموع بمكان يقال له (دار الوقدة)، وينقل عن البكري، وهي بدعة ليست من مناسك الحج، ويذكر بأنه مر بهذه الطريق سبع مرات، دون المرة التي هو فيها، ويذكر أنهم نزلوا بدرا يصفها، ثم حنين، ويذكر الطريق ويصفها، ثم يذكر دخولهم زايغ ويصف عمرانه، ثم يذكر تهيؤهم للإحرام، بالغسل وغيره وانطلقوا يوم الأحد 02 ذي الحجة من هناك، حتى بلغوا الجحفة، فأحرموا منها ملبين بالحج مفردين ويذكر أبياتا مطلعها :

وسرنا كأموات لففنا جسومنا * بأكفاننا كل دليل هو لاه**

فهل يرى ذل العباد وكسرهم * فيرحمهم رب يرجون رحماه**

إلى أن يقول:

إلى أن بدا إحدى المعالم من منى * وهبت نسيم للوصال نشقناه**

ونادى ربّنا الحادي بشارة واله * فهذا الحما هذا إكراه عشناه**

ثم يواصل وصف ما رآه من قرى وعمرانها، ثم ينقل عن أبي سالم ما رآه في هذا الطريق ويصف الحدائق والآبار والمناظر، ثم يذكر أنه حج عام تسعة (1109هـ/ 1697م)، ثم ينقل عن البكري من بدر إلى مكانه الذي كان فيه، ثم دخوله الحرم المكي وتلبيته وطوافه، طواف القدوم، ثم يذكر زواج النبي صلى الله عليه وسلم من ميمونة، حين يمرون على قبرها رضي الله عنها وأرضاها ويزورونها، ويذكر أنهم نزلوا ظهر الأربعاء خامس ذي الحجة 25 يناير[1]، ويذكر دخولهم إلى مكة من باب المصلى، وهو الثنية العليا التي دخل بها المصطفى صلىّ الله عليه وسلم، ثم يذكر عنوانا جديدا: "**ذكر دخولنا لمكة المشرفة زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما**"[2]، دخل مكة يوم الخميس 06 ذو الحجة، 27 يناير.

يذكر رحمه الله كيف أدى النسك، ثم يذكر نزوله على محمد بن سليمان، ويذكر أنه صلى جمعة السابع ذو الحجة هناك وصلّى فيها إماما الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية، ثم ذكر لقاءه مع مجموعة من العلماء وزيارته لمكتبة أحدهم، ويذكر قصيدة مطلعها.

ومازال وفد الله يطلب مكة * إلى أن بدا البيت العتيق وركناه**

وقد كادت الأرواح تزهق فرحة * لما نحن من عظم السرور شهدناه**

---

[1] – **نفسه**، و ، و، 81، 87.

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 87.

إلى أن يقول:

فهذا الذي قلناه بقدومنا * وأول ضيف للصدر سرحناه**

ثم يواصل ذكر مناسك الحج والخروج إلى منى، وينقل عن كثير من الفقهاء مما يبين براعته في الفقه ويذكر لقاءه بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمان مفتي الهند ويذكر أن له تأليفا منها، تأليف على رجال البخاري، ومختصر البخاري، ويكمل ذكر المناسك ويذكر قصيدة طويلة مطلعها:

جاءوا بأحمال أوزار تؤدهم * منها جبال وحسن الظن وطاها**

فسال لما رأى الرحمان ذلتهم * طوفان عفو وغفران فغطّاها**

إلى أن يقول :

أفيضوا وأنتم حامدون إلهكم * إلى عشر جاء الكتاب بذكراه**

وسيروا إليه واذكروا الذي عنده * ذكرناك رب العباد هداناه**

ثم يذكر دخولهم إلى داخل البيت الحرام، وذلك في هذه الحجة إذ رآهم يدخلون في حجة سبقت قبل ذلك، وقد دعاه الحاج أبو عزة المراكشي، ويذكر إدخال الأمير المصري له إلى بيت الله من غير كلفة ولا زحمة في حجة سابقة، ودخوله هذه المرة، وصلاته إلى كل جهات الحرم [1].

ذكر بعض الأحكام الفقهية، وناقش ما يدل على تضلعه فيه، ثم يقص كيف قضى المناسك واحتفلوا بالعيد وكيف بقي اللحم لا آخذ له، وكيف بالغ الشاميون والمصريون في إيقاد الشموع والمصابيح والألعاب النارية والمدافع، وقد ذكر قيامه بالعمرة بعد اليوم الرابع وكان ذلك في 14 ذي الحجة ثالث فابراير.

ثم ذكر أبياتا في الشوق إلى مكة والبيت، بعد أن ذكر مقامهم بعدد 9 أيام، ثم يذكر عنوان جديد (**ذكر المشاهد التي ينبغي للحاج أن يزورها**)[2]، وذكر تحت هذا العنوان أماكن بدأ بالدار التي يقال أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولدها واستبعد أن يكون الأمر كذلك في موضع المضجع التي يقال فيها ذلك، ونقل عن أبي سالم هذا الموقف أيضا، ومنها مزار مولد فاطمة رضي الله عنها، ومنها بيته صلّى الله عليه وسلم مع السيدة خديجة رضي الله عنها، ومنها مولد علي رضي الله عنه، وغيرها من المزارات، ثم ذكر عنوان في وسط الصفحة: (**ذكر من لقيتهم في الحرم المكي من الأئمة**)[3].

---

[1] – **نفسه**، و، و، 88، 92.

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 94.

[3] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 96.

ثم ذكر تحته عدة شيوخ منهم أحمد المخيلي الشافعي، والشيخ عبد الله بن سالم والشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية وأبناءه، والشيخ محمد أكرم الهندي، والشيخ مصطفى بن فتح الله الخمود المكي الشافعي.

وذكر له تأليفا في التاريخ، وذكر أنه في عام ستة وتسعين (1096هـ/ 1684م) التقوا بمكة الشيخ الحسين العجمي وعبد الله اليمني، وقال أنه من مريدي والده رحمة الله على الجميع، وبذكر ذلك من آجازوه من الشيوخ ويذكر منهم أبي محمد عبد الله بن سالم البصري وفي ضمنها نجد ذكر اسمه واسم أبيه[1] ويذكر الإمام والشيخ ولي الله سيدي أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري الجزائري ويترجم له[2].

وبذكر سماعه من الأجهوري، وأنه كان كبير السن غاية، ويذكر مؤلفاته ويذكر العلماء الذين ترجم لهم في أسانيد مذهب مالك رضي الله عنه، والذي سماه مؤلفة " **إتحاف ودود وأسلاف بمقصد محمود**"، في ذكر سند الفقه عن شيخنا قدس الله روحه، كما ترجم لسيدي محمد بن سليمان الزكراني، ثم أدار مقارنة بين المترجم لهما عن حالهما واعتزال الناس ومخالطة الأول لهم، ومال رحمهم الله جميعا إلى حال الأول سيدي عيسى، واصل ترجمة شيخه الثاني وذكر حرفه وما يتقنه من صناعات مع ورعه وزهده وتقلله من الدنيا، وذكر أنه له اختراعا جديدا لم يسبق إليه أحد، مع معرفته التامة بآلات وقتية كالإسطرلاب وغيره، وهذه الآلة تحدد المواقيت وصفها ثم يورد فتوى للمترجم ويناقشه، ويذكر الأماكن التي ينبغي زيارتها في مكة، وعدّد منها عدة أماكن بكثرة، ثم يتناول ذكر المزارات، ثم ينتقل إلى وصف جدة، وأخبر أن قبر أمنا حواء فيه وفقا لابن خلكان، ووصف عمرانها، وكثيرا من هذه الأماكن التي يذكرها في أطراف مكة وبولايات ومناطق مجاورة لمكة، وخلال ذهابه إلى الطائف، يذكر الطريق والأشجار، والقرود التي تصرخ وذكر بأنه لم يسمع بأنها في بلاد الحجاز، وإنما هي في بلاد الشام ومصر والروم، ويذكر ما في الطائف من المزارات والأضرحة، ويذكر قصيدة للإمام أبي علي اليوسي رضي الله عنه مطلعها :

أحجاج بيت الله يسروا وأبشروا * بما لم يقله رائح ومبكر**

وطيروا عجالى فوق أجنحة القطا * وأجنحة الشوق المبرح الطير**

ويواصل القصيدة، ويقول في آخرها:

عليه صلاة الله ثم سلامه * ورضوا منه ما قام روض فخير**

[1] –انظر نص الإجازة، الفصل الثاني من المذكرة المتعلقة بحياة صاحب الرحلة، ص75.

[2] – الرحلة، و، و 92، 98.

وأصحابه والآل ماذ و شارق * فأجلى الديار ضوؤه المتفجر**[1]

ثم ذكر عنوانا جاء فيه: (**ذكر الخروج من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام**)[2]، ذكر فيه أنهم رحلوا يوم الأحد 23 ذي الحجة، وأنهم خرجوا من الثنية السفلى اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم ناقش هذه المسألة في الناحية العلمية وذكر أقوال العلماء ثم ارتحلوا من الظهران إلى عسفان، وكان مرورهم على وادي الشريق يوم الاثنين 24 ذي الحجة الموافق لـ: 20 فبراير، وذكر الطريق ووصفها ومساجدها، وذكر أنهم قاربوا المدينة أو دخلوها في يوم الاثنين 02 محرم، فاتح إحدى وعشرين و ومائة وألف (1121هـ/ 1709م) وذكر دخوله إلى الحرم وسلامه على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أبياتا في ذلك المعنى جاء فيها :

خلّ الدموع لوقتها * يا مقلتي وتمتع**

ولنغتنم طيب اللقا * و نرد لذيذ المشرع**

هذا الذي يوم القيامة * راح خير مشفع**[3]

كما ذكر عنوانا جاء فيه (**ذكر المشاهد التي زرناها بالمدينة**) [4].

وذكر زيارته للبقيع وما فيه من صحابة وتابعين وفضل البقيع ثم ذكر جملة وافرة من آله صلى الله عليه وسلم ورضي اللهم عنهم وعن أصحابهم أجمعين، وذكر ما رأى من زيارة العراقيين لمشاهد أهل البيت رضي الله عنهم إذ كانوا (العراقيون) من الروافض وقبح رضي الله عن عقيدتهم، وسفه زعمهم في المهدي وطريقتهم، وأوضح ما التبس على بعضهم من موافقة كبار الصوفية لبعض ما يعتقده هؤلاء الروافض، وذكر بعض عادات أهل المدينة وما رأى من ضعف عزم بعض الرجال على نسائهم، وذكر المزارات والأماكن كمسجد قبا وغيره، وذكر بعض الأدعية في أماكنها، ثم ذكر حكاية عن جبل أحد، وما فيه بطريقه من المساجد النبوية، وزار مرسم سيدنا حمزة وذكر خصاله، وعالج مسائل فقهية مما يدل على براعته في علم الفقه، خاصة المالكي منه، وذكر عدة فوائد، ثم ذكر المساجد التي تزار في جبل أحد،

---

[1] – نفسه، و، و، 98، 114.

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 114.

[3] – **نفسه**، و، و، 118، 120.

[4] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 118.

وجاء بعنوان: (**ذكر الآبار التي ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها**)[1]، وذكر جامعا لهذه الآبار، قال: قال الزين المراعي:

إذا رمت آبار النبي بطيبة * فعدتها سبعا مقالا بلا وهن**

أريس وغرس رمة بضاعة * كذا بصمة قل برجاء مع المعهن**

ثم ذكر عنوانا جاء فيه: (**ذكر من لقيهم بالمدينة المشرفة من أهل المحبة والأماثل**)[2]، ثم ذكرأحمد الأنصاري، والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الكريم والشيخ الظاهر بن الشيخ الكري، وذكر قصيدة مدح رضي الله عنه بها شيخا من شيوخ الحرم، وهو الشيخ عبد الكريم بن عبد الله وأخرى للشيخ صالح بن أحمد المطري[3]، ونقل رسالة محمد بن فضل الله الهندي الصغيرة والتي أجازه فيها شيخه أبو سالم، واسمها "**التحفة المرسلة**"، ثم رجع إلى ذكر من لقيهم ومنهم الشيخ إبراهيم خطيب الحرم، قرأ عليه وأجازه وذكر الإجازة[4] .

ثم ذكر تجهيز الحرم وكيفية فرشه، وغيرها من الأمور المتعلقة به، وكيف كانت تقام له الأمسيات الإنشادية، وذكر حضور الأمراء والسلاطين، ولعل هذا ما يقال له مجلس السماع، ثم يذكر عادات أهل المدينة في أيام الأسبوع والموالد وغيرها، ويذكر عاداتهم في الزواج والنشاط الاقتصادي، التجاري، ويرجع إلى ذكر جزء ابن حجر بسنده، وهو المسمى: "**الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة**"، وذكر ما يحدث في شهر رجب من زيارة سيدنا حمزة، وأن الناس يأتون من جميع الجهات المجاورة للمدينة(مكة والطائف)، كذلك الاعتناء والقيام بالمسجد النبوي والحجرة الشريفة [5]، ثم ذكر عنوان نصه: (**ذكر بعض أودية المدينة**)[6]، وذكر تحته عدة أسماء من الوديان، بدأ بوادي العقيق وذكر أنه من الأماكن المستحب زيارتها، وأن أهل المدينة يخرجون أيام زيادة الماء فيه، للتنزه وآثارا عن الصحابة وأشعارا عنه، حيث يقول: قال السيد ابن عبد الرحمان الأنصاري :

كفنوني في درع إن مت اروا * واسقوا لي من بئر عروة ماء**

سخنته في الشتاء باردة الصيف * سراج في الليلة الظلماء**

---

[1] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 128.

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، 131

[3] – أنظر بعض أبيات القصيدتين في الفصل الثاني من هذه المذكرة، ص، 76.

[4] – أنظر نص الإجازة في الفصل الثاني من المذكرة، ص75.

[5] – **الرحلة**، و، و، 120، 144.

[6] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 143.

وأنشد عبد الرحمان يوسف، وهو في غاية العذوبة والزلالة:

على ساكن بطن العقيق سلام * وإن انتهروني بالفراق وناموا**

حظرتم عليّ النوم وهو حلال * وحللتم العذيب وهو حرام**

وذكر أن سيله يعتبر عيدا عند أهل المدينة، وقد حضر سيله ثلاث مرات، وذكر أشعارا لبعضهم فيه:

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرا * فلا تسأل الرسائل عما هناك جرا**

الوجد أورق زنادا في الحشى * فجلى به الفؤاد فسال الدمع مبتدرا**

وذكر وادي بطحان، ووصفه في مجراه وغيرها مما يتعلق بجغرافية هذا الوادي، ويذكر وادي مدين وغيره، ثم ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بطولها وبعض أحاديثه، وقال بأنها آخر خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وذكر بعدها قصيدة طويلة مطلعها :

يا مطلب ليس لي من غيره أرب * ومن ذا له بالمعنى يحل الهرب**

وهي من القصائد التي ينشدها المؤذنون في الحرم، وقد أثبتها كما أخبر تبركا بها، ثمّ أنشد للشيخ الخياري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (إبراهيم الخياري)، كان مطلعه :

زارت على غفلة من غير ميعاد * تسحب غيدا آتيها خير إيراد.**

كالشمس إن وضحت والبدر إن لمحت * والورد إن سمحت في خدها ناد**

إلى أن قال:

ما فاز بالوصل مسجور فأنشدنا * أتت على غفلة من غير ميعاد**[1]

ثم ذكر قصيدة أخرى للشيخ عبد الله باعفيف اليمني يقول في مطلعها :

كوني سلاما وبردا نار أكبادي * على خليلك أو زيدي حل الصاد**[2]

ثم ذكر قصيدة أخرى للصفدي أنشدها ليلة الجمعة مطلعها :

يا صاح هذا البان نهج به * لو ما رأيت القلب طار بعجبه**

حتى يقول:

صلّى عليك الله ما فاح الشذا * في شرقه ما مادحيك وغربه**

وأنشد له أخرى يقول في مطلعها :

---

[1] – **الرحلة**، و و، 151، 152.

[2] هكذا وجدتها، **الرحلة**، و، 152.

هذا الذي كنت أرجوه وأرتقب * لم يبق بعد هذا اليوم مطلب**[1]

ثم يذكر عنوان جديد له بقوله (**ذكر خروجنا من المدينة المشرفة وما ذاق القلب من ذلك وناله ولم يكفه وداعه صلى الله عليه وسلم**)[2]، ذكر تحت هذا العنوان أنهم لم يبقوا إلا خمسة أيام في المدينة، ثم ذكر شدة العويل وحرارة الفراق، وشدة الحسرة على فراق الحضرة النبوية، وأنه ودع الضريح الشريف يوم 16 محرم، وتمثل بأبيات يصف ألم فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم .

يا سيد الثقلين يا من وصفه * قد جاءنا في محكم القرآن**

هذا فراق ربيعكم يا هل ترى * يقضى لسلم بإجماع ثان**

ما الموت إلا فراقك يا سيدي * إذ فيه فرط مذلتي وهوان**

ثمّ ينشد كذلك من قصيدة أخرى

وقفنا اتجاه المصطفى لوداعه * فلا دمع إلا للوداع صببناه**

ولا صبر كيف الصبر عند فراقه * وهيهات حسن الصبر عنه صرفناه**

أبصر ذا عقل لفرقة أحمد * فلا والذي من قاب قوسين أدناه**

وذكر أنه حج قبل هذه الحجة مرتين، عام تسعة وتسعين وأخرى عام تسعة (1099- 1109هـ/ 1687-1697م).

ثم يبدأ سرد رحلة الطريق، وأنهم زاروا عدة أمكنة منها قبر عبيدة بن الحارث، ثم ذكر أنهم وصلوا ينبع يوم الثلاثاء، وظعنوا يوم الخميس 12 محرم، 02 مارس، ثم ذكر بعدها الطريق وما فيها من المتلصصة والعربان، ووصف جمال الربيع في ذلك العام، وأنه كان عام خير ومطر.

واصل ذكر الرحلة نحو ديارهم، وذكر المحطات التي نزلوا بها، وما وقع لهم من حكايات مع السارقين الذين اقتحموهم مرة بعد مرة، وذكر أنهم وصلوا إلى العقبة في مستهل هلال شهر صفر ليلة الثلاثاء، وأنهم دخلوا القاهرة ضحى الاثنين سابع صفر، السابع والعشرين من مارس، ثم ذكر عنوانا جاء فيه: (**ذكر الإسكندرية من العجائب**)[3].

ذكر أن له كتابا في التفسير المأثور كما ذكر الإسكندرية، وبناءها ومؤسسيها ومؤسسي معالمها من المنارة والمساجد الخمسة المقدسة وغيرها، وذكر بعض الأعاجيب كعمود السواري وقال: " **ليس في**

---

[1] – **الرحلة** : و، 154.

[2] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 156.

[3] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، الرحلة ، و، 161.

الدنيا مثله"[1]وغيرها، وذكر صنم الإسكندرية التي كانت الحيتان تجتمع عنده وقبر الوليد بن عبد الملك، عامله على مصر وغيرها من الأعاجيب، التي بالإسكندرية.

وروى قصة سيدنا عمرو بن العاص مع الشماس المصري، الذي أنقذه مرتين، مرة من العطش ومرة من الحيّة. وذلك في طريق بيت المقدس، وذكر حسن الضيافة لدى أهالي الإسكندرية، ثم ذكر أنهم ظعنوا يوم الثلاثاء، وذكر ما زاروه من أضرحة ومقامات، وذكر أنه مرض وأصابه شيء في رجله في الطريق حتى اضطر الركب إلى المبيت تحت كثيف بكاف، ثم ذكر راحته في الكاف، وأنه سبق الركب التونسي، وذكر كثيرا من أهل الركب معهم قد تاهوا، وبعثوا إليهم بدليل يدلهم، فجاء بهم.

وذكر أمورا أخرى من بيعهم وشرائهم، وأوقات ظعنهم ونزولهم، ذكر بأنهم نزلوا يوم الثلاثاء الرابع من ربيع الثاني ثلاث عشرة دخلت من يونيه، ويذكر أنهم لقوا أولاد الحاج عبد الواحد بن غلبون، وطلبة درنة كسيدي عبد الكريم، والحاج شامي وولده، واستقبلوهم بترحاب[2]، ثم ذكر ما وقع بين طرابلس ودرنة من حرب قتال، في ما مضى من الأزمان، وأخبر بأنه لا مفازة بينهما، ويذكر أنهم انطلقوا يوم الخميس لاثنين بقين من ربيع الثاني وخمسة عشر دخلت من يونيه.

ثم ذكر الرحلة والرعب الذي تملكهم خوفا من العطش، وذكر أنهم وجدوا الماء، وكفاهم الله المؤونة في ذلك، ولمح رضي الله عنه إلى طبائع أهل هذه البلاد، وأخبر أن عربانها وملوكها قد أفسدوا فيها، وأكمل رضي الله عنه الرحلة في هذه الأرض، ويذكر الطريق التي سلكوها، ويذكر ويسمّي الوديان والأماكن التي مروا بها، ويذكر أنهم نزلوا أجدابية يوم سادس، جمادى الأولى، الثالث والعشرين من يونيه، ويصف جغرافية الأرض والجو، وغير ذلك، ثم يذكر عنوان: **(ذكر أجرة الدليل وما انضم إليه)**[3].

ويذكر أن الحجاج اجتمعوا لفرض ما ألزموه من الأجرة، ثم يعرض هذه المسألة من الناحية الفقهية، ويناقشها ببراعة ويوازن بين الأقوال، ناسبا كل قول إلى صاحبه، ثم يقول: "**ولنذكر تتميما للفائدة واستبصارا لفائدة الكلام على ضرب الريال بالفضات**"[4]. وذكر المسألة وناقشها وذكر من التاريخ والفقه ما يبين تبحره رضي الله عنه، ثم يواصل وصف رحلته بأنهم ظعنوا ووصلوا سبخة سرغين فوصفها.

---

[1] – نفسه

[2] – **نفسه**، و، و، 161، 169.

[3] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، الرحلة ،و، 172.

[4] – نفسه،و،173.

وذكر ما أصابهم من عطش وورودهم على ماء مالح، شربوا منه على ملوحته، وعاد إلى ذكر بعض طبائع سكان تلك المناطق، من أنهم أهل حرب وقلاقل، وقليل منهم الصالحون مثل بعض أهل سرت، ثم أخبر أنهم نزلوا الزعفران يوم الأربعاء، ثامن جمادى الأولى، خامس يوليو، وذكر بعض من لقيهم، من أصحاب والده رضي الله عنهم، سيدي محمد جخيعان بجملين، وأكرمهم بالتمر والحليب جزاه الله خيرا، كما ذكر أنهم زاروا الإمام الشيخ أبا العباس سيدي أحمد زروق وسيدي أبو تركية وغيرهم، وواصلوا الرحلة بعدها، ويذكر أنهم ظعنوا يوم الاثنين من جمادى الثانية 17 يوليه، وذكر زيارتهم سيدي عبد الرحمن عمار.

ثمّ ذكر جماعة من الذين أكرموهم، ثم يذكر عنوانا جديدا باسم: (**ذكر خروجنا من طرابلس وارتحالنا منها أمّنها الله آمين**)[1] وكان ذلك يوم الخميس 08 جمادى الثانية، ثم ذكر رجالا من الصالحين عاد به إلى ذكر الدخان وحكمه وقبحه، وأن الشيخ اللقاني والسنهوري وغيرهما، والذين وصفهم بالأكثرية على تحريمه وقال وممن ألف في إباحته الأجهوري، ورد كلامه فيها الشيخ الفكون ردّا بليغا كما أنه ذكر أن الدخان من النوازل [2]، وأن العهد باكتشاف عشبته قريب، وذكر جماعة كثيرة على منعه وقبحه ومنهم والده سيدي محمد بن ناصر، رضي الله عنه، وأنه كان يشدد جدا على من يتعاطى مثل هذا.

ثم رجع إلى رحلته وذكر منازلها، وذكر ما لقي من العلماء والصالحين في الطريق، ثم ذكر بلادا من البربر تسمى "**وزدر**" وما جاورها، ينتحلون مذهب الخوارج، وذكر شيئا عنهم وواصل ذكر مذهبهم وكبرائهم وما ينتحلون من عقائد فاسدة، و ما هم عليه من العبادات ومن غلو فيها وضرب على ذلك الأمثلة، وذكر من الفقه والتاريخ أبياتا من الشعر في ذلك، ومثّل عليها بالمسح على الخفين، ولقد ذكر له الفقيه الشيخ سيدي عبد السلام بن عثمان أبياتا لذم الخوارج في المزارة قائلا:

لقد قبح الله المزارة كلها * وألبسها من دون أربابه شينا**

وأبيات أخرى لآخرين، وواصل الرحلة، وذكر من لقيهم من أهل المحبة وأخبار مما رأى وسمع وذكر أنهم ظعنوا من قرية يقال لها "**مارت**"، صبح الاثنين 29 جمادى الثانية، وذكر بلاد قابس وما فيها من النعيم، وأنه لم يجتمع في مائدة صيد البر، وصيد البحر وأصنافها، إلا في مائدة قابس وذكر عمرانها

[1] – عنوان رئيسي وسط الصفحة، و، 177.

[2] – هي القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقا للفقه الإسلامي وقد كتب فيها رسائل ومجلدات عديدة منها (**محيص الحكام في نوازل القضايا والأحكام**) لإبراهيم بن حسن المكنى بن عبد الرفيع، **نوازل إبراهيم بن هلال مفتي سجلماسة** (903هـ/ 1497م).انظر عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ص، 18.

وغيره من الأمور، كما ذكر بعضا ممن عده من الخرافات، وذلك ماحكاه البكري عنهم، ويذكر رسالة لأبي المطرف بن عميرة في وصف قابس، ويورد رسالة أخرى له يقول بأنه من أصحاب والده رحم الله الجميع، ويذكر فيها كاتبها أنها لسيدي أحمد بن ناصر الدرعي، ثم يذكر الحامّة ومياهها وأرضها[1]، ثم يذكر استجازة أولاد سيدي الشيخ علي النوري، سنة عشر (1110هـ/ 1698م) له للمؤلف (المترجم)، ونص على نصها وهي أبيات شعر جاء فيها:

أردنا من السادات فضل إجازة * على كل علم من حديث ومن فسر**

وغيرهما مما لديكم إجـازة * من أشياخكم شرقا وغربا على جهر**

ومن شيخنا الإمام نجل لناصر * وأستاذه الأعلى الشهير كالبدر**

فمازلتم نورا وشمسا لدى الورى * بكم يقتدى في الدين والسلم والبر**

فأجازهم محمد الهشتوكي (أستاذ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة) شعرا وقال:

وأجزنا أولاد الإمام عليهـم * أبي الحسن النوري الصفاقصي ذي البر**

كما لعبيد قد أجاز شيوخـه * بشرق وغرب بالنظم وبالنثر**

وصاحبهم يدعى المؤخرعندهم * فقيه نبيه ذي النجابة والفكر**

ثم ذكر ظعنهم من الحامّة، يوم الخميس 02 رجب، 17 غشت أول الخريف، وذكر بعضا من مريديه وأصحابه، ثم يذكر بلاد تامزارت، وما فيها من الرياح العاصفة، ويذكر سبب ذلك، وحكايات أخرى ويذكر زوايا وأماكن مروا بها، ومرورهم عن نفزاوة متوجهين لتوزر وغيرها ثم أنشد لأبي الحكم الحسن، بن عبد الرحمان بن عدة، في كتابه: "**منهى السؤول في مدائح الرسول**" مطلعها:

في خير الأحبة ما ألذ مساقه * وجنا القطيعة ما أمر مذاقه**

إلى أن يقول :

وعلى صاحبته وعشرته التي * أمّت رضاه واقتفت لأخلاقه**

ثم يذكر أخبار قابس، وما جرى لها من حوادث التاريخ، في ذكر أبي لبابة الصحابي، وزياراتهم له، ويواصل رحلته، ويذكر قصيدة للشيخ سيدي علي بن محمد، المقداد التميمي مطلعها:

عليه ثناء لمن لا أحصي جل ثناؤه * ومثني إلى الأولياء أصفياؤه**

وأهدى صلاة لا يكيف قدرها * على تحفة المولى الوفي عطاؤه**[2]

---

[1] – **الرحلة**، و و، 177، 184.

[2] – **نفسه**، و، و، 184، 189.

ذكر توديع بعض الطلبة له، وأسماؤهم تدل على أنهم جزائريون، منهم سيدي علي بن سلامة المهدي، منسوب إلى المهدية، وسيدي عبد الكريم القسمطيني وغيرهم، ثم ذكر مرورهم بسبخة فيها رمال متحركة، وصفها ولم يصرح باسمها، وأخبر بأن كثيرا من الناس والعساكر والجمال قد هلكوا فيها، وذكر في ذلك أبياتا للشاعر الفقيه أبو إبراهيم بن حسينة في وصف هذه السبخة إذ يقول:

قطعنا التاكوت سرى * وسرنا صبح يومنا في الزوال**

لا تسأل بما قسيت ففيه * من الأهوال والركب الثقال**

عناء ليس يشبهه عناء * يضيف إليه متسع المقال**

ثم ذكر نزولهم بدقيوس، بعد مرورهم بعدة أماكن وتسوقهم، ثم حكا عن غار يقال له غار أهل الكهف، وذكر أن بعض الناس يعتقد أن فيه أهل الكهف، لأن اسم البلد دقيوس فوهموا ذلك، ثم روى عن الإمام أبي سالم أن بعض الصالحين يعتزل في ذلك الغار، ثم يذكر نزولهم "توزر" و "وزان"، يوم الاثنين 06 رجب، خامس الخريف، 21 غشت، ثم وصف ما مرّ به من الطريق، ثم ذكر قصيدة يصف بها بلدة مما مر به (توزر).

توزر إن شئت رؤية جنّة * تجري بها من تحتك الأنهار**

وجلّ على نهر يسيل كأنه * رقة تمام على النظار ثمار**

أبّا وفاكهة حوت وحدائقها * غلب تغرد فوقها الأطيار**

ثم يذكر تاريخ بربر توزر السابقين، وهجراتهم الأولى، وأنهم كانوا من فلسطين وما جاورها من بلاد الشام، ثمّ ذكر من لقيهم من طلبتها وفقهائها وعلمائها، ثمّ ذكر زيارته لبسكرة والزرايب[1]، وذكر نص قصيدة قرأها في كتاب لمحمد بن حسن اليوسي جاء في مقدمتها:

كتبت ودمعي واكف العبرات * وقلبي حزين دائم الزفرات**

وينهيها:

وربي أرجو أن ينيل بفضله * علينا بجمع قبل مفات**

ثمّ واصل الرحلة، وذكر عدة محطات نزلوها ومرض واحد منهم وغير ذلك، وحكى ما حدث لهم من المطر الشديد الذي ضيع على بعضهم بعض متاع، والريح العاصف التي ضربت بشدة في ذلك اليوم، وذكر نزولهم بسيدي عقبة عصر يوم الثلاثاء 14 رجب، 29 غشت، وذكر من لقيهم، وذكر ظعنهم يوم السبت

[1] – نفسه، و، و، 189، 191.

28 رجب، 02 سبتنبر، وذكر من لقيهم ومن أكرمهم، وذكر مرورهم بسيدي عيسى وبأولاد رحمان، وذكر ما لقوه من الفساد والمطر الشديد وأماكن نزلوا بها، ثم ذكر أنهم مروا بالأغواط، وواصلوا رحلتهم، وذكر فائدة يحتاجها الفلاحون، قال: "**مما يحمي من تناول الدرياس تكميم أفواه الإبل**"، [1] ذلك أن جمالا أكلت الدرياس فنخرت، لأنه سام، وذكر غيرها وهي أمور بيطرية، وذكر أنهم التقوا ببعض الرجال وذلك يوم الخميس أول شعبان، 14 سبتمبر، وذكر عدة منازل نزلوابها، وذكر من لقيهم وأكرمهم من أهل النيات الصادقة، ذكر بعد نكتة وهي في الحديث عن "الإذن"، عند أرباب السلوك من علماء الشريعة والحقيقة، وواصل ذكر ظعونهم والمنازل التي نزلوا بها ومن لقيهم من الأشراف، وذكر فضل ليلة النصف من شعبان، ثمّ ذكر طرفا من العقيدة، ثم يواصل الرحلة ويذكر أنهم مروا على ربوة بازا و أبيريم، واستقبالهم من طرف أهل فجيج، واستقبلهم صهره الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله بن عثمان، ويذكر أنهم ودّعوا أهل فجيج يوم الأحد 18 شعبان، الأول من أكتوبر[2]، ثمّ صلّوا العصر بالشفتو، ثمّ طفلا شرقي التوميات، ثم استقبلهم أهل عين بني مقيل، ثم وكدو، ثمّ بشار قبل العصر ونزلوا بازا، فاستقبلهم أهلها، ثم ظعنوا والتقوا جماعة من القنادسة، وصلّوا العصر غرب المسور الريان، وخاضوا وادي الكبير، ذلك يوم الخميس 28 شعبان، ثمّ صلوا العصر بوادي الصفصاف، وصلوا إلى حميدة اللحم يوم الجمعة 23 شعبان، 06 أكتوبر يقول: "**وبتنا في ولدسن، وتوفي الحاج محمد بن عبد القادر الدرعي في أولاد تانب ودفناه هناك** "[3]، وجاءت جماعة من بني محمد وأخبرتهم بأن أهلهم في تلغمت بانتظارهم، ثمّ صلوا الظهر في المتاكيد، واستقبلهم مولاي أبو القاسم بن مولانا أمير المؤمنين الأمير إسماعيل، ضحوة يوم الثلاثاء 27 شعبان، 10 أكتوبر، كما زاروا سيدي عبد الكريم وأقاموا في روضة سيدي يوسف، الأربعاء والخميس لقضاء حاجاتهم، يقول: "**وزرنا الحسن سيدي علي بن عبد الله يوم الجمعة، كما زرنا القرز زوالا، ونزلنا المقبرة التي مدفون فيها أبي القاسم بن مولود، وسيدي عبد الواحد**"[4]، ثمّ يأتي بأبيات من شعر الحكمة، جاء فيها:

وأرزاق لنا متفارقــات * ومن لم تأته منا أتاها**

مشيناها خطى كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطى مشاها**

ومن كتبت منيته بـأرض * فليس يموت في أرض سواها**

---

[1] – نفسه، و، 191.

[2] – **نفسه**، و، و، 191، 201.

[3] – نفسه ، و ، 201.

[4] – نفسه، و، 202.

ثم يقول بأنهم مكثوا بهذه الديار إلى مستهل رمضان، رابع عشر أكتوبر، حيث ودّعوا أشياعهم من أهل تافلالت، ثم مروا على واد غريس، وودعوا أهلها ومنهم مولاي علي بن عبد الواحد ثمّ مروا بأبي العظام وباتوا هناك، ثم حاسي الطرفة والزيتة، ثمّ العطشانة، ثمّ الجرّان، ثم أركزو ثم تجشمت، حيث استقبلهم السادات الأحرار، مولانا علي بن أحمد وإخوته والشيخ يوسف بن إبراهيم، لملاقاتهم مع جماعة من أهل درعة، حيث نزلوا على ربوة، إزاء وادي الخريويع، وباتوا هناك، وحين ارتفع النهار جاءهم أهل المحبة من درعة لملاقاتهم أفواجا، ثمّ ساروا نحو الزاوية متجهين، ووصلوا مع عصر الأربعاء، خامس رمضان، اثنين وعشرين ومائة وألف، 18 أكتوبر ودخلوا الزاوية يوم الخميس، حين الاصفرار 1122هـ/ 1710م 19 أكتوبر، وأمم المسجد الكبير عملا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وركعوا ركعتي الإشراق، وخرجوا منه آمين روضة سادتنا الطيبين فجعلوها ختام حجتهم[1]، وينهي كلامه بالقول: "**وأممنا المسجد الكبير عملا بسنة الهادي البشير صلى الله عليه وسلم ومجّد وعظّم، فجلسنا بها هنيهة حتى ركعنا ركعتي الإشراق، فخرجنا منه آمين روضة ساداتنا الطيبين الأخلاق، والطاهرين الأعراق، فجعلناها ختام حجتنا، تنهما لرغبتنا فوجدنا الأحباب والأولاد، فحمدنا الله على بلوغ الغاية وامتداد الأجل، حتى وصلنا النهاية** "[2]، ويأتي بأبيات من الشعر قائلا : **ولقد أحسن من قال:**

ما كان أهنى وأحلى حجة حصلت * لنا فنلنا الذي نرجوه من أمل**

رحلنا إلى عرفات والذنوب على * ظهورنا فحططناها على الجبل**[3]

وينهي قوله: "**وألقينا عصا التسيار واستقرت بنا الدار، وأكثرنا من الشكر والاستغفار، للملك الغفار وحمدنا الله على السلامة من ركوب الأقطار، والنجاة من غوابل وعناء الأسفار، ونسأله الإثابة والعافية وحسن القرار في هذه الدار وفي تلك الدار، بجاه سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان من الأبرار**"[4].

ثم يختم بالآية الكريمة " **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** "[5]

---

[1] نفسه.

[2] – نفسه.

[3] نفسه.

[4] نفسه.

[5] – سورة الصافات الآيات، 180، 182.

ومكتوب في نهايتها بخط الناسخ:

انتهت الرحلة الناصرة بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد عز البرية، وآله ذي النفوس الأزلية وسلم تسليما

في 05 ربيع الأول سنة 1312هـ/ 1894م

وكان ذلك يوم الخميس[1]

ووجدت في آخر النسخة المنسوخ منها هذه مانصه:

الحمد لله ، توفي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته بين عشائي ليلة الجمعة التاسع عشر ربيع الثاني عام تسعة وعشرين ومائة والف، وكانت ولادته رضي الله عنه منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان عام الف وستة وستين هجري (1066هـ) .

انتهى غفر الله لكاتبه بمنه وكرمه آمين.[2]

[1] – الرحلة، و، 203.

[2] نفسه، و، و ، 203 ، 204

ومما سبق يمكن القول إن:

- مولد الشيخ أحمد بن محمد الدرعي صاحب الرحلة كان ليلة الخميس 18 رمضان 1057هـ - 1647م، ووفاته كانت سنة 1129هـ - 1718م (72سنة) رحمه الله ولم ينجب أولادا.
- أصله جعفري من آل البيت نسبة إلى جعفر بن أبي طالب – وأصل أمه حفصة الأنصارية من المدينة المنورة.
- ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والجاه – أبوه محمد بن ناصر من كبار علماء الدرعية بالمغرب.
- تخرج على يد علماء أجلاء من بينهم أبوه محمد بن ناصر وأبو سالم العياشي وأبو الفتوح التلمساني وأبو العباس الجزولي.
- اتصل بعلماء كبار في مصر والحجاز، وكان من بينهم الشيخ علي الزعتري والذي أجازه سنة 1097هـ - 1685م، وكذلك أبو محمد عبد الله بن سالم الذي أجازه سنة 1122هـ - 1710م، وخطيب الحرم بالمدينة المنورة الشيخ ابراهيم والذي أجازه سنة 1096هـ - 1684م.
- يبدو أن الشيخ أحمد الدرعي كان متبحرا في معظم العلوم، كعلم التاريخ والجغرافية والفلك والفقه والسيرة والتفسير والحديث واللغة والأدب والشعر.
- كان زاهدا من الأبدال(الدراويش) أو من ذوي الفراسة لتقواه، وعابدا طرقيا على الطريقة الشاذلية، بحيث يقدس الأضرحة ، ويكثر من مزارات الأولياء الصالحين عكس الامام محمد بن عبد الوهاب الذي حطم مقرات (مقامات) الأضرحة، وكان يحرم ذلك، وهذا ما يعاب على الشيخ الدرعي.
- تعتبر الرحلة كنزا ثمينا ومصدرا هاما مفيدا للباحثين والمؤرخين كونها تغص بالفوائد التاريخية وتعطي وصفا هاما للمجتمعات والبلدان التي زارها وفي جميع المجالات، دينيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

- لم يكن الشيخ الدرعي ذا انتاج علمي وفير كأبيه، بل له مؤلف الرحلة وكتاب الأجوبة وكتاب في الصلاة، كما أشار محمد الطيب القادري في نشر المثاني، وذلك كونه اهتم بالجانب العملي كبناء الزوايا والمساجد وتعميرها بالكتب وخدمة الطلاب و الفقراء وتوفير الزاد لهم.

الفصل الثالث:

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في مصر والحجاز من خلال الرحلة (رحلة الدرعي)

1- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في مصر:

أ- مظاهر الحياة الاقتصادية.

ب- مظاهر الحياة الاجتماعية الثقافية.

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في الحجاز:

أ- مظاهر الحياة الاقتصادية.

ب- مظاهر الحياة الاجتماعية الثقافية.

أتناول في هذا الفصل أوضاع مصر والحجاز الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، من خلال رحلة الدرعي، ولذلك ارتأينا أن نقسم هذا الفصل إلى مبحثين رئيسيين.

المبحث الأول: خصصناه لأوضاع مصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال رحلة الدرعي وقسمناه إلى مبحثين ثانويين.

المبحث الأول:

أ-: مظاهر الأوضاع الاقتصادية لمصر من خلال الرحلة.

ب-: المظاهر الاجتماعية والثقافية لمصر من خلال الرحلة.

المبحث الثاني: خصصناه لأوضاع الحجاز الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال الرحلة، تفرع إلى مبحثين ثانويين.

أ- المظاهر الاقتصادية للحجاز من خلال الرحلة.

ب- المظاهر الاجتماعية والثقافية للحجاز من خلال الرحلة.

ونظرا لقلة المادة التاريخية الخاصة بهذا الفصل، فقد لجأنا إلى الاعتماد على بعض المصادر والمراجع لإثراء الفصل ومنها على سبيل المثال:

- الجبرتي، **عجائب الآثار والتراجم و الأخبار**. ج2. ، - ابن بشر، **عنوان المجد**. ج1. - ألكسي فاسيلييف، **تاريخ العربية السعودية**. - محمد اسعد طلس، **تاريخ العرب**. ج2. - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، **فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني**. - عبد الرزاق معان، **دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني**. - مديحة أحمد درويش، **تاريخ الدولة السعودية**. - **الموسوعة العربية العالمية**.

1- الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية الثقافية في مصر من خلال الرحلة:

المظاهر الاقتصادية بمصر:

بالرغم من الحالة الاجتماعية المزرية التي كان يقاسي منها الناس، إلا أن الحالة الاقتصادية كانت ترفل في ألوان النعيم، يقول: "ووجدنا مصر في هذه السنة في عافية ونقص أسعار، وسلامة من الأمراض على أنها قلّما تخلو من مرض وموت"[1]، وقد أشار أن أسواقا تقام للحجاج بصفة مؤقتة وهي أسواق تلائم المارة جدا، حيث يكون سعر سلعها رخيصا جدا قال: "**فتنصب الأسواق هناك ويخرج غالب الباعة والمسببين، بحيث يجد هنالك ما يحتاج إليه السفر بأرخص من سعر مصر فيقيمون هنالك إلى آخر يوم السابع والعشرين**"[2]، ويصف سوق بندر النخيل بأن بها فاخر الفواكه الشامية، والزبيب وأنواع السلع[3]، وهذا دليل على كثرة النشاط الاقتصادي وتبادل السلع بين المشارقة (مصر والشام).

كما يذكر عدة أسواق في الطريق، منها هذه السوق التي كانت: "**في حصن حصين في قرية على شاطئ البحر، على سفح الجبل، وبها آبار كثيرة وفيها سوق كبيرة يحضرها أهل غزة وتأتيه الأعراب بالإبل والغنم، والسمن والعسل، والعلف للدواب، ووجدنا الفول فيها أرخص مما أشري عليه من مصر**"[4]، وهذا دليل على السلع التي كانت تباع، وعلى المؤن التي كان يتمون بها الناس في ذلك الوقت، خلال طريق الحج.

و فعلا أن مصر كانت مركزا هاما نظرا لموقعها الذي جعلها مجازا إلى جزيرة العرب والهند عن طريق البحر الأحمر، وإلى الحبشة عن طريق النيل، وإلى أوربا والسلطة العثمانية عن طريق البحر المتوسط، فتجيء إلى القاهرة كل سنة قافلة من الحبشة تنقل الدقيق (يراوح عددهم بين ألف وألف

---

[1] – **الرحلة** ، و ، 55.
[2] – **نفسه** ، و ، 62.
[3] – **نفسه** ، و ، 73.
[4] – **نفسه** ، و ، 75.

ومائتين)، والعاج ومسحوق الذهب وريش النعام والصموغ وطيور الببغاء والقردة، وتصل إلى السويس من الهند الأنسجة والصموغ والعطور واللؤلؤ، والبن من اليمن، وكذلك تصل هذه السلع من جدة بواسطة السفن الشراعية في شهر مايو عند مواقاة الريح الجنوبية.

كما تأتي إلى القاهرة قوافل صغيرة من دمشق تنقل إليها الحرائر والقطنيات والزيوت والثمار المجففة، ولا يخلو مرفأ دمياط في الربيع من السفن المحملة بالتبغ اللذقاني الذي يستهلك في مصر، وهناك سفن تأتي من الأستانة محملة بالأثواب والأسلحة والغراء والمعادن والكتان والحرير والخرصوات والورق والحديد[1]

كما يذكر أن مدينة المويلح، كانت مدينة نشيطة بالتبادل التجاري الذي يقع بين الناس، ذلك أن بها مرسى يساعدها على ذلك، فتأتيه السلع القادمة من السويس والقادمة من جدة والحجاز فكانت بها سوق فيه غالب ما يحتاجه المسافر [2].

كما أن لبعض الأسر وكلاء بجدة كما يشير عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم[3].

---

[1] – عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار والتراجم والأخبار، ج2، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، دط ، 1997، ص 923

[2] – **الرحلة** ، و ، 78.

[3] – أصبحت بعض الأسر التجارية في مصر في القرن الثامن عشر بمثابة شركات تجارية كبيرة تقوم بعمليات الاستيراد والتصدير والتوزيع في نفس الوقت، وكان بعض هذه الاسر يسيطر على معظم الوكالات التجارية التي كانت قائمة في القاهرة في ذلك الوقت، وكان لهذه الأسر وكلاء تجاريون في جميع موانئ البحر الأحمر التي كانت تصل إليها السلع التجارية، فتذكر الوثائق أن السيد محمد خليل عمل وكيلا للحاج علي حماد الفيومي ببندر جدة، وكان يقوم بإرسال طرود البن إليه، ويصرف أموره التجارية بهذا الثغر نيابة عنه، واستمر يقوم بهذا العمل لابنه اسماعيل جلبي من بعده، وكذلك نجد وكلاء آخرين ببندر جدة، مثل السيد محمد نصر وابنه السيد عبد الرحمان بن السيد محمد نصر اللذين عملا وكلاء لهذه الأسرة ببندر جدة كذلك، وقد كانت هذه الأسر تتاجر بالدرجة الاولى بالبن اليماني... وكذلك تذكر الوثائق أن الحاج عنبر عمل وكيلا للخواجا عبد العزيز بن عبد العزيز الشهير بابن ابي بلعة المغربي.... ومن الملاحظ أن نظام الوكلاء التجاريين استمر حتى بعد ان تمكنت السفن التجارية الأجنبية أن تصل إلى السويس وغيرها من الموانئ المصرية منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري). أنظر عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، **فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني**، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، د.ط. 1990، ص 136 – 137.

ويذكر خصوبة أرض مصر، يقول: "**وجدنا أرض مصر خصبة** "[1]، ويذكر، أن فيها أنواع الزرع والبرسيم، وسائر أنواع المزارع، بقرب الريف فصارت كأنها فدان واحد. ويقول: "**وبتنا في أرغد عيش**"[2]. وهذا دليل على ثراء أرض مصر وخصوبتها، ويذكر حالة الزحام في الأسواق، يقول: "**فكل سوق دخلته تقول هذا أكثر زحاما، فإذا خرجت منه لآخر وجدته مثله وأشد، وقد شاهدنا الناس في بعض الأسواق تارة يقف هنيهة، لا يقدر أحد أن يتحرك يمينا ولا شمالا من غير أن يكون هناك حاصر لهم إلا الزحام، وربما رفع أحدهم صوته بالتكبير فيكبرون حتى يظهر فيهم بعض التحرك، فيدفعون مثل السيل إذا اجتمع في مكان ضيق، فيدفع بعضه بعضا حتى يتفجر من جهة، فسبحان خالقهم ورازقهم، وعالم نياتهم وضمائرهم**". [3]

وكانت وسائلهم للنقل متعددة، حيث يستعملون الجمال والبغال، كما يعبرون النيل عبر زوارق (درابيك) مهيأة لذلك، حيث تحمل الأمتعة على تلك الجمال والبغال، ثم تدخل، في تلك المراكب وتناخ بأحمالها ليعبر بها، ثم تخرج بأحمالها[4].وكذلك نجد وصفا مميزا للجبرتي حيث يقول : "**كل ما في مصر يتفق والنظام الذي يسودها فحينما لا ينعم الفلاح بثمرة أتعابه تراه ينصرف إلى العمل كارها، امتهن الزراعة وحيث لا ضمانة لحرية الاستمتاع فلا صناعة قائمة والفنون بدائية، وحيث لا تجدي المعارف نفعا، فلا ينشط الناس إلى اقتباسها وتبقى العقول على وحشتها وهذه هي حالة مصر**"[5]، وكانت معظم أراضيها في يد البكوات والممالك ورجال الشريعة، أما أصحاب الأملاك الآخرون فعددهم قليل جدا ومحدود فضلا عما يصيب أملاكهم من التكاليف والضرائب

[1] – **الرحلة**، و، 54.

[2] – **نفسه**، و، 55.

[3] – **نفسه**، و، 55.

[4] – **نفسه**، و 55.

[5] –**الجبرتي**، ، **عجائب الآثار، ج2**، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، المصدر السابق، ص 919.

والمكوس. والإرث عندهم لا يشمل العقارات بل تؤول إلى الحكومة ومنها ليشتريها أصحابها والفلاحون آلات مأجورة لا يترك لهم المعاش إلا ما يقيهم الموت.[1]

ب– مظاهر الحياة الاجتماعية الثقافية في مصر من خلال الرحلة:

يمكن استنتاج عقيدة أهل مصر من خلال ما ذكر الدرعي في الرحلة في (و53)، عقيدة أهل مصر في حب النيل يقول: "**إلى ساحل بحر النيل الذي هو أشرف الأنهار الأربعة الخارجة من الجنة، وآثار بركته ظاهرة للعيان في مائه وترابه، وقراه ومدائنه، بحيث لا يوجد بلد واسع أوسع مزارع وأكثر خصبا مع اتصال العمارة نحو الشهر**"[2]. ومن هذا، يبدو أن مصر (القاهرة) كانت مزدهرة، ذات بناء شامخ متصل البنيان لمسافة بعيدة.

كما يتعرض لذكر مظهر من المظاهر الاجتماعية الخاصة بجور الحكام الأتراك وتسلطهم على الرعية والفلاحين خاصة، ذلك أن لها مزيد اختصاص بمضاعفة الوظائف الجورية على الرعية، بحيث يملك رقابهم فضلا عن أموالهم ولا يجدون عن ذلك محيصا بمنعة أو فرار، حتى إن أحدهم لو أراد أن يتخلى عن السبب ويترك المزارع والفلاحة لم يتركوه، ولو فر لاتبعوه حتى يأتوا به أينما كان، كما يشير إلى الوضعية المزرية للفلاحين، حيث يقول: "**وأما رعيتها وفلاحتها فلا تسأل عن ما يلاقون من الجند الظلّم وماهم فيه من الإهانة والاحتقار، تضرب ظهورهم وتؤخذ أموالهم ولا مشتكى لهم إلاّ الله، ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الأليم**"[3]، وحقيقة كما يرى محمد صبري بأن الشعب المصري كان في أتعس حال من الجهل والشقاء فنسي ذكر ماضيه المجيد وما خلف من آثار وانقطع ما بينه وبين العالم الخارجي وانصرف إلى العرافة والتنجيم والسحر والشعوذة والخرافات والبطالة، وكان كما يقول شارلي مُري: "**يرزح تحت كلاكل الظلم والاستعباد لا يأمن أحد على أملاكه إلا السناجق وحملة الشرع، وليس لأحد حق في الوراثة بل الحكومة هي المالكة لكل**

[1] – **نفسه**، ص 919.
[2] – **الرحلة**، و 53.
[3] – **نفسه** ، و ، 53.

شيء، وكانوا لا يسمحون للفلاح إلا بمسكة الرمق وبلغة العيش". إذ كانت الأفراد تطرح أرضا فتجلد أو تقتل بأي محاكمة لا يفلت من ذلك شيخ أو امرأة، وكان الضباط يطوفون الشوارع ليلا ونهارا وبرفقتهم زمرة من الأشقياء يحملون حقائب جلد يضعون ما يجّزه أولئك الضباط السفاحون من الرؤوس أثناء طوافهم، وكانوا لا يرون من الضروري لتوقيع عقوبة الإعدام قيام الدليل أو شبيه الدليل على إجرام المتهم، وإنما يكتفون في إثبات إجرامه بما يكون في حيازته من الثراء أو الغنى لذلك لم ير الأغنياء وسيلة للاحتفاظ بما لديهم من المال إلا بالتظاهر بالفاقة والمتربة[1].

وأخبار مصر وظلم الولاة بها، وغش الباعة ومكر العاملين أعظم، فيذكر أن جماعة من التجار وطلاّب العلم والفقراء (الصوفية) من أهل بلدة واحدة التقوا في وكالة من وكائل مصر (فندق)، فيذكر كل واحد منهم أنه وجد ضالته، وليس في مصر إلا هي[2]. وهذا دليلا على الانسجام والتلاحم بين طبقات الشعب المصري.

ويشير عند بلوغ مدينة بنابة، على ساحل النيل، بوجود أسواق حسنة ووكائل، ومساجد على هيئة ما في القاهرة، وهي في الجانب الغربي مقابل مدينة بلاق، كما يذكر مكر الأعراب فيها الذين تودع عندهم الإبل ويتلطفون مع الحجاج، ثم ينصبون (شبكة الخداع) المفتر من الحجاج فيحلفون بالأيمان المغلظة على آداء الأمانة وبذل الجهد في النصيحة، حتى يركن إلى قولهم إذ لا يتم التراضي بينهم أبدا، بل تكون مفاصلة عن غير طيب نفس[3]، كما يظهر جليا أن ظاهرة الاكتراء قد كانت فاشية وبشدة في القاهرة مما جاء في (و55)، حيث يقول: "**قد دخلنا القاهرة وقد تعالى النهار وبقى للظهر نحو** (7,5) **سبعة ساعات ونصف، وأممنا منزلنا بالبندقانيين دارا اكتراها لنا التاجر الشكور الحاج محمد الشربيني وسعتنا، وجماعة من أصحابنا جزي خيرا ووقانا وإياه ضيرا**".[4]

---

[1] – محمد صبري: **تاريخ العصر الحديث، مصر من محمد علي إلى اليوم**. ط ح مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية 1927 ص 21 – 22.

[2] – **الرحلة** ، و 54.

[3] – **نفسه** ، و ،54.

[4] – **نفسه**، و، 55.

كما أن مصر كانت آهلة بالعلماء في كل فنون العلم، وكان لكل علم مشايخ يقتدي بهم فيه وكان من بينهم (أبو الحسن علي الزعتري) إمام الموقتين بالديار المصرية: "**وكنا رجونا لقاءه فاستقبلنا بموته فإنا لله وإنا إليه راجعون**"[1].

ويذكر أنه قرأ عليه قبل هذه الرحلة "من كتب التوقيت رسالة **الحطاب** ورسالة **نصف الدائرة** للشيخ عبد العزيز الموقت، يقول: "**ولازمت إتيان محله بداره عام عشر** (1110هـ/ 1698م) **مدة إقامتنا بمصر ضحى كل يوم، فقرأنا عليه رسالة أبي الفتح بالعمل بنصف الدائرة، ورسالة في علم الإسطرلاب، ورسالة على كورة العالم، وأعطانا رضي الله عنه كورة صغيرة متقنة من نحاس اشتريتها على يده واختبر عملها، فألفاها متقنة الصنع على منهج المعروف والسير المألوف**"[2].

كما يذكر أنه أعطاه بعض الأحبة إسطرلابا صغيرا، يعطي التحقيق في الجل والتدقيق، ويذكر إجازته لشيخه (الزعتري)عام سبعة وتسعين (1097هـ/ 1685م)، ثم يذكر نص الإجازة دليلا على أن العلماء في وقته كانوا يجيزون ويجازون، وكانت هذه هي طريقتهم المعروفة في أخذ العلم بالإجازات فهو يذكر خلال هذه الرحلة عددا لا باس به من الإجازات التي نالها من العلماء، في علوم متعددة وما أجاز به بعض العلماء[3].

ومن المظاهر الثقافية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، تبركهم بمطر نيسان واعتقادهم أن لها فائدة طبية، ذكرها أصحاب الفلاحة وكذلك يذكر عدة علماء قد برزوا في علوم متعددة منها علم الأوقاف وأسرار الحروف مثل الشيخ موسى المصري القليوبي، وهو مع ذلك من رجال التصوف والسالكين طريقهم، فقد أخذ طريق الأسماء الخلوتية عن الشيخ محمد بن علي الشبرميسي[4].

---

[1] – **نفسه** ، و، 55.

[2] – **نفسه** ، و ،55.

[3] – **نفسه**، و ، 55.

[4] – **نفسه**، و ، 57، 58.

ويشير أنه في أحد المناطق في الرملة: "**وفي الرملة كثير من الخلق المعجبين يلعبون هنالك في سائر الأيام، كأنواع المشعوذين وأصحاب القرود ومن ضاهاهم من أصحاب اللعب بأنواع الحيوان، كالدب والحمير والتيوس والكلاب، وبالجملة فأهل مصر لهم ذكاء زائد وحيل غريب قد سخرت لهم أنواع الحيوانات**"[1]. كما يذكر اهتمامهم الكبير ببناء المساجد والخانات (الفنادق)، وتعظيم من يبنيها وذكره وتخليده[2].

كما يؤكد ابن غنام في روضة الأفكار بأنه يحدث في مصر وصعيدها من الأمور التي يستحي الانسان أن يذكرها ويعددها خصوصا عند قبور الصلحاء والعباد ، كما يذكر الثقاة في نقل الأخبار وروايتها أكثر من أن يحصى، حيث يأتون قبر البدوي، وقبور غيره من العباد والزهاد والمشهورين بالخير، فيستغيثون ويندبون ويسألونهم المدد وعن كشف المصائب ويتداولون بينهم حكايات، وينسبون إليهم كرامات، ويفعلون في محافلهم أمورا من أفحش المنكر والضلال، فيقولون: "**فلان استغاث بفلان فسارع إلى إغاثته، وفلان شكا لصاحب القبر حاله فأغاثه فأزال عنه فقره وهذا بهتان وزور هذيان**" [3]، وينهي كلامه لائما علماء مصر "**ويصدر هذا الكلام في تلك البلاد وهي مملوءة بالعلماء ذوي التحقيق بل ربما تنشرح لهم صدورهم**"[4]

ومن المظاهر الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك في ذلك المجتمع، الاحتفال بميلاد النبي صلىّ الله عليه وسلّم، ويدل على ذلك ما ذكر عن احتفاء وترحيب بالمولد النبوي الشريف. [5]

كما ذكر بعض عقائد الصوفية والنظريات الكبرى التي يقولون بها منها النور النبوي وأنه أصل الوجود وسببه. وهنا يشير الدكتور عبد الرزاق معان قائلا: "**لقد كانت الطرق الصوفية الظاهرة الدينية البارزة في ذلك القرن، ولعب شيوخ الطرق كجزء من العلماء دورا هاما في القاهرة. فقد كانت**

---

[1] – **نفسه**، و ،58.

[2] – **نفسه**.

[3] – **ابن غنام** ،حسين بن غنام . **روضة الافكار، المصدر السابق**، ص 18 ، 19.

[4] – **نفسه** ، ص 19.

[5] – **الرحلة** ، و، و، 62، 63.

للشيخ البكري وللشيخ السادات دور هام في الحياة الدينية والعامة، لكون كل منهما شيخا لطريقة، الأول البكرية والثاني الوفائية". [1]

كما يشير إلى أنّ كسوة الكعبة، كانت تطرز في مصر، ويقام لها حفل عظيم يحضره أمير القطر وجنده ووزراؤه، ويقام له محمل يحمل فيه إلى مكة في ركب مصري عظيم يقوده أمير الحج المصري، الذي سيلقاه صاحب الرحلة في الطريق، ويذكر مجلس الباشا وكيف يمر أمامه بهذه الكسوة وترتيب الجند وطبقات الوزراء.

كما يذكر أن أقرب الناس مجلسا للناس هو القاضي، ويظهر في نص من النصوص أن الباشا المصري كان يحتفي أشد الحفاوة بالحج وركبه وأميره الذي يبعث به إلى مكة المكرمة حيث يقول: "**وجيء بجميع ما يحتاج إليه أمير الحج من إبل وقرب ومطابخ وخيل ورماة وغير ذلك من الأسباب التي تخرج من بيت المال، فيحضر جميع ذلك في ذلك الميدان، كل طائفة لها أمير متقدم عليها حتى الطباخين والفراشين والسقايين، ويظهر أن هذا الموكب المهيب كان يتبعه جملة من المدافع التي كانت تستعمل لأغراض متعددة**"[2]. ونستنتج أن الباشا المصري وأعوانه كانوا في بحبوحة من العيش متميزة عن الرعية من الأهالي.

ومن خلال كلامه يظهر أن المجتمع في ذلك الوقت كان مشغولا بالمقاهي والملاهي الشيء الكثير، وكانت معدة أتم إعداد، حيث يحضر فيها الجواري والمرد وأصناف اللهو.

وقد تكرر في جميع الرحلة وفي جميع الأقطار التي يزورها تردده على مزارات الأولياء قال: "**وزرنا بمصر غالب ما بها من المزارات بالقرافتين الكبرى والصغرى من أئمة الإسلام وعلماء الدين، وما بداخل المدينة كذلك، ومن أجل المزارات وأعظمها بركة ونجحا المشهد العظيم المحتوي على**

---

[1] – انظر عبد الرزاق معان: **دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني**، دار الآفاق العربية. د.ط– القاهرة، 1418هـ – 1997– ص 13.

[2] – **الرحلة** ، و ،63.

جماعة من أهل البيت رجالا ونساء، أشهرهم السيدة نفيسة الطاهرة إليها نسب المشهد"[1] ثم يصف المشاهد والأضرحة الأخرى مثل الإمام الشافعي.[2]

ويظهر من سلوكهم درب الحجاز الحالة الأمنية المتدهورة، حيث كان الحجاج لا يأمنون من اللصوص في الطريق، لما يتوقعون من خوف اللصوص على من تأخر بكل واحد يريد أن يتقدم **"ولقد لطف الله بنا عادة عودناها تعالى في الأحوال** (حفظ الله لهم)"[3].

ولما كانت الطريق شاقة إلى الحرم، كان لزاما على ولاة الأمر والناس عامة أن يوجدوا محطات للتزود بالماء والغذاء، ومن بين تلك البنادر وما يذكره وبعض عمرانه."**ولما كان الماء هو شريان الحياة كان لا يخلو بندر أبدا من بئر أو عدة آبار تزودهم بالماء"**[4].

ويبدو من خلال ما يذكره من قوافل الرحلة طبقية في المجتمع، حيث يقول: "**فما من فقير إلا يحتاج إلى غني يسعفه، وإلى عادل من ظلامة ينصفه"**[5]. وهذا ما يؤكده الدكتور عبد العزيز نوار في كتابه تاريخ مصر الاجتماعي، حيث يقول:[6]

وفي إشارة ملفتة له إلى الفلاحين الذين كانوا يتطفلون على الركب فيمشون معه خلف جنود أمير الركب المصري، "**فكان أمير الركب لا ينضبط أبدا إذا زاد عدد الفلاحين، كما أنه يسهل**

---

[1] – **نفسه**.

[2] – **نفسه** ، و ، 64.

[3] – **نفسه** ، و ،70.

[4] – **نفسه** ، و ، 71.

[5] – **نفسه** ، و، 72.

[6] – "كان المماليك عصبة حاكمة عسكرية أوليجركية الشكل، احتكرت امور السياسة والحرب والادارة وتركت هي الاخرى الخدمات العامة دون رعاية على اعتبار أنها من وجهة نظرهم من مسؤوليات الرعية، فظل التعليم قاصرا على أساليبه التقليدية، الكتاب والأزهر وبعض المدارس ذات الطابع الديني التي لا تعني بالعلوم ولا يدري بتطورها السريع في بعض دول أوربا، وتخلف الانتاج الأدبي في مصر عما كان عليه في القرون الاسلامية، وظل المستوى الثقافي على هذا النحو حتى مجيء الحملة الفرنسية وعهد محمد علي " . انظر عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث** ، دار الفكر العربي – د–ط .د–ت. ص 153 .

ضبط الركب إذا نقصوا"[1]. ويشير أيضا إلى أخلاق الفلاحين حيث يصفهم بالجبن والخوف وسلاطة الألسنة، كما يصف خوفهم من المغاربة الذين كانوا يكيلون الضرب والقهر فكانوا يخافونهم ويصفونهم بالجنون: "**ولعمري إن ذلك من شيمهم حيث كانوا لا يخافون لومة لائم فيدافعون عن أنفسهم كل دفاع"**[2].

ويبدو من خلال كلامه عن طبيعة الطريق بأن الدولة المصرية التي كانت آنذاك قد اهتمت بطريق الحج: "**قد سويت الطريق في أكثر الأماكن الصعبة وبنيت حافتها بناء متقنا"**[3]. كما يظهر أن الطريق كانت من الناحية الأمنية خطيرة يكثر فيها اللصوص وقطّاع الطرق: "**بتلصص الأعراب وحرابتهم، وتهيأ الناس وأخذوا حذرهم، وأبرزوا أسلحتهم وعبأوا تعبئتهم خوفا من أعدائهم"**[4].

ويذكر في بندر المويلح أن بها رجلا من: "**أرباب الأحوال كان مجذوبا، تميل إليه محبة القلوب له أسرار ظاهرة ومكاشفات باهرة، يعتقده الناس ويصل به الإيناس، لا يعرف الدرهم ولا الدينار، ولا يقبل إلا القوت عند الاضطرار، لباسه جبة من صوف ورأسه في غالب الأوقات مكشوف إن نطق تكلم عن الخواطر وإن سكت نطق عليه ألسن الناس بالثناء العاطر، ويكسوه المرات العدد فيقبلها ويعطيها من وجد، لأن من رآه عليه يطلبها فيدفعها إليه، وهذا شأن الكرام الذين قطعوا علائق الدنيا على الدوام"**[5]. وتظهر ثقافة العامة من الناس التي تمثل في الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم، كما يذكر في قصة المرأة التي استغاثت به بعد انقطاع حيلتها.

---

[1] – الرحلة ، و ، 72.

[2] – **نفسه** ، و ،74.

[3] – **نفسه** ، و ،161.

[4] – **نفسه** ، و ، 74، 75.

[5] – **نفسه** ، و ،161.

ويشير إلى الثقافة المصرية وإلى وجود مؤرخين أرخوا لمدن مصر والإسكندرية بالخصوص منهم الإمام السيوطي في كتاب: "**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**"، وينقل عنه كثير من تاريخ الإسكندرية ومنارتها وعمرانها وبناءها[1].

ويذكر زيارته في هذه المدينة (الإسكندرية) لكثير من العلماء والأضرحة كأبي بكر الطرطوشي، وابن المنير والخزرجي، ومشهد سيدي علي البدوي وقبر الإمام الفكهاني والشيخ عبد الرزاق أجل تلامذه الشيخ سيدي بومدين والشيخ سيدي أحمد المناوي.[2]

2- الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية الثقافية بالحجاز:

أ- المظاهر الاقتصادية للحجاز من خلال الرحلة:

يصف الدرعي بلاد الحجاز، [3] وصفا دقيقا من الناحية الاقتصادية من حيث الزراعة وبعض الصناعة والأسواق والتجارة من حدودها الغربية بينبع إلى المدينة المنورة، فيشير إلى أن ينبع هي أول بلاد الحجاز العامرة، وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية، قال: " **ذكروا أن عمرانها متصل نحو ثلاثة أيام**"[4] – أي مسيرة ثلاثة أيام– يوجد بها سوق كبير يوجد فيها غالب المحتاج وتجلب إليها البضائع والسلع، ذات الأثمان ويجلب إليها من الثمار والفواكه والحبوب والفول شيء كثير، ومن هناك تجلب الميرة للمدينة المنورة، لأن سفر الجالية للطعام من مصر ما كان منها

---

[1] – **نفسه**.

[2] – **نفسه**.

[3] – يستعرض عمر رضا كحالة مجموعة من التعاريف والآراء حول تحديد الحجاز جغرافيا فبقول: "**الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب، وهو إقليم مستطيل اختلف في حدوده السياسية باختلاف العصور والدول. كما تعددت الأقوال في حدوده الطبيعية**". وينقل رأيا لحافظ وهبة أن الحجاز يمتد من معان مارا برأس خليج العقبة إلى نفطة بين الليث والعقبة على شاطئ البحر الأحمر. كما ينقل عن شريف البركاني الذي يرى بأن الحجاز يقع بين البحر الأحمر غربا والبادية الكبرى شرقا، وقبيلة بني مالك جنوبا، والعقبة والبحر الأحمر شمالا.

انظر/ – عمر يحي محمد، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، مراجعة أحمد علي، ط2، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، 1964، ص 129-131.

[4] – **الرحلة**، و ،81.

للمدينة يرسى بينبع البحر، وما كان منها لمكة يتجاوز إلى جدة، فإذا وصل الطعام إلى الينبوع حمل منه إلى المدينة، تحمله أعراب تلك النواحي من بني سالم وجهينة[1] .

ثم يذكر مدينة الحوراء النظرة الرملية، فيقول: "**رملها غزير ومصاطبها كثيرة بها شجر الأراك الأخضر والماء يتفجر من حفر رمالها، إذ قال فيها الشاعر:**

فيمنّا إلى الحوراء وهي محاطـة * فيها الأراك نزاهة للرائي**

ناديت خلّي قف بهـا متأمـلا * وانظر لرمل مغمر بالماء**

وأغنم زمانا فضلا لسعـوده * وفي جماع الشمل بالحوراء**[2]

ويذكر ذلك أيضا مجازه بنمط ويتعرض إلى وصفها وجمالها وهي حد عربان جهينة، بها شجر إثل كالنخيل وحفاير ماء عذب يشفي العليل، وينشد قائلا:

فجئنا إلى نمط نشكو الظمأ * فأنعشنا ماؤه والحلاوة**[3]

ويرجع إلى ذكر بدر ينبوع، فيذكر أنه هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الرجوع ويقول: "**به حدائق ونخيل وعيون، به سوق الحجاج يأخذون به الذخيرة عند الاحتياج وبه أفران وحيشان كبيران وعشوش تسقى فيها القهوة وأن الأسواق خارجة عن المساكن**"، ثم يذكر بدر بأنها "**ذات نخيل، وهي بلد بركة فأسعارها رخيصة في الغالب أرخص من غيرها مع صغرها**"[4].

كما يذكر حنين التي بها نخيل وعيون تجري وبها جسر طويل بين حدائق النخيل، كما يتعرض إلى ذكر رابغ فيقول: "**ورابغ قرية فيها نخيل وآبار كثيرة وواد يأتي إليها من بعيد وتزرع فيه مقاتى كثيرة ودخن وذرة وهو من أخصب أودية الحجاز، وفيها مركز بيع النعال للحجاج**". [5]، مما يدل دلالة قاطعة بأن الحياة كانت مزدهرة في بلاد الحجاز خاصة الزراعة والتجارة.

---

[1] – **نفسه**

[2] – نفسه

[3] – **نفسه**.

[4] – **نفسه**.و، **82**

[5] – **نفسه**.و، 84

ويتعرض إلى ذكر قرية تقع بين شرقي البليل وغربي مديروس، فيشير إلى أنها مكتظة بالقهاوي والفواكه لبيعها، ولا ماء فيها ولكن يسقى من بعيد ويذكر كذلك قرية الكديد بمنطقة خليص التي فيها عين تجري وبئر رواء، ومواضع للسقي وللوضوء، وجل حرثهم الدخن والمقاتي .

ثم يتعرض إلى ذكر سوق بعسفان والتي يصفها بالطيبة، ومنطقة أجراميل، وهو واد كبير فيه قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجري، وأعظمها القرية التي ينزل بها الحاج وفيها سوق وعين كبيرة و بساتين مرونقة، ثم يقول: "**والقلوب بالنظر لنظارتها من الأحزان مجلوة**"[1]، ويذكر وادي في أسفل جبل العميان، وهو واد خصيب، يقول: "**وهو واد خصيب يرى فيه طالب النزاهة أوفر نصيب أغصانه زاهية وقطوفه دانية، وأطياره ناطقة وجداوله دابقة تنبت من كل زوج بهيج "وينشد قائلا:**

يا حبذا واد فسيح الفضا * أريجه قد عطر النادي**

كم فيه من باغية قد زكت * وفيه زهر الفل والكادي**[2]

ويصف المدينة المشرفة ونشاطها الاقتصادي والتجاري فيقول: "**إن الحجاج خاصة أهل الشام منهم، فيتمتعون بمشاهدة تلك البقاع ونصب الأسواق واتساع الأرزاق وكثرة الارتفاقات وبالجملة، فلا ينتفع أهل المدينة بركة انتفاعهم بأهل الشام، فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة وطعام وزيت وأشربة فيبيعونها بالمدينة عند قدومهم، ويدخرون ما بقي من الأثاث**"[3].

كما يتعرض إلى ذكر وجود حديقة غرب مسجد قبا وقريبا منه وماؤها غزير يستقى منه إلى بركة في الحديقة، وفي هذه الحديقة أنواع من الفواكه والأشجار، وبها عنب كثير قل ما يدخل أحد للزيارة في وقت العنب إلا ويشريه ويأكله[4]، وهذا ما يبين اعتناء واهتمام فلاحي المدينة بغرس الفواكه وخاصة أشجار العنب. وفي هذا المعنى يشير الدكتور فاسيلييف في كتابة تاريخ العربية

---

[1] – **نفسه**

[2] – **نفسه** ، و، 86

[3] – **نفسه** ، و، 120.

[4] – **نفسه** ، و، 128.

السعودية، بأن حياة السواد الأعظم من سكان نجد والأحساء وكذلك الحجاز مرتبطة أساسا بنوعين من النشاط الاقتصادي هما: الزراعة السيحية (الاروائية) في الواحات والرعي البدوي.

1. **الزراعة السيحية (الاروائية)**: تتواجد في الناحية الشرقية من الجزيرة أين توجد مياه وفيرة جوفية قريبة من السطح، أما أغلبية المناطق الأخرى فالإرواء ممكن بواسطة الآبار وفي حالات نادرة تستخدم مياه الأمطار والسيول، كما تتواجد أعداد كبيرة من الواحات في نجد والاحساء تتخللها طبقات حاوية للمياه على مقربة من سطح الأرض.

وفي هذه الزراعة تستعمل الوسائل التقليدية لجلب المياه من الآبار ناعورات (آلات) تديرها الخيول والحمير أو الجمال.

أما أهم المزروعات في هذه المناطق فنجد النخيل في المناطق الشمالية والوسطى. حيث يستخدم التمر كغذاء رئيسي بمختلف أشكاله، ثم الحبوب والتي منها الشعير والدخن والقمح والهرطمان في المرتبة الثانية، وكانت تنقل كميات معينة من الحبوب من نجد إلى الحجاز في بعض السنوات، كما نجد الرز والقطن والخضر والفواكه، ونجد المحصول الزراعي غير ثابت حيث تتعرض المزارع إلى الجفاف أو الفيضانات أو الجراد مما يؤثر على المساكن والسكان فتحرم الناس من أسباب العيش مما يؤدي إلى الأوبئة الخطيرة كالكوليرا أو الطاعون التي تجهز على القرى بكاملها.

2. **الرعي البدوي وشبه البدوي**: كان الرعي عند بدو الجزيرة يقسم إلى نوعين:

. **تربية الابل والخيول**: من أجل الحمل والملابس والطعام والخيول من أجل الحروب

. **تربية الماعز والغنم**: وهم بدو رحل ولكن كان رحالهم لا يتجاوز بضع مئات الكيلومترات من أجل الماء والكلأ، وكانوا يخلطون بين رعي الضأن وممارسة الزراعة، وكانوا يقطعون الترحال في شهور الأعمال لكي يعتنوا بالنخيل أو بحقول الحبوب وغدا العمل الزراعي رئيسا بالنسبة لقسم من رعاة الضأن[1].

[1] – أليكسي فاسيلييف: **تاريخ العربية السعودية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1–بيروت – لبنان. 1995، ص 33.36

كما يشير إلى تعاملهم الاقتصادي بالعملة وأنواعها وقيمها، حيث يقول: "**ومن عاداتهم في التعامل أنهم يسمون الأربعين ماريا حرفا، فيقولون عشرة أحرف وعشرون حرفا، يعنون كل أربعين قراطا من قراريط الفضة المسكوكة يعد حرفا، كقولنا في بلادنا لهذا المقدار مثقالا ويقولون للدينار من الذهب المسكوك شريفيا وسلطانيا، ويقولون للريال المسكوك من الفضة قرشا. قال: "قلت وهذا خلاف عرف مصرفي القرش، فإنه أقل من الريال، ويقولون للقراط المسكوك محلقا، وبمصر يقولون له صنية وماجديا، ويقولون للصاع الذي به التعامل ريفيا، ويسمون الحروف المتقدمة التي ذكرت مجموعة ذهبا، فيقولون عشرون ذهبيا وثلاثون ذهبيا، يعنون عشرين حرفا من غير قصد إرادة الذهب، إذ التعامل بالذهب إنما هو بالدنانير وأجزائها**"[1].

ومن عاداتهم في الشراء من الأعراب الذين يجلبون اللبن والجبن والسمن والغنم أن يشتري منهم قوم من الأعراب الساكنين بالمدينة وأطرافها، أنهم يختصون به كالبرغازيين، فيدخلون الأسواق ويشتري منهم أهل المدينة، وهذا من تلقى السلع المنهى عنه، ولكنهم ألفوا ذلك استمرت عليهم عاداتهم، وألفوا ذلك الغامرة أيضا، لو أن أحدا من أهل المدينة أراد أن يشتري منهم لم يبيعوه إلا بأضعاف ما يشتريه به البرغازون، فإذا جاء البرغازون أخذوه منهم بأقل من ذلك ويركنون إليهم ويميلون لقولهم، ويعرفون كيفية المساومة معهم، فلا يعتاضون إليهم لقرب الشكل من الشكل وغيرهم ليس بتلك المثابة، فلا يكاد أن يشتري منهم لجفائهم وغلظ طباعهم واستهل الناس بالثراء من البرغازين بربح قليل زيادة على ما اشتروا به من اللبن وغيره معلوما لديهم لذلك، ولا يقصدون الأسواق ولا يتعدونه لغيره لبيع ما يأتون به من سوق أو حانوت أو دكان فيكون ذلك السوق لهم، فلا نهي إذ لا تطاق ذلك والسلع بولغ بها سوقها وعلى بيعها وابتياعها ومن عاداتهم في كراء الرواحل من القوافل الذاهبة إلى مكة والينبوع أن بالمدينة رجالا يعرفهم غالب الحمالين بمن احتاج الكراء، من أرباب الدواب وأرباب السلع أنزالهم فيعقدون إليهم الكراء مع صاحبهم ويكلفون بما عسى أن يصدر من الحمالين من غدر في الطريق، بهروب أو مكر ويسمى أحد هؤلاء المخرج، فلا

[1] – **الرحلة** ، و، 138.

يعقد أحد إلا بحضرة أحدهم وجلوسهم في الغالب بباب المصري ويأخذون بذلك حلاوة من الجمال ومن المكري، وذلك دأبهم بمكة.

ثم يذكر بأن فواكه المدينة المشرفة[1] في غاية الجودة، خصوصا عنبها ورطبها والخضر التي بأكثرها وجود الجزر والباقلا والملوخية والباسية، والبصل واللفت والخضر البرية ليس بها إلا الخبز ولا يأكله أحد، في تلك البلاد، السمن القديم والشحم القوي إلا أخر به ما لم يكن حديث عهد بالبلد، فإذا طالت إقامته في البلاد تطبع بطبعهم.[2] قال أبو سالم : "**وطبع ذلك البلاد الشريف وهواه أقل ما يوافق أحدا من أهل مغربنا الأقصى، فمن بلده ريف ذات مياه وخصب، وإنما يوافق أمزجة أهل الصحراء كتوات وتمجروت وأهل السودان، وذلك والله أعلم لفرط حرارة هؤلاء فقل ما رأيت أحدهم من قضاء تلك البلاد إلا مرضا خفيفا، قل ما رأيت من بلده كبلدنا ريف وخصب إلا وقد ألظ به المرض إلا القليل من طالب إقامته في البلاد وتطبع بطبع أهلها**"[3].

ثم يذكر نكتة مضمونها أنهم لما رجعوا من المدينة المنورة وفي طريقهم ببلدة تعرف بمنهد النبط في هواء لا حر، ولا قر بين الظهرين في ظل جبل أكرمهم رجل اسمه عودة بن يكون الجهني يقول: "**ووجدنا به رجلا كبيرا أتينا بذلك المحمل في ذهابنا زعم أنه اسمه عودة بن يكون الجهني، واشترينا منه حشيشا لدوابنا ولما رجعنا غافلين، فرح بنا وهش وبش وأتانا بخروف فأبيت قبوله إلا بالتمر وامتنع ودفعت له ريالين مكافأة له**"[4]. وهذا يدل على أن أهل الحجاز يتعاملون بالريال منذ زمن الدرعي، ويقول: "**وأتانا بقربة جيدة من صنع الحجاز**"[5]

---

[1] – "أما الحالة الاقتصادية في الجزيرة العربية، فمن المعروف أن أكثر بلاد الجزيرة فقير قاحل يجلب إليه كل ما يحتاج ويعتمد في حياته على ما يأتيه من الخارج، وخاصة الحجاز. فهو من أشد بلاد الجزيرة فقرا وحرا إذا ما استثنينا مدينتي الطائف والمدينة المنورة فإنهما نديتان بالحدائق النضرة والبساتين المثمرة". انظر محمد أسعد طلس، **تاريخ العرب، المجلد 2، دار الاندلس، ط2، 1399**هـ–1979 ، ص 199.

[2] – **الرحلة** ، و، و، 138، 139.

[3] – **نفسه**، و.139.

[4] – **نفسه**، و،158.

[5] – **نفسه**.

وهذا برهان كذلك أنهم كانوا يستعملون القرب ويصنعونها (صناعة تقليدية). وذلك ما أشير اليه في الموسوعة العربية العالمية[1].

ثم يأتي بقصة عجيبة، مفادها أن أحدا من العبيد ضل في الطريق على الحدود المصرية السعوديةّ، قرب العقبة، وهو عبد لابن أخ الدرعي (صاحب الرحلة)، محمد بن محمد الصغير، واسمه سالم أخذه الأعراب المتلصصة من المستقرين، له زوجتان أرادت إحداهما بيعه ومنعته الأخرى من البيع، وقال الذي استطاع سبيه بل نمسكه حتى يرجع ربه (سيده) ونسلمه له، وساوموه بخمسة من الإبل وامتنعت المذكورة من بيعه، وفعلت معه خيرا كثيرا، يقول: "**فلما وردنا عليهم بهذا الموضع أتت به وأعطيت لها خمسة مثاقيل ذهبا، ومثقال آخر لرجل زعم أنه أحسن إليه**"[2]، وهناك دليل على التعامل بعملة المثقال وبيع العبيد.

ثم يذكر طبيعة الحجاز فيقول: "**إن درب الحجاز شبيه برقة في كثرة الربيع من الصليان والنصى وغيرهما، وترى بعض الأمكنة كأنها سبتة كالبساتين ربيعا، فإنها من أعظم الملاقي وأولها زعموا كان بها زهاء "ثلاثة آلاف بعير**"[3]. وهذا دليل على تربية الماشية خاصة الإبل.

ثم يذكر قيمة أسعار الحبوب، فيقول: "**وبيع الفول بها خمس فضة للربعي إلى أربعة والشعير ستة والدقيق ثماني وكثرة الخير والحمد لله**"[4]، ويشير للرخاء بالحجاز يقول: "**أخبرني بعض أحبتنا من أهل مصر له عشر حجج ما رآه مثل هذا الرخاء في الحجاز، وأما الحرمين الشريفين ففيهما من الرخاء**

---

[1] – لقد مارس بعض السكان الحرف اليدوية مثل الصباغة والحدادة والنجارة وصناعة الفخار وغيرها من الحرف المحلية لسد حاجة السوق المحلي منها، إلى جانب المنسوجات من الصوف والوبر والأدوات والحصر المصنوعة من سعف النخيل، أما قطاع البادية فيعمل في الرعي، يجوب المراعي كل في أرض قبيلته أو أرض القبائل المتحالفة، وظل هذا القطاع السكاني القبلي في حالة من الترحال والتنقل طلبا للعشب والكلأ والماء وبحثا عن البلاد التي تشتري منتجاته وهم بدورهم يشترون ما يحتاجون منها، وهناك المناطق الساحلية التي نجد سكانها مستقرين ويمارسون صيد الأسماك واللؤلؤ والتجارة. **انظر الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق، ص 482**.

[2] – **الرحلة** ، و ،158

[3] – **نفسه**.

[4] – **نفسه**.

ما يبهر، فالفول طيبة المشرفة اثني عشر ربعيا بدينار والشعير إحدى عشر وخمسة عشر إلى ثلاثة عشر بدينار، والدقيق تسعة ونصف، وبعرفة عشرون بعيرا شعيرا بدينار"[1].

ثم يقول: "**وبعث لنا مع أهل الملاقاة الأخ الحاج العباس بن طلحة الدرعي اليوسفي ثلاثة حقوق حلوا، والحاج أحمد الأبار حقا، والحاج أحمد المنجور حقا مع كعك مختلط بسكر، والحاج علي التطواني آخر مملوء فانيد، وسيدي يوسف أبو السادات المصري حقا مملوء طعاما مختلطا بسكر...**". [2]

وهذا دليل الرخاء الاقتصادي والإنتاج المتنوع في بلاد الحجاز خاصة الفول والشعير والدقيق، وكذلك دليل على انتشار صناعة الكعك والحلوى آنذاك.

ثم يذكر أن العنب في منطقة مدبر ينتج مرتين، وقال: "**أكلت العنب في منتصف مارس**" **كما يذكر الرمان على شيخه أبي سالم يقول: "وذكر أبو سالم أنهم لما نزلوا هنا آتاهم الأعراب بأحمال كثيرة من العنب الأسود، وهو في غاية الحلاوة وبرمان كثير وبيع العنب أولا بدرهمين للرطل ثم صار بعد ذلك رطل ونصف للدرهم"**[3].

ثم يشير إلى أنهم وصلوا بدار المصري ووجدوا أعرابا ومعهم الحشيش والغنم واللبن والسمن، ثم يصف منطقة العقبة وحلولها في الثامن والعشرين محرم، الثامن عشر مارس يقول: "**وبتنا في أرغد عيش ووجدنا به ملاقية عظيمة في مصر وغزة بكثرة الفول والدقيق والشعير والزيت، والأعراب بالغنم والعلف للدواب وسعر الفول بثلاثة أنصاف للربعي إلى نصفين والشعير أربعة والدقيق الجيد ستة**"[4]، ثم يذكر بأنهم وصلوا إلى بئر العلا حذو القبة مغربا في استهلال حصن ليلة الثلاثاء "**وبئر العلا، يسمى الآن بئر الصعاليك، وبيع الفول بثلاثة أنصاف للربعي والشعير والله أعلم بنصفين في منطة النخيل، وبيع الفول بمنطة عجرود بنصفان وأربع فلوس والشعير بنصفان والبيض تسع بنصف**"[5]، وهذا مما يدل على أن

[1] – نفسه.
[2] – نفسه، و، و، 158-159.
[3] – نفسه ، و،159
[4] – نفسه.
[5] – نفسه، و، 159، 160.

منطقة الحدود الحجازية المصرية كانت آهلة بالأسواق التي تباع فيها مختلف أنواع الحبوب والخضر والفواكه والغنم وحتى الدجاج.

وبالنسبة للتجارة الخارجية في الجزيرة فقد كان سكان الأحساء ومدن العارض والوشم وسدير والقصيم وشمر والأفلاج والدواسر يمارسون العمل في التجارة الخارجية، يجوبون بلاد الخارج من أجل التجارة حيث يهاجرون إلى البلاد العربية المجاورة والهند وغيرها، فيصدرون الخيول العربية ويجلبون البضائع والمصنوعات الضرورية مثل الملابس والبن والسكر والقرنفل والفلفل والكركم.

وكان للتجار الكبار وكلاء في البصرة وجدة وصنعاء والكويت والبحرين ودمشق ودلهي وغيرها.[1] ومما يجب ذكره هنا أن أهل الحجاز كانوا يعتمدون في أمورهم المعاشية على ما يجيئهم من الأموال والصدقات من المحمل الشامي والمحمل المصري والمحمل اليمني وما يبعث به إليهم أمراء العالم الاسلامي وملوكه من الهند والمغرب وجاوة، وقد كانت هذه الصدقات تبلغ أرقاما ضخمة.[2]

ب– مظاهر الحياة الاجتماعية الثقافية في الحجاز:

تتميز أرض الحجاز عن غيرها من بقع العالم بالبقاع المقدسة مكة والمدينة، والتي يقصد إليها الناس من كل فج عميق، وكان لازما أن تتسم بظاهرة التدين الحقيقي والأمان، إلا أنها لا تختلف عن بقية العالم الإسلامي حيث تتفشى فيها ظاهرة السرقة، كما يشير الدرعي خاصة في ينبع حيث يقول: "**ولما نزلنا مضيق ينبع تأخر كثيرا الصعاليك، فخرج عليهم المحاربون وجردوا صعلوكا فصاحوا ورجعوا إليهم بعض الحجاج، فهربوا وجلسوا تحت الأحجار، ورموهم ببنادق ورماهم الحجاج، وكفى الله شرّهم، واستبشر الناس بقدوم الينبع، لأنها أول بلد الحجاز العامرة**"[3].

كما يذكر عادة التبرك بالقبور في ينبع "**وفي الينبع مزارة على تل مرتفع لأبي الحسن التجاني وقبر الحسن المثلث فوق القرية لم يوصل إليه لبعده، حيث دعارة أعراب البلد، ويزار من بعيد وبهذا**

[1] – الموسوعة العربية العالمية، **مرجع سابق**. ص.482.
[2] – محمد أسعد طلس. **المرجع السابق**. ص 195.
[3] – **الرحلة** ، و،84.

البلد موطن طائفة من الأشراف، ومنهم شرفاء بلدنا القاطنين"[1]. وذلك ما يؤكده مؤرخ نجد ابن بشر.[2] وكذلك مديحة أحمد درويش.[3] ضف إلى ذلك التمايز الطبقي بين الأشراف والحكام والرعية، فيشير محمد أسعد طلس بأن الأشراف كانوا يتمتعون وأتباهم بخيرات الحجاز وأنهم كانوا سبب الفتن والتمرادات التي تقع في الحجاز ونجد واليمن، وكانوا أيضا يبذرون فيما يحصلون عليه من أموال بشكل عجيب في حفلاتهم الخاصة أو ولائمهم العامة، فقد رووا أن الشريف سرور أنفق على ختان أولاده أموالا باهظة، وأجرى في ذلك الفرح ما لم يسبق مثله، فألبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان، ونثر الذهب والفضة، وعرض عليه أهل الحارات، وأنعم عليهم بالملابس والهدايا الثمينة، وعمل حفلا عسكريا بالمعازف بعد صلاة المغرب، وعرض عليه السادة الأشراف، فألبسهم الملابس الفاخرة، وأعطاهم من العطايا الكثير ... واستمر هذا الفرح من أول ربيع الأول إلى السابع والعشرين منه. وفي غرة ربيع الثاني جعل فرحا عظيما للنساء وصنع لهن وليمة، ودعا فيها المغنيات، وكساهن أفخر الكساء، فهرع نساء البلد متفرجات، واستمر هذا الفرح ثلاثة أيام. وتم في هذا الختان ما لم يتم في التاريخ. [4]*

ثم بذكر ظاهرة إشعال الشموع ودار الوقدة بالينبوع، فرد عليهم بفتوى يقول: **"والاستبشار بالأماكن التي أعز الله فيها الإسلام، أمر مطلوب مستحسن ما لم يؤد ذلك إلى محظور، مثل الاعتقاد**

---

[1] – **نفسه.**

[2] – نجد وصفا شاملا لما كانت عليه الديار النجدية وما جاورها من الشرك والضلالة والفساد في كتاب المؤرخ النجدي عثمان بن بشر حيث قال **"وكان الشرك إذ ذاك قد فشى في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الاشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والاستعانة بالجن والذبح لهم، ووضع الطعام لهم، وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم، ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر أو الأصغر"**. انظر، عثمان بن بشر: **عنوان المجد**، ج1، مصدر سابق، ص16.

[3] – أما عن حالة نجد الثقافية والدينية فقد كان يسودها الجهل والضلالة مما جعل تلك المنطقة بل ومعظم أجزاء الجزيرة العربية في تلك الوقت مرتعا خصيبا لكثير من البدع والخزعبلات وذلك لضعف معرفتهم بقواعد وأسس الاسلام الصحيحة ومن ثم تمكنت من نفوسهم كثير من العادات الخاطئة البعيدة عن الاسلام. انظر، مديحة أحمد درويش: **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، دار الشروق للنشر والطباعة، ط1، جدة، 1400هـ، 1980م، ص 13، 14.

[4] – **محمد أسعد طلس، مرجع سابق**، ص 196-197.

*يبدو أن هناك مبالغة لهذا الوصف فقد يحدث اكثر و خاصة لدى ملوك و أمراء وساسة العصر الحديث و المعاصر

أن الوقود سنة متبعة، بل ربما ظن بعضهم أنها من أفعال النجاح فلتعظم، فتغير ذلك من فرح وسرور وصدقة وعبادة وإعلان بشكر، وقد جاءني كثير ممن لا شمع عنده يستقصون ويقولون لا شمع عندنا فهل يلزمنا شراه ممن كان عنده، ظانين أن ذلك من مناسك حجهم وشعائرهم، وكم لها من بدعة محدثة يرى الناس أنها من أعظم القربات، "نسال الله أن يثبتنا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

كما يذكر قبور الزيدانية من اليمن وكبيرهم أبو الغيث، ثم تعرض إلى ظاهرة تذويب السكر في الماء في بدر، وكذلك الطبل: **"فيا لها من ليلة بتنا بها، وقد أشرق بدرها وسما قدرها أذهبت عن العيون الشجوع لاشتغالها رؤية القناديل والشموع"**[2]، ويواصل ويقول: "**وقد دقت طبول الأفراح وزاحت عن القلوب الارتياح واحضر السكر وأذيب في الماء للوارد، ومليت به البواطن والحلل وسقى بها جميع الطوائف، وأهل العمل فشرب كل منهم أوفر نصيب"**[3]، ثم بذكر قبر الشيخ يحي بزار وهو من اليمن منورة.

ويذكر في قرية المشل مسجد للنبي صلى اله عليه وسلم، على يسار الذاهب إلى منى، ثم الكدير وخليص، ثم يذكر مسجدا ينسب للرسول صلى الله عليه وسلم فوق بركة الماء بالكدير ويقول: "**وركعنا بمسجد هناك وقد تهدم وامتلأ أوساخا، وصار إسطبلات للدواب، فإنا لله وإنا إليه راجعون، لقد ضعف الدين وقلت الرغبة في الخير، حيث يكون بهذه المثابة المكان الذي دخله سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، وكان من حقه أن يذهّب أو يفضّض"**[4].

ثم يذكر أنهم لما وصلوا إلى عقبة الشريف، وهي عقيبة عالية الرمال، ثم إلى خليص الشهيرة ثم إلى الديسة ويقول: "**يحترز بها من اللصوص أصحاب النفوس الخسيسة"**[5].

---

[1] – **الرحلة** ، و،84.

[2] – **نفسه** ، و ، 85.

[3] – **نفسه**.

[4] – **نفسه**.

[5] – **نفسه**.

ثم يشير إلى تعظيم الناس للقبور (القبب) في الديسة، "**وبه قبة الميمونة الهلالية (السيدة ميمونة) رضي الله عنها وأرضاها، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم"، وأن بهذا الواد بنى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، وكان تزوجها بمكة وهو محرم في عمرة القصيبة، وعلى قبرها بنوا مسجدا فزرناها خارج البناء معظمين لحرمتها، راجين حسن بركتها**"[1].

ثم يذكر أنهم وجدوا في جنان مكة قبر الصحابي الشهير الإمام المشهور أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، يقول: "**وقد زرنا في جنان مكة واغتسلنا بذي طوى تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم، كالذي قيل عنه بأنه بات فيه صلى الله عليه وسلم**"[2].

وذكر طبيعة وأنماط الثقافة الموجودة بمكة[3]، حيث التقى مع ولد الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية ووالده يقول: "**والتقيت به من باب منزلنا بالمسجد الحرام، واخبرنا أنه جازنا هو وولده الخطيب، وآخر أصغر منه رسالته عن بعض شراح الميمونة، وقال أنه عنده ابن حجر وقلت له أنظر فيه الشيخ مرزوق الكفافي وبعث ولده واتى به، ووافقني أيضا على الثالث والأول من البرمودي على النجار وأخبرني أن الثاني عند الشيخ عبد الله بن سالم البصري وابنه وأكثر نقله عن الكرماني والزركشي، وهو حاشية والشيخ عبد الله هذا التقيت معه بالمسجد الحرام يوم دخولنا هو والشيخ محمد النخلي، وفرح بنا ووقف معنا في كراء المنزل، تقبّل الله وذهبنا لداره أيضا يوم الجمعة**"[4]، ثم يصنف الكتب

---

[1] – **نفسه.**

[2] – **نفسه**، و، 87.

[3] – وكان التعليم في نجد محصورا بالنسبة لعدد المتعلمين وبالنسبة للمواد المتعلمة، فقد كان معدوما لدى البادية، وكان قليلا جدا لدى الحاضرة، وذلك أن انشغال الناس بالبحث عن لقمة العيش وعدم وجود من يتولى التعليم برعاية مالية كان من الامور التي حالت بين الغالبة العظمى من السكان وبين التعلم.

حيث كان التعليم الموجود محصورا في العلوم الشرعية خاصة الفقه الحنبلي، وكان المذهب الحنبلي هو السائد في نجد منذ القرن الرابع عشر الميلادي(الثامن الهجري) من أجل التأهيل للقضاء الشرعي، وكان القاضي موضع تقدير وتبجيل المجتمع، ومن الواضح أن القضاء كان خاصا بحاضرة نجد أما باديتها فكانت تتحاكم في مشاكلها إلى العرف والتقاليد الخاصة بقبائلها.انظر عبد الله الصالح العثيمين. **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الاسكندرية د.ط، د.ت، ص 17–18.

[4] – **الرحلة** ، و 88.

وتصفيفها وترتيبها وأنواعها يقول: "**ووجدنا في بيت كتبه والكتب محدقة به يمينا وشمالا، ووراء وأماما، ورأينا عنده سند الإمام أحمد في ثلاث مجلدات كبار أخبر أنه كتب نسخة من اليونانية، وشرح في شرح البخاري، وزعم طلبته بمكة أنه فاق أهل الحرمين في الحديث وفي غيره من منابر العلوم، وهو شافعي المذهب**"، يقول: "**وأجازنا سائر مقروءا ته ومروياته**"[1].

ثم يذكر أنه اجتمع بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمان، مفتي الهند، له تأليف على رجال البخاري في مجلد عذب الأسانيد. [2] جاء في الموسوعة العربية العالمية.[3]

ثم يذكر عادات حسنة في أهل المدينة في تنظيف الحرم الشريف، وإعادة فرشه من جديد بزرابي لا يوجد لها نظير، إلا في بيوت الملوك، يقول: "**ومن عادات أهل المدينة زادها الله تشريفا وتعظيما، وتبجيلا وتكريما، إذا ذهبت الأركان وتمدرع كل إلى بلده الإياب، وخلص المكان لأهله وانفرد كل لمحله، نظف الحرم الشريف، وفرش بفرشه المعهودة من الزرابي المبثوثة الحسان التي لا يوجد لها نظير إلا في بيوت الملوك، وغالبها يأتي من أرض الهند، من عند مالكها وسدا بعضها حرير خالص، وطعمها من جيد الصوف الملون الذي لا يكاد يعرف بينه وبين الحرير إلا ذو بصيرة، يفرش بها المسجد النبوي القويم المصفف كله، وتزخر بالرفايف التي بينها المصاحف العتيقة الأجزاء، والأجزاء**

---

[1] – **نفسه.**

[2] – **نفسه.**

[3] – كان نظام التعليم وقت ذاك نظاما تقليديا قديما متوارثا يقوم في المساجد أو الكتاتيب وكان التعليم في غالب مناهجه وأسلوبه تعليما دينيا في الدرجة الأولى بالإضافة إلى اللغة العربية وبعض مبادئ الحساب، حيث تدرس كتب رياض الصالحين وتفسير الطبري وابن كثير ومؤلفات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب الذي كان رفقة أبنائه هم المشرفون عن التعليم، وكان الأساتذة العلماء يمنحون شهادات تقليدية علمية تسمى اجازة عندما يقتنع الشيخ بأن طالبه أتقن الدروس التي طلبها منه، وكانت الدولة السعودية الاولى تكفل التعليم وتمنح المكافآت للطلاب وتصرف رواتب العلماء، وكان التعليم متاحا لكل من له رغبة في العلم والتعلم والتزود بالعلوم الشرعية وعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية. انظر/ – **الموسوعة العربية العالمية، مجلد 10** ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، فهرسة الملك فهد، د.ط، الرياض، 1414هـ، 1999م، ص 482.

الحسان وقف الملوك والكبراء، وضعت في قلب المسجد وفتحت غرائب الكتب العلمية المرفقة بالحرم الشريف، يستعين منها الناس للقراءة وشرح الأئمة في التدريس والقراءة". [1]

وكانت عاداتهم إذا كان اليوم السابع عشر من ذي القعدة، يسمونه الكنيس، جمعت بسط الحرم الشريف كلها وأدخلت في المخازن التي في المسجد، والسبحات إلى الروضة، ورد كل من استعار كتابا إلى صاحبه والى ناظر الخزانة التي أخذها منها، واقتضى غالب الديون وتفاصل الشركاء وانتهى غالب الأكرية، يتهيئون بذلك الموسم، لأنه في غالب الأمر مظنة ارتحال قاطن وقدوم غائب واجتماع الناس من الآفاق، واشتغال أهل المدينة بفيض الأقوات والجرابات التي تأتيهم من الآفاق، وذهاب مريدي النسك إلى مكة، ومن يريد التجارة فلا يبقى في المدينة إلا القليل من الناس، ويكسى الحرم الشريف في ذلك اليوم، وفيه يكنس البيت العتيق لمكة أيضا ويفعل فيها مثل ذلك وأيام الموسم عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم، فلا يفرغ أحد لتدريس ولا إلى عيادة إلا ما بد منه.

فإذا انقطعت أيام الموسم وذهبت الأركاب الواردة من الآفاق، ولم يبق بالحرمين إلا أهلها، رجعوا إلى معتاد حالهم في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات والدنيوية من الفلاحة والتقشير في الأسواق، وتصحيح المكاييل والموازين، وأما أيام الموسم فلا سعر معلوم ولا مكيال وافيا، ولا ميزانا صحيحا، كل يفعل ما شاء ولا يعلم أولو الأمر في شيء من ذلك، إلا أن يقع أمرهم وينافس الناس في الخدمة.

وفي ذلك اليوم ينتقل البسط وغيرها ويعمل في ذلك الأمراء والكبار العظام فمن دونهم، وناهيك بشرف مقام يتشرف عظام الملوك، يتولى خدمته، وتجعل البسط التي تداس بالأقدام على رقبته، وما كان يتولى الخدمة هناك إلا من ووسن وإذا قدمت ليلة المولد الشريف بولغ بتنظيف الحرم وتزيينه، وغسلت مصابيحه ولمددت أفاويحه وجعل فيها مايع شديد الحمرة، وألقى فوقه قليل زيت طيب أخضر، فإذا توقدت المصباح ظهر إشراق المصباح، لشدة صفائه وملاقاته لضوء

[1]– **الرحلة** ، و، و، 135، 136.

النهار، وأشرقت حمرة ذلك المايع لكزنها ملاقية لصفاء الزجاج، فتصير حمرته كحمرة الياقوت، كذلك الخط من الزيت فوقه الأخضر والزمرد وفوقه صفاء الزجاج يتموج فيه ضوء النهار، وينعكس فيمازج إشراقه صفاء الزيت وخضرته وصفاء المايع الأحمر وحمرته، فلا تسأل عن حسن ذلك النظر، حيث تصفف وترتب المصابيح ترتيبا حسنا وتعلق، وشكلت تشكيلا بديعا بين تدوير وتربيع[1].

ثم يذكر في يوم الحادي عشر وبعد صلاة العصر تخرج القناديل الكبار والحسك العظام من الحجرة الشريفة الرابعة المنيعة غالبها من النحاس المطلي بالذهب، وكل واحد أعظم من قعدة الرجل العظيم، وضعت في صحن المسجد ووضعت فيه الشمع الغليظ الصافية اللون، منها نصف قنطار ومنها دون ذلك، وفي وسط تلك القناديل، قنديل كبير من فضة خالصة، زنته أكثر من قنطار، فيه خمس حسك كبار من فضة مدورة الشكل، فيوضع في كل حسكة منه شمعة، وتبسط البسط الرفيعة من جوانب القناديل في كل جهة لجلوس الأمراء وأرباب المراتب، ولجلوس المنشدين.

فإذا صليت المغرب وقدت المصابيح كلها والشمع الذي في صحن المسجد، وأخذ الناس في الاجتماع، وأوقدت أربع مشاعل كبار على أساطين معدة لذلك في صحن المسجد، اثنان في مقدمه واثنان في مؤخره، فإذا صليت العشاء جلس الأمراء في الفرش المعدة لهم كل على مرتبته، وجعل الشعراء أمامهم والمنشدون وضربت خيمة قريبة من باب النساء، وضعت فيه أنواع الأشربة الحلوة.

فإذا امتلأ المسجد وغص بأهله وجلس كل واحد في موضعه، قام المنشدون فينشدون من غرر القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بصوت حسن وبإزائة، جماعة يرددون عليهم بأصوات حسنة، فجيء النساء بأنواع الأشربة فيسقون الأمراء والمنشدين ومن معهم وأتباعهم، ثم سائرالناس، ثم يؤتى بأنواع الرياحين والأزهار فتوضع بين أيديهم أضغاتا، ثم يفرق أيضا على

[1] – نفسه، و ، 136.

الحاضرين، ثم يؤتى بأطباق من اللوز والسكر وأنواع الحلاوة فتفرق أيضا، وينشر ما بقي منها على عامة الناس، ولا يزالون كذلك حتى يمضي الليل ما شاء الله النصف أو قليل منه فينصرفون. [1]

يقول قال شيخنا أبو سالم: "**هذه الليلة من الليالي الغرّاء، المسترخص شرابها بباقي العمر لولا ما شأنها من كثرة النساء في المسجد، وإكثارهن من الولاول، إلا أن أكثرهن في مؤخرة المسجد مرقبة السمع وما حولها إلى آخر المسجد، ومن عادة أهل المدينة أيضا في ليلة كل جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء، في آخر أروقة المسجد النبوي، الموالي لصحن المسجد، فيأتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد قصيدة أو قصيدتين، بصوت رخيم وتطريب وتقسيم محدقون بهم، ولهم أتباع يؤذنون عليهم، مثل ما تقدم في ليلة المولد، إلا أنهم لا يختلفون لذلك في ليلة الجمعة كاختلافهم ليلة المولد ولا قريبا منه**"[2].

ومن عاداتهم ليلة الجمعة، الخروج للبقيع ووضع الرياحين الكثيرة على القبور، وخصوصا المشاهد المعلومة فيكون عندها أضغاث من الرياحين، وتؤتى بها إلى الحجرة الشريفة أيضا ويلقى من طبقات الشبابيك إلى داخلها حتى يذبل، ويذوى فيخرج من كناسة الحجرة ويقسمها الأغواث بينهم في الشمع الذي يوقد داخل الحجرة، وما يتساقط من الطيب فيجمعون من ذلك فيعدون لأصحابهم من أهل الأفاق.

ومن عاداتهم يوم الجمعة أن يكنس المسجد النبوي كله ويؤتى بأغطية من ديباج أسود مخصوص أيضا، فيركز عن يمين المنبر وشماله، وتكسى درج المنبر في أعلاه إلى أسفله ديباج من ذلك النعت أيضا، وتعلق أيضا على أبواب الحجرة الشريفة، فإذا كان قبل الزوال بقريب من ساعتين، طلع المؤذنون على المآذن فيبتدئ مؤذن الرابسة بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقراءة آيات من القرآن، فإذا فرغ، تلا صاحب السليمانية على نحو من ذلك ثم لا يزالون كذلك بتناول الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتلاوة على المآذن كلها، إلى أن يخرج

[1] – نفسه، و، و، 136، 137.

[2] – نفسه، و،137.

الإمام بأثر الزوال يقتسمون الوقت بذلك، فإذا قرب دخول الإمام قام أحد المؤذنين على سائر أصحابه فنشد ما شاء الله، فإذا دخل الإمام ورقى المنبر أذن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على السرير الذي وسط المسجد، وكيفية آذانهم أن يبتدئ رئيسهم فيقول الله أكبرالله أكبر، فيقول الآخرون بعده دفعة واحدة إلى أن يتم الآذان.

وأما الخطابة فهي كالإمامة موزعة بين فقهاء المدينة، لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصته التي يأخذها من حاملية الخطابة، فمنهم مقل ومكثر وذلك إنما بالوراثة من أسلافهم أو بالشراء من الولاة وهو الغالب، فمنهم من تدور نوبته في كل شهر مرة، ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة في السنة ومنهم بين ذلك على حسب أنصابهم في المال المأخوذ على ذلك، ومن عادة المدرسين بالمدينة أيضا تعطيل القراءة في الكتب والتدريس يوم الثلاثاء ويوم الجمعة، ويقرؤون في ما سوى ذلك خلاف عادة المغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة[1].

ومن عاداتهم أيضا في الحرمين الشريفين، التهنئة بالشهر خلاف المعتاد لدينا بالمغرب، فإن التهنئة عندنا، إنما تكون بالأعياد وما شاكلها ولله در القائل:

إن الأهلة في السماء مناجل * بطلوعها تتحصد الأعمار**

أبدا يهنئ بعضها بعضا بها * وطلوعها يأبو لنا إنذار** [2]

ومن عاداتهم في إقامة الصلوات الخمس بالحرم الشريف بتقديم الصلوات في أول الوقت ماعدا الصبح للحنفي فيؤخر إلى قرب الاصفرار، فيصلون الظهر أول ما تزول الشمس وما يقيل غالب الناس إلا بعد الصلاة، فيذهبون بعد الصلاة إلى منازلهم إلى نوم القايلة، وكان ذلك يشق على الغرباء قبل اعتيادهم لذلك، فتكاد صلاة الظهر تفوتهم لأنهم لا يتهيئون إلا بعد الآذان، وهذا خلاف السنة، في تأخير صلاة الظهر إلى ربع القامة أو أزيد للابراد. [3]

---

[1] – **نفسه**.

[2] – نفسه.

[3] – نفسه.

وأول من يصلي من الأئمة الشافعي ثم الحنفي، إلا في صلاة المغرب فيتقدم الحنفي ليضيف وقته عنده كالمالكي ولا يؤم بالمدينة سواهما من أرباب المذاهب إلا في الجمعة، فيصلي صاحب النوبة على أي مذهب كان فيتناوب الإمامان الصلاة في المحراب النبوي، فإن صلى أحدهما صلى الآخرون المحراب الذي على يمين المنبر الشريف وأما المحراب العثماني الذي في الصف الأول فلا يصلى فيه إلا في بعض أيام الموسم إن كثر الناس. [1]

ومن عاداتهم في الجنائز إدخال الجنازة في الحرم الشريف، فيصلى عليها في المسجد ثم يمرّ بها أمام الوجه الشريف ويوقف بها وقيفة، ثم يذهبون بها إلى محلها من البقيع وغيره، إلا أن جنازة الروافض كالنخاولة فإنها لا يدخل بها المسجد ولا يؤتى بها للمواجهة، بل يأتي بها أصحابها إلى خارج المسجد من ناحية الروضة، ثم يرجعون.

ومن عاداتهم في الأملاك، أن يكون عقد النكاح في المسجد الحرام، فيأتي أكابر المدينة من أرباب المراتب والمناصب والخطيب، فيجلسون صفين من المنبر إلى الحجرة الشريفة صف مستقبل القبلة وصف مسند ظهره إلى جدار القبلة بإزاء الخطيب المعتال المتعاقدين فيشرع في الخطبة، فيثني على الله بما هو أهله ويصلي على رسول الله صلى الله عيه وسلم، ثم يذكر المتعاقدين ويشير إليهما ويرضيان بذلك، ثم يؤتى بأطباق الرياحين وتوضع بين الصفين وأطباق من اللوز والسكر، ويفرق ويقوم المنشد فينشد قصيدة أو قصيدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فيفترق المجلس ويقوم الحاضرون إلى المتعاقدين ويهنئوهما، وهذه صورة الأملاك كل ذو وجاهة ورياسة من أمير أو تاجر وصاحب حصّة، وأما غيرهم فعلى حسب ما ينفق لهم. [2]

فإذا كانت ليلة الدخول أتى الرجل ومعه جماعة من أصحابه وأقاربه ومعه الشموع حتى يوقف على باب المسجد بعد العشاء الأخير، فيدخل ثم يخرج ثم يذهب به كذلك فيزفونه إلى بيت

[1] – نفسه.و، 132

[2] – نفسه.

المرأة في دارأهلها عكس المعتاد في كثير من البلاد، فصار في هذه البلاد الزوج هو الذي يزف[1]، وفي الصباح يذهب الزوج من بيت الزوجة إلى بيته ويأخذ في إطعام الناس—طعام الوليمة- ويجيء الناس لتهنئته وفي الليلة المقبلة تأتي الزوجة من دار أهلها إلى دار الزوج، "**ولكل قطر عادة ولكل قوم سادة وعادات السادات سادات العادات**"[2].

ومن عاداتهم إذا قرب انقضاء الحر وأقبلت هواء من البرد وظهرت البرودة في الهواء صباحا ومساء، أخذوا يدثّرون أبدانهم في الثياب الكثيفة التي تلبس في أيام البرد الشديد، ويقولون إن البرد في أيام إتيانه فساد للأمزجة وهو أقل من البرد الشديد الذي يكون في وسط الشتاء ويقولون إن الناس يلبسون من غليظ الثياب في آخر الخريف مالا يلبسون في صميم الشتاء وشديد الزمهرير.

يقول: "قال شيخنا أبو سالم: "**وكنا نحن لألفنا البرد الشديد في بلادنا أن نتلقاه بأبداننا ونصرته أطرافنا فرحا بقدومه لما قاسينا من شديد الحر الذي لم نعهد مثله في قطرنا فكانوا ينهوننا ولا ننتهي، ويقولون ليس هواء هذه البلد وبردها كالذي تشهدونه فكنا لا نلتفت لذلك ثقة بما نعهده في أنفسنا في بلادنا من الصبر على بردها الذي لا يكون برد هذه البلدة بالنسبة إليه إلا كنسبة زمان الاعتدال**، قال: "**وكان ذلك مع قدر الله تعالى هو السبب في حصول المرض المتطاول لنا ولا صحابنا ويشهد لمقالهم في ذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "اتقوا البرد أول إبانه وتلقوه في آخر أوانه فإنه يفعل بالأبدان مايفعل بالأشجار فأوله محرق وآخره مورق**"[3].

ومن عاداتهم أن لا يتولى خدمة الحجرة الشريفة والمسجد إلا عبيد الأغواث، موقوفون على ذلك لا يشاركهم غيرهم وشيخ الحرم، هو كبيرهم ولما بلغهم كتابة الخصي من العبيد اختاروا وقف الخصي دون غيرهم لكونهم أطهر وأنزه وأكثر فراغا من الانشغال، إذ لا أهل لهم ولا ولد يشغل بهم وهم أبعد من دنس الخيانة ومباشرة النساء، وهم عدد كثير قريب من الثمانين يزيدون أو ينقصون بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلتهم والأربعون منهم على ذلك إنما يرزقون رزقهم

[1] – نفسه.

[2] – نفسه.

[3] – نفسه، و، و، 140،141.

ومؤونتهم من بيت المال وما زاد على ذلك غنما إنما يرزقون من الأوقاف التي لهم بالمدينة أو مما يأتيهم من الهدايا أو الصدقات من أقطار الأرض ويسمى ما سوى الأربعين بالبطالين، لأنهم إنما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال الممتهنة، ولا يجلسون مع الأكابر في الدكة إنما يجلسون خارجها، ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك فلكل واحد منهم رتبة معلومة وشغل معلوم. [1]

فإذا مرّ بالأصاغر أحد الأكابر قاموا له كلهم وكذلك الأكابر فيما بينهم فأكبرهم شيخ الحرم فهو يتجرد في الغالب من سنة أو سنتين أو أكثر ولايات الأمن بدار السلطان من عبيده ويليه النقيب ويليه المتسلم، وهو الذي يتسلّم الصدقات ويتولى قبضها وبيده مفاتيح الحجرة وحواصل الزيت والشمع وبيده جميع ما يتعرف فيه الأغواث من مصالح المسجد ومن أوقافهم، فإذا مات واحد من الأربعين دخل واحد من البطالين في موضعه، وهو من كان شيخ البطالين.

والترتيب في ذلك بالمتقدم، فمن تقدم مجيئه يتقدم على من تأخر مجيئه، وليس فيهم شافعي ولا حنبلي بل كلهم حنفية أو مالكية على مذهب ساداتهم الذين أوقفوهم، وذلك لأن الشافعية والحنابلة لا يرون صحة وقف الحيوان ومن أوقف عبدا من الأغواث على الحجرة ثبت إليه سواء كان من التجار أومن الأمراء، أو من العلماء فيقال: "**إنما فلان**"، وكلهم يبيتون في المسجد ما عدا شيخ الحرم والنقيب وأما الآخرون فلا يبيت واحد منهم في داره إلا لقدر بين مرض ونحوه، وكلهم أهل خير وبركة قد اختارهم الله لخدمة أشرف البقاع وشرفهم بالنسبة إلى أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم[2].

ومن عادات الأغواث كل ليلة إذا فرغ الناس من صلاة العشاء ورواتبها، أقاموا وبأيديهم الفوانيس الكبار وهم الفنارات عندنا مشعلة يخرج الناس من المسجد، فيأتون إلى المواجهة والصف الأول، فيقف بعضهم أول الصف ووسطه وآخره فيخرجون كل من فيه، فإذا لم يبق أحد بذلك

[1] – نفسه.و، 141

[2] – **نفسه.**

الصف تكلم بكلمة ذكر رافعين أصواتهم فينتقلون إلى الصف الذي يليه، ثم كذلك حتى لا يبقى أحد في المسجد سواهم فيغلقون أبواب المسجد ويطفئون المصابيح كلها، إلا التي في مواجهة الوجه الشريف والتي داخل الحجرة، فيخرجون من المسجد إلى الصحن وإلى الأروقة التي بجانبه فيخرجون فروشهم من الحواصل فينامون هناك ولا ينام أحد منهم في المسجد بل ولا يأتيه إلا من قصد منهم الصلاة، وغالب نوم الصغار منهم في مؤخر المسجد، ووراء المسجد في الناحية الشامية ميضات كبيرة فيها بئر كبير وأخلية، وفتح لها باب إلى مؤخرة المسجد ولا تقع إلا ليلا بعد غلق الأبواب وتسرج فيها المصابيح لوضوء الأغواث وإزالة حقنة من احتاج إلى ذلك ليلا فإذا غلقت الأبواب هدأت الأصوات منهم وقشعوا فلا تكاد تسمع من أحدهم كلمة فمن احتاج منهم إلى كلام أحد منهم كلمة كأخ بالسرار (بيسر).

وقال أبو سالم: "**ولقد رأينا يبالغون في خفض أصواتهم بالليل حتى بالسعال والعطاس وتنزل عليهم السكينة وتلحقهم هيبة المكان وليس ذلك مجرد استعمال، بل لما يخالط قلوبهم من هيبة المكان**"[1].

وإذا كان بعد الثلث الأخير من الليل جاء رئيس المؤذنين، ففتحوا له وصعد إلى الرابسة وأذن وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقوم كل من في المسجد من الأغواث فيتوضؤون ثم يصبحون كل ما في المسجد من المصابيح فإذا فرغوا في الأصباح وقرب الصباح فتحوا أبواب الحرم ولا يأتي وقت فتحها حتى يجتمع بأبواب المسجد جماعة كبيرة من المجتهدين فينتظرون الفتح فإذا فتحت الأبواب دخلوا مزدحمين وتسابقوا للصف الأول من الروضة فيما بين القبر والمنبر، فمن سبق إلى موضع كان أحق به فإذا أراد القيام لحاجة –لزيارة أو تجديد وضوء– بسط غرة له (منديله) في محله فلا يجلس فيه أحد ولو أبطأ.

وكثيرا ما يتعدى ذلك أقوام فيتدخلون مع أول داخل من غير طهارة لقصد السبق إلى الموضع أو تحجيره فإذا بسط فروته أو منديله ذهب بعد ذاك إلى الطهارة وأسبابها وكثير منهم يبطأ

[1] – نفسه.

بالطهارة فيحجز على الناس المحل وربما عرض لأحدهم حاجة مميزة له أو بالسوق، فيترك النمرة في محله لم يقربه أحد ولو أبطأ كثيرا. [1]

يقول: "**وسادتنا الأغواث لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف وتأديب من أساء فيه الأدب بلفظ أو رفع صوت أونوم ولو في قائلة إلا في مؤخر المسجد، ومن وجدوه مضطجعا من دون نوم للاستراحة فإن مدّ رجليه إلى ناحية الحجرة زجروه وإن استقبل القبلة بوجهه أو الحجرة من غير أن يكون مستدبرا لها تركوه، ولا يقفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار، فإذا خرجت طائفة جلست طائفة، ولهم ديار وخدم وأتباع وخيل وضياع وسعة دنيا لا يشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد، بل لبعضهم أزواج وسراري اتخذوها للتلذذ بما سوى الجماع وأحكامهم فيما بينهم منطقية غاية الانضباط، ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره، ولا يولى عليهم ولا يعزل منهم إلا بأمر شيخهم ولا يرث معهم بيت المال شيئا إن مات احدهم، إنما يتوارثون بينهم، ومن وجبت عليه عقوبة منهم أو أدب أدبوه من غير أن تكون لأحدهم عليهم ولاية كل ذلك تعظما لجانبه صلى الله عليه وسلم أن تكون لأحد ولاية على عبيده وخدم حجرته الشريفة ولا يدخل معهم من العبيد الذين يفدون من الآفاق إلا من رضوا إدخاله بمال يدفعه عنه سيده أو يدفعه هو إن كان له مال، ومع ذلك فيبقى في مرتبة الصغار المشتغلين بالخدمة الخارجة فإن رضوا حاله وحسنت أخلاقه تركوه حتى تأتي نوبته في الدخول في زمرة الأربعين، وإن ظهرت منه خيانة أو سوء أخلاق أو سرقة أو أي شيء يشينه نفوه إلى حين من البلاد**"، **وبالجملة فلعبيد سيدنا صلى الله عليه وسلم وخدام مسجده جلالة قدر وعظم منصب وسعة أرزاق وكرم وأخلاق هم أحق بذلك ولكبيرهم كلمة نافذة وتصرف تام ويد مبسوطة، وهو أحد عظماء الولاة بالمدينة تنفذ أحكامه وتمضى تصرفاته في القوي والضعيف والشريف والمشروف ويطأ عقبة الكبراء والأشراف**"[2].

وإذا كان أول رجب جعل الناس يفدون من أقطار الحجاز كمكة والطائف ونجد وجدة وما ولاها من أطراف اليمن لشهود الرجبية وزيارة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه فما من يوم وتدخل فيه قافلة إلى مكة ونواحيها ولا يزال الناس يتلاحقون، فخرج أهل المدينة إلى أحد في يوم الخامس والسادس

[1] – نفسه، و، و، 141، 142.
[2] – نفسه، و،142.

من الشهر ورجعوا في اليوم الثاني عشر ولم يبق في المدينة إلا القليل، وخرج العسكر لحراسة الناس في الطرقات من المدينة إلى أحد.

وبعد الرجوع من أحد نزل الوافدون بالمدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه، تكامل حشر الناس فمن لم يدخل المسجد من قريب من العصر قلما يجد موضعا لصلاة المغرب والعشاء فيقض المسجد بمن فيه ويفتح الحرم طول الليل، ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة، كل على حسب ما يندح له إلى الصباح، فإذا أصبح أخذ الأعراب في التوديع فيسمع كلام حنين كنحيل الإبل في المسجد وصياح وصراخ رافعي أصواتهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة، فترق قلب سامعهم وتحن ويشفق لهم على جفائهم وجهلهم فلا يأتي مساء ذلك اليوم حتى لا يبقى بالمدينة إلا القليل، وعسى الله أن ينفعهم بحسن نياتهم وإذا استهل شهر شعبان أقدمت القوافل في الرجوع إلى مكة ويرجع غالب من جاء إلى أهلها ولا يبقى إلا القليل ممن يريد شهود رمضان بالمدينة [1] .

ثم يذكر ظاهرة اجتماعية أخرى تخص التبرك بالوديان التي بارك رسول الله فيها ويحبها عليه الصلاة والسلام ومنها (العقيق)، حيث يقول: "**كان سيل العقيق عند أهل المدينة من أعظم المنزهات من سالف الدهر وفيه للأقدمين أشعار كثيرة مذكورة في كتب الأديان وكانوا يقدسونه لأنه ورد حديث فيه عن أنس رضي الله عنه "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي العقيق فقال: " يا أنس خذ المطهرة وأملأها من هذا الوادي فإنه يحبنا ونحبه**"[2].

ثم يذكر أنه حضر سيله ثلاث مرات ورأى الناس يخرجون على طبقاتهم وينصبون الخيام والمضارب بحافتيه ويطعمون الأطعمة الكثيرة مع سرور ولهو وطرب ويقيمون به يوما أو يومين

[1] – **نفسه**، و، و، 142، 143.

[2] – **نفسه**، و،143.

ويذكر بأنه سال مرة سيلا عظيما منع الرفاق الوافدين من مكة للرجبية عن الوصول إليها بعد مدة[1]، قال: " **وقد حضرني أبيات ونحن على شاطئه:**

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى * فلا تسل سائلي عما هناك جرى**

الوجد أورق زنادا في الحشى * فصلى به الفؤاد فسال الدمع منحدرا**

ويقول :

ساق العقيق دمعي * وسال كمثل العقيق**

وسيله كالرحيق * وأدمعي كالحريق**

فلا تكلم يا عذولي * ولتستعدن يا رفيق**[2]

وكذلك يذكر وادي بطحان الذي يلتقي مع وادي العقيق بالغابة، حيث مجتمع الأسيال، فقد روى البزار وابن شيبة مرفوعا عن عائشة رضي الله عنها: "**بطحان على شرعة من شرع الجنة " ولذلك يخرج الناس إن سال للتفرج على حافته منازل كثيرة لأهل المدينة، وقد جعلت فيه شبابك ومجالس إلى ناحية الوادي وعليه قنطرة كبيرة قرب المصلى**"[3].

ثم يذكر الطباع الفاسدة لأهل الأعراب في طريقهم من المدينة إلى الدهنا وهم راجعون في منطقة بسفح جبل ألواع، قال: "**ولما خرجنا المضيق خرج الحراميون من الأعراب على أخريات الركب ورموهم فوق الجبل ببنادق وكفى الله شرهم ورجعوا بخيبة وجرحوا جملين وسلمهما الله فبرءا**"[4].

ثم يذكر صفة الكرم عند بعض الشيوخ في منطقة السبع الوعرات، يذكر رجلا كبيرا قال: "**لما أتينا بذلك المحمل في ذهابنا زعم أن اسمه عودة بن يكون الجهني، اشترينا منه حشيشا لدوابنا**

---

[1] – **نفسه** ، و،144.

[2] – **نفسه**

[3] – **نفسه.**

[4] – **نفسه**، و ،158.

ولما رجعنا قافلين فرح بنا وهش وبش، وأتانا بخروف وصحفة من سمن"[1]. وهذا ما يؤكده اسماعيل احمد ياغي[2]

كما يعود إلى ذكر المتلصصة في طريقهم أثناء عودتهم من المدينة، يقول: **"تعرضنا إلى متلصصة الأعراب وراءهم يطلبون الغزلة وأخذ الناس حذرهم منهم فتهيئوا، ولما وقف الركب لصلاة الصبح ركب الحاج محمد بن أحمد الأبان على بغلته فأتاه لص مستقبلا، فظنّه من الركب فضربه وأسكره، فأخذ مرقعة وفر للجبل هاربا"**[3]وهذا دليل على كثرة اللصوص المحترفين.

ثم يواصل ذكر أعراب البلاد الحجازية يقول: **"وأعراب هذه البلاد الحجازية من عسفان إلى ينبع بلاد حرب، ومن الينبع إلى آخر بلاد جهينة، ومن أكره إلى الطية إلى دور المويلح بلاد سلم"**[4].

ويذكر أنه ضل في رحلتهم هذه عبد لابن أخيه محمد بن محمد الصغير واسمه سالم لما مروا ذاهبين ويقول: **"ولما رجعنا وجدناه هنا وزعم أنه نام واستيقظ فإذا بالركب ذهب وفات وأتاه المستقرة من الأعراب المتلصصة وراء الركب، فأخذوه وعزلوه عن عدته ولباسه وتنازعوا عليه حتى تجارحوا وسألوه من سيدك فأخبرهم أنه لنا، وضمه الغالب من المتنازعين وأواه إليه يقول: "ولما بلغنا وادي أكره أراد الناس سقي إبلهم فمنعهم قائد الركب الحاج محمد الصغير وقال أنه لا يليق بنا الجلوس هنا، الأعراب المتلصصة كثيرون، ولقد صدق وأحسن فيما رواه وقد رموا أول الركب التونسيين ببنادق يطلبون إرهابهم فيفتكون بهم فصبروا لهم وثبتوا وما نالوا منهم شيئا"**. كما يذكر أنه يوم الجمعة

---

[1] – **نفسه.**

[2] – كانت الفوضى تعم أرجاء الجزيرة العربية كلها في مطلع القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، بل كانت أحوال العالم الإسلامي على حالة لا يحسد عليها أهله ومن هذه المناطق (نجد) بصفة خاصة، فالفوضى السياسية قائمة، يعتدي الجيران على بعضهم بعضا وغارات البدو لا تنقطع وتسلط القبائل وشيوخها على الحضر لا ينتهي، وانتشار اللصوص في كل مكان لا حدود له، ووجود الخراب في الطرقات والدروب، ولا يقل الجهل في الأمور الدينية عن الفوضى في النظام، فتقديس القبور والمظاهر الخاصة بذلك قائمة وانتشار الخرافات والتوسل بغير الله. انظر/ إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر.** ج1. الجناح الأسيوي 987 هـ-1400هـ/1492م- 1980م، دار المريخ للنشر، الرياض، د.ط، 1415هـ - 1995م، ص 68-69.

[3] – الرحلة، و،158

[4] – نفسه.

عشرين من محرم، عاشر مارس يقول: "**ونزلنا بدار السلطان عصرا وسرق الفقيه سيدي عمر العيني بهذه الدار ثلاثة عشر شقة من الكتان، وذلك ما على ملكه فالله يخلف له، فلما نام دخل السارق للخباء وأخذها وهذا السيد من أجلّ أحبتنا**"[1].

وفي منطقة المويلح وجدوا السراق يطوقون بالركب ويتواثبون عليه من كل ناحية وفي الصباح أخبروا أن واحدا منهم مات وأن الجماعة خرجوا وتفرقوا في نواحي الركب ولما اجتمعوا فقدوا واحدا منهم، وسألوا عنه فوجدوه ميتا صادفته رصاصة وآخر مجروح، وتوفي هنا صاحب الأخ سيدي إبراهيم بن عبد الرحمان، ودفن به، وأقاموا الأحد والاثنين، ثم يذكر كذلك أنه في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من محرم، رابع عشر مارس نزلوا عين الأقصاب وباتوا بها وأتى السارق ليلا إلى خباء صاحبهم الحاج عبد الرحمان بن الحسين الطرافي، وفتح له حملا من أحماله فيه الكتان وجعل يأخذه من تحت رجليه وهو نائم على الحمل، فتحرك الحمل لأخذهم منه، فنهض من نومه وصاح وأخرج السارق وأخذ بثوبه نحو من عشرين شقة، وفر وتبعوه وعثر وسقط وألقى الكتان وفر ناجيا بنفسه.

ثم يذكر أنهم لما وصلوا إلى العقبة [2] يوم السبت، الثامن والعشرين من محرم، ثامن عشر مارس، تعرض الركب إلى اللصوص، حيث أصابوا مرحول بعض التونسيين فيه نحو عشرة من الإبل وضربوهم ببنادق وفر من كان مع المرحول، وأخذوه ودخلوا به الشعبة وكان وراءهم ولد شيخ الركب الجراني، الشيخ صغيرا في أول الركب لأن ركبهم يتأخر عن ركب التونسيين فتبعهم مع بعض الرماة، رموهم ببنادق وفر اللصوص آخذين ما على الإبل ودخلوا به الشعبة وردوا الإبل إلا

---

[1] – **نفسه**، و 159.

[2] – يؤكد العياشي الذي حج عام 1074هـ/ م في رحلته أن: "**العقبة هي أول أرض الحجاز، فإن من هنالك تخالف الأرض التي قبلها، وتباين الجبال ما سواها، ويشتد شبهها بجبال الحجاز السود، ويتقوى الحر، وتسرمل الأرض**".

– عبد الكريم كريم، "**بلاد الحجاز في المخطوطات المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة**"، مجلة التاريخ العربي، ع/05، المغرب، 1998، ص 105.

واحدا ذهبوا به وعلى بعض الإبل حمل من خشب زعم صاحبه أنهم اخذوا منه سبعة آلاف فضة وأخذوا في هودج ستمائة ريال[1] .

كما يواصل ذكر الحرامية وأنهم لما بلغوا المكان المسمى بدار الحفيان وهو أعتن الذي قتل فيه ابن أخت العباس رحمه الله، إذ تعرض المتلصصة لطائفة من الركب الفاسي والتونسي وأخذوا إبلا بأحمالها ورموا مع من وجد مع الإبل على غرتهم، ومات من المتلصصة ثلاثة فيما زعموا وواحد من الحجاج، وخرج ثلاثة وسلم الله الركب كله، ويذكر أن السراق أخذوا من الركب الفاسي ما مقداره خمسمائة مثقال ذهبيا وحوائج، وواحد لابن كيران وواحد للقنيدي شاوش ونصف حمل لصالح الفلاحي ومائتان مثقالا ذهبيا ونصف حمل لآخر، ونصف حمل للحاج عبد القادر الأبار وأخويه عيه سلعة هند، وحمل للسيد صالح الفلاحي النازروتي ونحو مائة شقة لابن أبي زيان أمانة عنده، وحملان للحاج مسعود الآبار أحدهما عليه الماء والآخر بلا شيء [2].

مما سبق يمكن القول إن:

- مصر كانت قطبا ثقافيا ممتازا كونها تضم الأزهر الشريف منارة العلم ومقصد العلماء، خاصة المغاربة، كما أنها كانت تتميز بعلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة وعلى رأسهم الشيخ الزعتري والشيخ موسى المصري والشيخين القليوبي والسيوطي والشيخ الجبرتي.
- على الرغم من ذلك فإن مصر في زمن الدرعي كانت تتخبط من الناحية الدينية في الشركيات، كعبادة النيل ومطر نيسان، وعبادة الأولياء والأضرحة، كالشيخ البدوي والشافعي والتوسل لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1]– **الرحلة** و، 159، 160.

[2]– **نفسه**، و، 160.

- انعدام الأمراض في مصر مما يوحي أن مصر في زمن رحلة الدرعي 1121هـ/ 1709م، كانت ترفل بحياة اقتصادية مزدهرة، حيث تعج الأسواق بالباعة خاصة القاهرة والاسكندرية والمويلح، وأن مدينة القاهرة كانت متصلة البنيان لمسيرة شهر كما يروي الدرعي، مع وجود مختلف الخيرات في الأسواق خاصة في مدينة المويلح على الحدود المصرية الحجازية والتي يباع فيها الفول والقمح والشعير والكتان والابل والغنم وبأرخص الأثمان.
- كانت بلاد الحجاز شبيهة بمصر في الحياة الثقافية خاصة مكة والمدينة، وكذلك تتخبط في الشركيات وعبادة الأضرحة والأولياء كالحسن التجاني وابي الغيث.
- كانت الحياة الاقتصادية مزدهرة خاصة في الينبوع ومكة المكرمة، حيث تتواجد اسواق مكتظة تباع فيها مختلف الغلال الآتية من مصر والشام والهند والتي منها الكتان والبرسيم والقمح والشعير و الفول و الملوخية والعنب والتمر وبأثمان زهيدة كذلك.
- ظاهرة اكتظاظ مسجدي الحرم المكي والمدني بالكتب خاصة كتب القرآن والتفسير والحديث كابن حجر العسقلاني وأحمد بن حنبل وابن تيمية.
- ظاهرة الأغوات ودورهم في الاعتناء بالمساجد.
- ظاهرة الاحتفال بالرجبية والمولد النبوي الشريف.
- ظاهرة الزواج بأن الزوج هو الذي يزف للزوجة عكس ما هو عندنا بالمغرب.

الخاتمة:

بعد دراسة وبحث مستفيضين، ومن خلال تتبعي لهذه الرحلة، يمكنني استنتاج ما يلي:

الأوضاع السياسية في مصر، فيمكن استنتاج:

- ❖ أن العلاقات بين المشرق والمغرب العربيين كانت منذ القديم من أزمنة سحيقة وقد توطدت منذ مجيء الرسالة الإسلامية على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث تأثر الطرفان ببعضهما البعض صعودا وهبوطا قوة وضعفا.
- ❖ كان الأزهر الشريف ومكة والمدينة (الأماكن المقدسة) قبلة للمغاربة فيقصدون الأزهر أولا ثم يرحلون من خلاله إلى الحرمين الشريفين للاستفادة بالعلم من الأزهر وبفريضة الحج من الحرمين الشريفين.
- ❖ كانت الزعامة في المغرب العربي بيد المشارقة، منها الأمويون في الأندلس وابن رستم وإدريس بن عبد الله، وعبيد الله المهدي كانوا كلهم من مهاجري المشرق، ونجد من ناحية أخرى تأسيس الفاطميين لدولتهم في مصر وبنائهم للأزهر الشريف (تبادل سياسي في فن الزعامة والحكم).
- ❖ كذلك لعب المغاربة دورا كبيرا في المشرق العربي من حيث التجارة، الأعمال والجيش خاصة في الإسكندرية والقاهرة، مما أدى إلى ظاهرة النسب والمصاهرة بين المغاربة والمشارقة خاصة في الإسكندرية والقاهرة.
- ❖ خضوع مصر والحجاز للخلافة العثمانية سنة 923هـ-1517م أي في نفس العام.
- ❖ كانت الحالة السياسية في مصر غير مستقرة تتخللها الفوضى والاضطرابات السياسية والصراعات بين الأوجاقات (الحكام العسكريين) والأهالي وكذلك الأسر النافذة كالفقارية والقاسمية والغازدوغلية مما أدى إلى ظهور عدة شخصيات وحكومات خاصة خلال القرن 12هـ/18م والتي منها فتنة إفرنج أحمد (1708-1711م) حركة علي بيك الكبير (1768-1773) وحكومة محمد أبو الذهب (1773-1775) ومراد بيك وإبراهيم بيك (1776-1786)، إسماعيل بيك (1786-1791)، وعودة مراد بيك وإبراهيم بيك (1791-1798)، مما اضطر بالباب العالي إرسال حملة عسكرية من اسطنبول بقيادة حسن باشا الجزايرلي 1786، والتي فشلت في إخماد نار الفتنة حيث استدعي

حسن باشا سنة 1787م إلى حرب روسيا، وأمام ضعف حكومة الباب العالي مكنت لنابليون احتلال مصر سنة 1798هـ/ 1801م، ثم يأتي الانجليز فيما بعد بدءا من سنة 1801م.

أما الأوضاع السياسية في الحجاز، فيمكن استنتاج:

- ❖ أن الحجاز كانت تحت حكم الأشراف الذين كانوا ينسبون إلى علي بن أبي طالب، وكانوا ينتخبون بدورهم شريف مكة دون تدخل الباب العالي (حرية سياسية) في تسيير شؤون الحرمين الشريفين) باستثناء السلطة الاسمية الشكلية للخلافة العثمانية.
- ❖ كانت نجد وما جاورها بما في ذلك الحرمان الشريفان تعيش في فوضى واضطرابات وحروب بين القبائل تتفشى فيها ظاهرة الشرك بالتوسل للأضرحة والقباب والعادات السيئة.

وبقيت الأوضاع مزرية إلى أن ظهر السعوديون خلال القرن 12هـ/ 18م، واستطاعوا أن يؤسسوا مملكة قوية على أساس ديني (الحكم بما أنزل الله) أي تطبيق الشريعة الإسلامية المحمدية.

حيث تمت المبايعة بين محمد بن عبد الوهاب (الإمام المصلح) ومحمد بن سعود سنة 1157هـ/ 1744م واستطاعت أن تبسط سلطتها على كامل شبه الجزيرة العربية وهذا ما أدى إلى تدخل الدولة العثمانية من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى، وأرسلوا حملة من مصر بقيادة إبراهيم باشا ابن والي مصر محمد علي وذلك سنة 1811م.

وما إن وصلت سنة 1817م / 1233هـ حتى تمكنت قوات محمد علي من الاستيلاء على مكة والمدينة والدرعية (عاصمة الدولة السعودية الأولى).

بقيت الأوضاع السياسية هكذا إلى أن تحررت المملكة العربية السعودية من الحكم الأجنبي محمد علي- والدولة العثمانية سنة 1902م / 1319هـ من طرف عبد العزيز بن عبد الرحمان الفيصل آل سعود.

ومما استنتجت من الفصل الثاني الخاص بحياة الدرعي صاحب الرحلة (المترجم) 1057-1129.

- ❖ كانت حياته مليئة بالأحداث والأعمال، حيث كان فقيها زاهدا متصوفا وعالما مستبحرا في شتى فنون العلم والمعرفة من الشعر والأدب إلى التفسير والحديث إلى الفلسفة والتاريخ والجغرافيا وعلم الحساب والفلك وعلم البلاغة والعروض.
- ❖ كان له تلامذة كثر منهم الشيخ محمد الصالح الشرقي، سيدي المعطي وأبناء أخيه موسى ويوسف وابن حمادوش الرحالة الجزائري والذي أجازة وأجاز الكثير كذلك، أما شيوخه فمنهم أبوه محمد بن محمد الدرعي، أبو سالم العياشي (صاحب الرحلة)، وعلى الزعتري بمصر الذي أجازه سنة 1097م/ م، وشيخ الحرم أبو محمد عبد الله ابن سالم البصري وخطيب الحرم المكي الشيخ إبراهيم اللذان أجازاه سنة 1122هـ / 1710م، والإمام البقري الذي أجازه كذلك.

أما أعماله وإنجازاته:

فقد كان خليفة أبيه للزاوية الناصرية منذ 1085هـ/ 1674م، بتمكروت إلى وفاته رحمه الله سنة **1129هـ**/ 1717م، حيث قام ببناء زوايا عدة خاصة زاوية الفضل، كما بنا مساجد وحمامات ومدارس تابعة للزاوية للنساء والرجال وجلب الكتب من شتى أصقاع العالم وأدخل اليونانية وصحيح البخاري ومسلم، إلا أنه لم يترك كثيرا من المؤلفات كأبيه باستثناء كتاب" **الأجوبة** "وكتاب آخر في" **الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم**"، يقرب إلى دلائل الخيرات، "**والرحلة**" والتي تتجاوز 203 ورقة 406 صفحة.

ومن خلال تصفحي للرحلة وجدتها مليئة بالفوائد في شتى أصناف العلوم والأحاديث الشريفة النكت والنوادر، التاريخ والجغرافيا، ووصف البلدان التي مرّ بها وصفا دقيقا انطلاقا من سجلماسة إلى بشار وتوقرت، الجلفة وعين ماضي، وبسكرة وسيدي عقبة، توزر وطرابلس والقاهرة والإسكندرية وينبع ومكة والمدينة.

وأما ما استنتجته مما جاء في الفصل الثالث بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمصر والحجاز فيمكن إجماله فيما يلي:

بالنسبة لأوضاع مصر الاقتصادية.

- ❖ انعدام الأمراض في مصر مما يوحي بأن مصر في زمن رحلة الدرعي 1121هـ/ 1709م، كانت ترفل بحياة اقتصادية مزدهرة حيث تعج الأسواق بالناس وأن البناء في مدينة القاهرة كان متصلا مسيرة شهر.
- ❖ وجود أسواق مؤقتة تقام خصيصا بالحجاج (زمن الحج) على الحدود الحجازية المصرية.
- ❖ وجود مختلف الخيرات في الأسواق من قمح وشعير وعنب وزبيب، خاصة الفول إلى جانب الإبل والغنم والسمن، مع رخص السلع، وكانت مدينة المويلح على الحدود المصرية السعودية مركز توزيع السلع بين السويس والحجاز.
- ❖ كان لمصر علاقات اقتصادية مع كثير من البلدان كاليمن والحبشة وبلاد المغرب والهند والشام والعراق وأوربا والصين

بالنسبة لأوضاع مصر الاجتماعية الثقافية:

- ❖ كانت مصر قطبا ثقافيا ممتازا حيث تحتوي على الأزهر الشريف منارة العلم ومقصد العلماء خاصة المغاربة ويتميز بوجود علماء أجلاء في مختلف التخصصات والذين ذكرهم الدرعي وكان على رأسهم أبو الحسن علي الزعتري إمام الموقتين والشيخ موسى المصري القيلوبي والسيوطي ومن أهم العلوم التي كانت سائدة في مصر، علم الحديث والقرآن، الشعر والأدب والفلك (اختراع الإسطرلاب).
- ❖ ظاهرة الاستغاثة بالأولياء كسيدي البدوي والشافعي وبالرسول صلى الله عليه وسلم وهو مظهر من مظاهر الشرك كما يشير الدرعي.
- ❖ عبادة النيل (نهر من أنهار الجنة كما يعتقد المصريون) ومطر نيسان.

❖ ويبدو من خلال ما ذكر أن ولاة مصر كانوا مهتمين بتسوية الطريق وإيجاد محطات (بنادر المياه– عيون ومراكز للراحة، فنادق).

❖ ظاهرة الحرامية واللصوصية لانعدام الأمن في الطرقات والأسواق، ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام الحكام العثمانيين والمماليك بشؤون الرعية، حيث وفروا الأمن لهم ونسوا العامة.

أما بالنسبة للحجاز:

ففي الجانب الاقتصادي له:

❖ يبدو أن بلاد الحرمين مكة والمدينة وينبوع كانت مكتظة بالأسواق حيث تباع الغلال المختلفة الآتية من الشام ومصر والهند والتي منها الكتان، البرسيم، القمح، الشعير، الفول الملوخية، التمر، العنب وبأرخص الأثمان.

❖ التعامل التجاري، كان مع كثير من دول العالم كالهند والصين والشام وبلاد المغرب مما يدل على أن الحياة كانت مزدهرة في بلاد الحجاز.

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية الثقافية في الحجاز:

❖ كانت شبيهة بمصر في الحياة الثقافية والاجتماعية، حيث تكثر المنازعات خاصة في ينبع حيث يوجد قبر الحسن التجاني وتوقد الشموع (دار الوقدة بالينبوع)، وكذلك قبور الزيدانية وكبيرهم أبو الغيث.

❖ كما يبدو من خلال الرحلة أن ظاهرة اللّصوصية وانعدام الأمن في الطريق بين الينبوع ومكة والمدينة حتى مصر.

❖ ظاهرة اكتظاظ مسجد الحرم المكي والمدني بالكتب خاصة كتب القرآن والتفسير والحديث كابن حجر العسقلاني والبخاري ومسند أحمد بن حنبل.

❖ احتفال أهل المدينة بالرجبية ليلة 27 رجب وبالمولد النبوي 12 ربيع الأول، وتزيين الحرم المدني.

❖ ظاهرة الأغوات ودورهم في الاعتناء بالمسجد النبوي الشريف وعلى رأسهم العبيد الخصي قصد التفرغ لخدمة مسجد النبوي الشريف.

❖ ظاهرة الزواج بأن الزوج هو الذي يزف للزوجة عكس ما هو عندنا في بلاد المغرب.

وخلاصة القول:

إن رحلة الدرعي بحاجة إلى دراسة دقيقة ومتأنية من طرف علماء متخصصين في دراسة المخطوطات، ففيها من الكنوز الثمينة ما يفيد المجتمع العربي بصفة خاصة، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة، كونها تغص بالأحاديث النبوية الهادفة والنوادر المفيدة التي يمكن أن تؤدي إلى حياة أفضل، فما أحوجنا إلى تزيين أفكارنا بها، فإنها نابعة من صميم عقيدتنا وخاصة في جانبها الفقهي المالكي، وما أخال أني بلغت الكمال في هذا البحث الذي أعتبره مجرد تجربة أولية لقراءة المخطوط والاستنباط من محتواه أحسبه قليلا كقطرة ماء في بحر لجي، فالكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه وملائكته، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، ومعذرة أخي القارئ عن هفواتي غير المعتمدة.

وفقنا الله جميعا لخدمة العلم والعلماء، وخدمة البلاد والعباد

الملاحق:

الملحق رقم I

الملحق I– رقم 01: الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي المخطوط رقم1997 المكتبة الوطنية

الملحق I–رقم 02: الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي المخطوط رقم 2324 المكتبة الوطنية

الملحق I–رقم 03: الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي مخطوط دار الكتب الناصرية طبعة 1320 هـ

الملحق رقم II

رقم 01: دعاء مبارك لأحمد بن ناصر صاحب الرحلة .

رقم 02: الدعاء الناصري للولي الصالح الشيخ محمد بناصر(الأب).

رقم 03: توسل للشيخ سيدي محمد بناصر (الأب).

رقم 04: سلسلة الطريقة الناصرية .

الملحق رقم III

رقم 01: خريطة مصر.

رقم 02: خريطة للمملكة العربية السعودية

رقم 03: خريطة لشبه الجزيرة العربية.

رقم 04: خريطة للوطن العربي.

رقم 05 خريطة للإمبراطورية العثمانية في أوج اتساعها.

الملحق 1 - رقم 01
الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي
المخطوط رقم 1997 المكتبة الوطنية

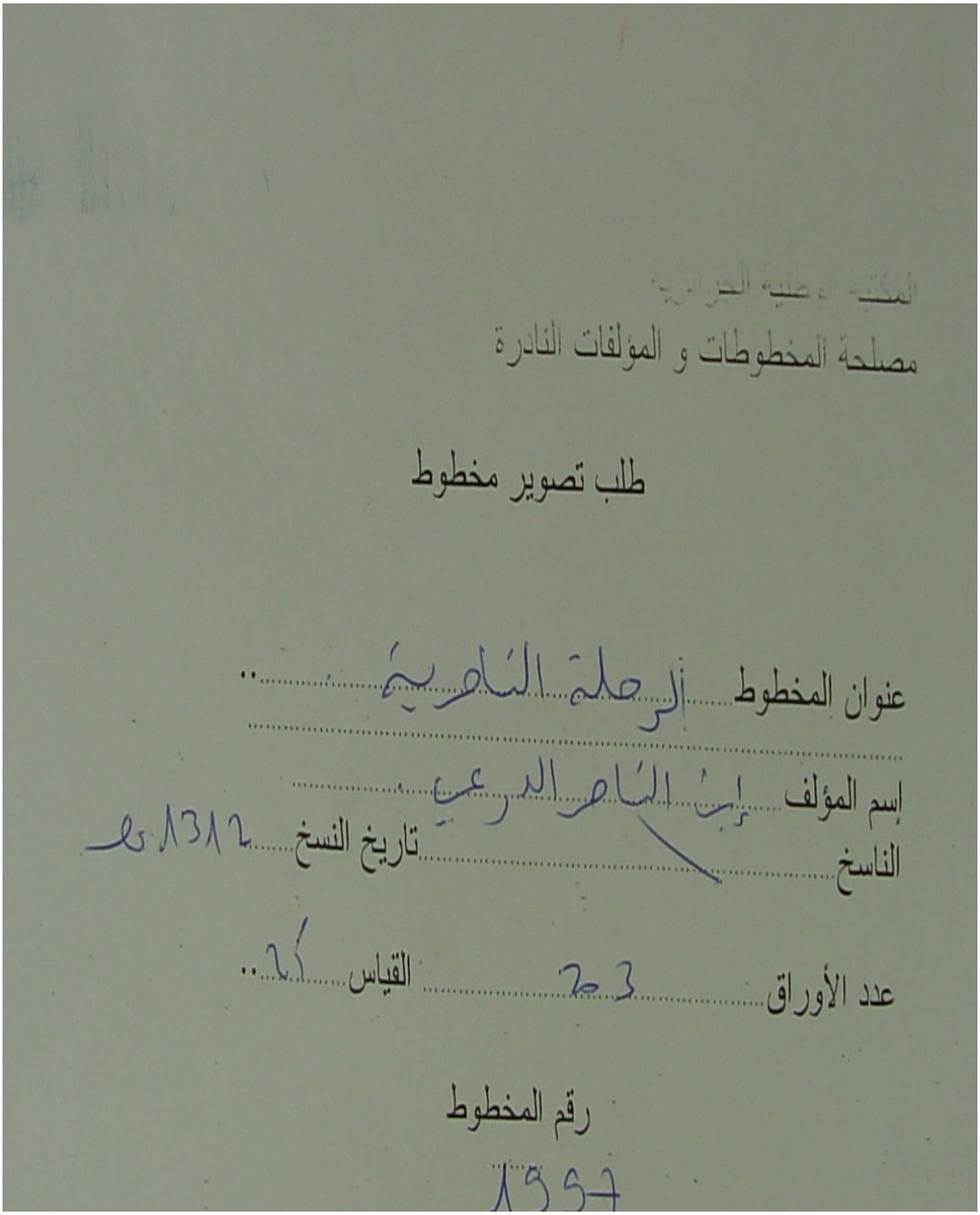

المكتبة الوطنية الجزائرية
مصلحة المخطوطات و المؤلفات النادرة

طلب تصوير مخطوط

عنوان المخطوط الرحلة الناصرية
إسم المؤلف ابن الناصر الدرعي
الناسخ تاريخ النسخ 1312هـ
عدد الأوراق 23 القياس 21

رقم المخطوط
1997

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العالم العامل الصوفي القطب الأوحد
المداح الأعظم شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة
والحقيقة وسيلتنا إلى الله سبحانه أبو العباس سيدي
أحمد بن القطب الكامل سيدي محمد بن ناصر الدرعي
رضي الله عنه ونفعنا به آمين

الحمد لله الذي جعل الرحلة ليتسع إلى اجتماع مراعظهم الغربيات، وجعل التنوع في لطائف المشاعر العظمى زيادة في الوردات، وتكفي اللذيذات، تثنايا، صحيح البخاري، عن سيدنا البشير، صلى الله عليه وسلم ومجدوكرم قال عليه المشاع من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه هو المختار الذي لا يحتاج إلى ذلك بل يقضي الكبائر والصغائر قال عليه المشاع العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قال المازري إذا كفر بعض أصحابه مرة واحدة على تكفير بعض ذنوبه ولا بد أن يبقى به اتحاد الجنة فقال عليه السلام تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما متابعة ما بينهما كما تزيد في العمر والرزق وتنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال عليه المشاع ما لعبد حظ والآخرة يليق موقع هذا البيت ما أتاه عبد يسأل الله خيرا إلا أعطاه، الله منهما والدار الآخرة إلا أدخله منهما، وصحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال له أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله قال عليه المشاع الحجاج والعمار وفد الله وزوره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم راه تشيعوا شيعوا الحاج عند قفوله قبل أن يحل أحمالهم فإن دعوتهم كالمظلة على رؤوسهم والرواحل تحتهم، وقال عليه المشاع الحج الجهاد كل ضعيف، وفي الحديث الآخر على النساء جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة، وقال عليه المشاع من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقال عليه المشاع تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة، وقال عليه المشاع من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقال عليه المشاع من حج هذا البيت

الملحقI -رقم 02

الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي

المخطوط رقم 2324 المكتبة الوطنية

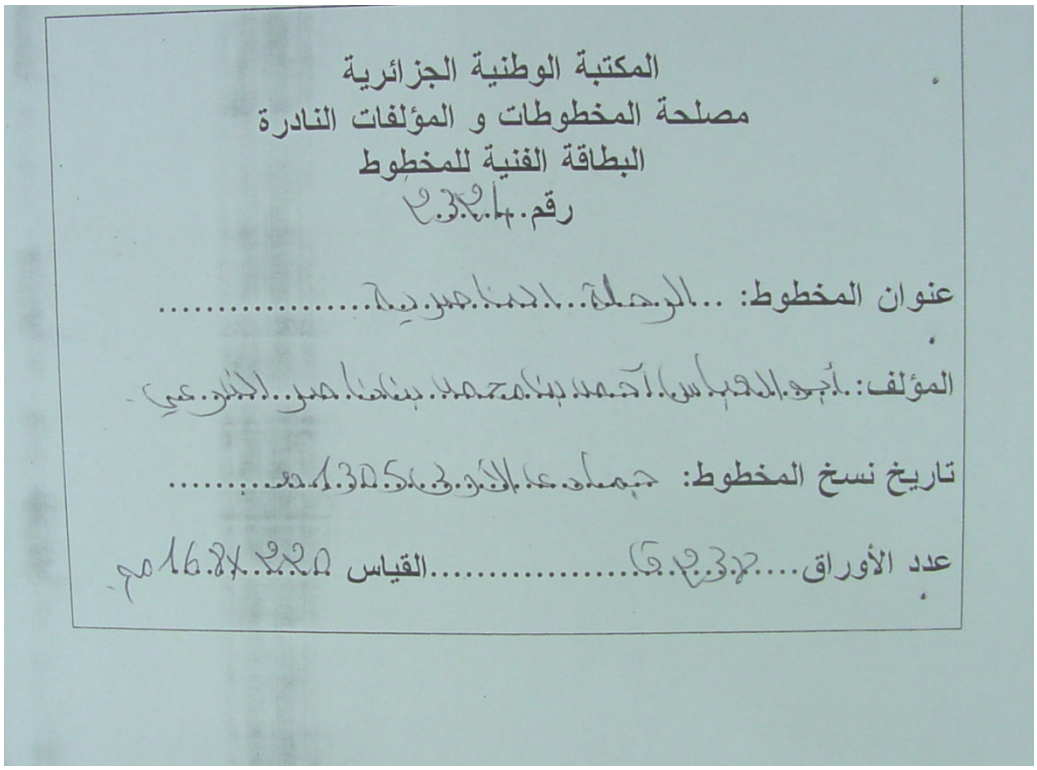

المكتبة الوطنية الجزائرية
مصلحة المخطوطات و المؤلفات النادرة
البطاقة الفنية للمخطوط
رقم 2324

عنوان المخطوط: الرحلة الناصرية

المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي

تاريخ نسخ المخطوط: جمادى الأولى 1305هـ

عدد الأوراق 232 القياس 16.8×22م

يا حسان الربوع الذين سجعان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين انتهت الى جملة التامة
بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد خير
البرية وآله الذين النفوس الزكية وسلم
تسليما في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٠٠
ووجدت على اخر النسخة المنسوخ منها ما نصه الحمد لله توفي رضي الله عنه
ونور ضريحه كانت بين عشاء ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الثاني عام تسعة
وعشرين ومائة والف وكانت ولادته رضي الله عنه منتصف ليلة الخميس ثامن
عشر رمضان عام الف وستة وستين انتهى عفى الله للكاتبه بمنه وكرمه

2324

BIBLIOTHEQUE
ALGER
NATIONALE

071287

الملحق1 -رقم 03
الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي
مخطوط دار الكتب الناصرية طبعة 1320 هـ

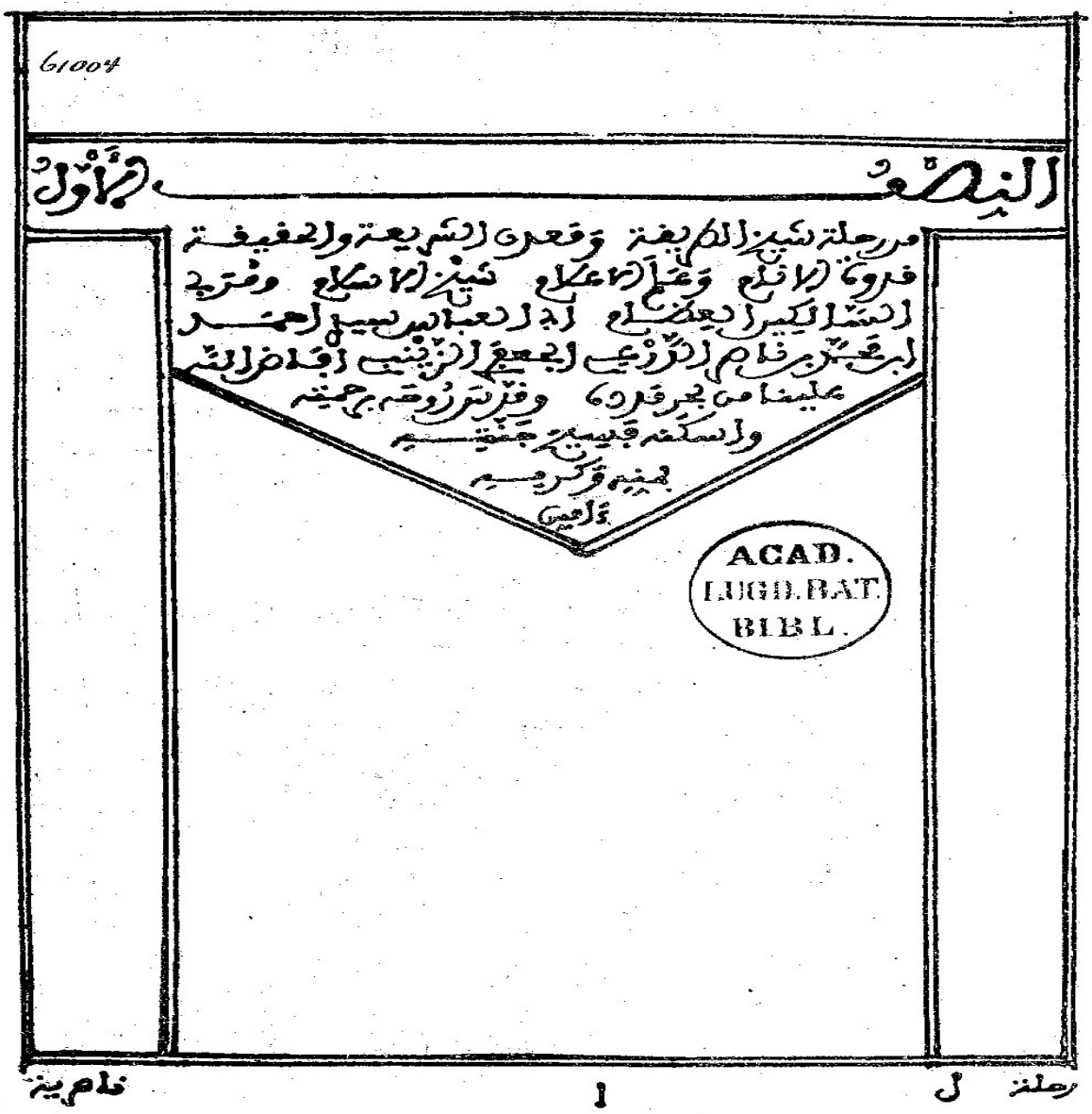

الجزء اللطيف التعريفي بمؤلف هذا الكتاب المبارك الجليل العديم النظير والخطير قال

الصفوي ومنهم الشيخ الصالح الناسك ابو العباس احمد بن الامام الشهير ابو عبد الله محمد بن قاسم الدرعي وتفرع عنه جملة ابنائه كلهم من اخيار وكبار رحمه الله اصلح وفقه عاملا وعملا قوالا بالحق نشر بدر التكميمة على امثل البدع الاقناعي والله الموفق لا رب سواه وقد اقبل على ما يعنيه متابعا للسنة في اقواله وافعاله حريصا على احياء السنن واقامة البدع مقتفيا الله به اقواما وبقع به اناسا كثيرا او نفر كان بعض الشيوخ العلم بعد صريعا في الحريق الشهير كان ازال الكائنة من ذات بالحق لعلمه بان على الله لا يتم من غلبة حتى يأتي امر الله ان تم من الكلمة بقية الاية بتصرف وبلغت اذ من مع الافاقة الينبغي مبنيا على وصيته العلموف وكان رحمه الله يشابه على التعليم متصلا على الكلمة فاقبل على البخاري وغيره من الكتب الحديثية وفصل وفاته فعم النفع بانواع الكمالات من ذكاء وقصاحة وتفهيم وتوافر وكان سلفا كالسلف عارفا بما قد مستعملا الخير في سلم امورك امن من ابيه وقضى عليه في التفسير والحديث والعربية واصول الدين وغيرها الله ومن الامام ابو سالم العياشي سمع قدر الصحيح واجاز له وفيه وفي غيره ومن الشيخ ابو عبد الله محمد ابن يوسف التلمساني وعن البقية ابي العباس الجزولي ورحل للمشرق فاخذ عن الشيخ ابراهيم بن الحسن الكوراني واجاز وفيهم عن الشيخ العفيف وعن الحجر الحجر المعجم واجاز وايضا الشيخ عبد السلام بن سليم الابي واشياخه بالاجازة من اهل المشرق والحجاز يطول تتبعهم وكان له مشاركة في القراءات وعلم الرسم فلقي ذلك عن عدة مشايخ منهم زيادة على بعض من تقدم الفقيه ابو عبد الله محمد الحفار الابي واجاز له ذلك وآخر التوقيت وابو العباس احمد الحسني الزعيم الصالح الشهير اخذ عنه بفاس لما مر بالمغرب ومن ابي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الدرعي وتفيد اخباره في الكتب الاسلامية والدوادير العلمية تطلب من مظانها يسيرة وكان ابو العباس استخلفه على الضريح بزاويته واذن له في تلقين الاوراد ورفع الراية للزاوية بعد ذلك احسن الخليفة وحمدي في جميع امورك عزه واحمده على سيرته في كل شؤونه ومتعه

الناس للاخذ عنه والاستفادة منه وصرف له الملوك من كل جهة وتزاحمت على
ابواب الركب ورفع له من القبول والاقبال ما يقصر عن وصفه التعبير وفي
اثناء ذلك التسمية فاخبرت به من اراده من بعض العلماء فلما دخل
المدينة المكرمة وجهته الاخيرة جلس قبالة الحجرة الشريفة والناس
يزدحمون عليه لاخذ العلم وتلقين الاوراد ومعه نبيسة فلما رأيته قلت
نبيسة ان منزل الرجل المغرور تراه عن نعيسه وان اكيف تصدر منزل المكاره ان لم
تتخذ فيه الا قليلا وتخضع رقاب العلماء فيه وقد اطلعت الشمس حينئذ اشرح
قال وكان شيخ الشيوخ بلا نعيس قد انتبهت الى وقال والله ما جلست لما تراه حتى
اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم به وقد اخذ عني مرة بالسلب فاستغفرت
على يدي فقبلها وقلت له يا سيدي انه قد اتى الى الله تعالى قربا وانصرف وسره
عنه بعض غفلة الاصحاب انه كان بعض كتبة الجيش تتقدم مرة للقراءة عليه
ويرجعون اليه فيما استصعب عليهم من مسائل العلم وكان صاحب الترجمة يكثر
من الاقراء والاقراء بالله الجزيرة عبد الرحمن بن عمر الشعاب انه قال من رؤياه الى
سبعة ضمنت له الجنة بشرط ان يقول كل من رآه انه سمع الذي رأيته فيسمع له
وصورة الحال اجاز الله محمد بن نام كذا له عن شيخه الى الحسين الدرع عن ابي
زيد المهدي عن ابي عبد الله الوفي عن عبد الكبير الميمي عن سيد عبد الرحمن الشعالبي فكان
الناس يستشفعون به على الروية فيشفعهم ومن اكثر من ترجيح الضعيف
وتغليب الرجاء وله وجه من السنة انكم بشفعكم وكتابتنا الخدامة ومن اوراد
صاحب الترجمة واختياراته كثيرة وله رسالة حسنة ذكر فيها اشياخه وما اجيز له
وجهته الجليلة وضمنها بعض اوراده العلمية واعتمد فيها على رسالة شيخه ابي سالم
قلت ومن رحمة الله ذلك عشر من ربيع النبوي عام ثمانية وتسعين ومائة
والف وتوفي مع ابيه انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام من أعظم القربات وجعل
الثروة في تلك المشاعر العظام زيادة في الزلفات وتكفير السيئات مناجاة
بصحيح الآثار عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم ومجموعهم قال عليه السلام
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واختار الذهبي
وابن خزيمة وغيرهما أن إطلاقه يتضمن الكبائر والصغائر وقال عليه السلام
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قال العلماء
أي لا يقع لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد أن يبلغ به إذا دخل الجنة
وقال عليه السلام تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما تنفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال عليه السلام من زار
البيت وأتى عرفة فليأت مقر البيت فإذا أتاه عتق بعدد الله رقبة إلا أعتق الله منهما
وأتاه أخرى إلا أتاه خرج منهما وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه
أنه عليه السلام قال له أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما
كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وقال عليه السلام الحجاج والعمار وفد
الله وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم
وإن تشفعوا شفعوا إلى غير ذلك من فضائل الحج العظيم والحاملة على تجشم المشاق
فيه مع الابتهاج والسرور والتوارد في الكتاب الحكيم وفي أحاديث البشير النذير
عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وأصحابه الأبرار الذين ضحوا بنفوسهم في نصرته
وإعلاء دينه وإعلاء دعوته صلاة تكون ذخرا لتعظيم لقائه وتحفه بالتكريم وقاه

أما بعد فلما كان عام تسعة عشر ومائة وألف تتابعت زفرات
وأنيني وكثر استيلائي وحنيني إلى تكميل النقصان المعنيين بمسلمة من قسام من

الحج فيض

وبلغنا من خير الدارين وأدانا بجاه سيد الوجود ومفتاح الجود سيدنا ومولانا
محمد المبعوث للعالمين صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والحمد لله أولا وآخرا وباطنا
وظاهرا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات حمدا يوافي نعمه
ويكافئ مزيد كرمه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكتبيين
وعلينا معهم آمين الكرام البررة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين يستحل ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وشفا الغليل من حل مشكلات المشهورة للشيخ الإمام العارف بالله
تعالى المستغرق في بحر خضم قوله على الدوام في الحمد لله رب العالمين
وزين الأولياء العارفين سيدي أحمد بن سيدي محمد بن سالم البرزنجي
أفاض الله علينا من معارفه وعلومه وأعاد علينا من بركاته
وأسراره ومفهوميه على ذمة الغيبة النسبة الأدبية التي بها
سيدي الكتبي السلام جزاه الله خيرا وإنابة على صنيعه الجميل
أجزل ووفقنا وإياه لما فيه صلاح الدين والدنيا والآخرة
آمين بالكيفية القاسية ذات الحماسة القاسية في حل
أمير المؤمنين وقحتة المولى والسلاطين سيدنا ومولانا عبد
العزيز أعز الله بوجوده أعلام الدين وأقر بالنصر والظفر
والتمكين آمين وكان فراغ صنعه وكمال صنعه
في ذلك وعشر ربيع الثاني عام عشر بن وثلثمائة وألف
وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما والحمد
لله رب
العالمين

الملحق II رقم 01

دعاء مبارك لأحمد بن ناصر صاحب الرحلة

٢١٨
د.د

دعاء مبارك ، تأليف الدرعي، أحمدبن ناصر- كان حيا قبل ١٣٣٠هـ، كتب سنة ١٣٣٠هـ.

١٢ ص ١٦ س ١٨×١١سم

٧١٠٦ نسخة حسنة ،خطها مغربي حديث .

١- الشعائر والتقاليدوالاخلاق الاسلامية أ- المؤلف

ب- تاريخ النسخ.

٧/١٤٦٠

١٦ ١٠١ ١٤١١

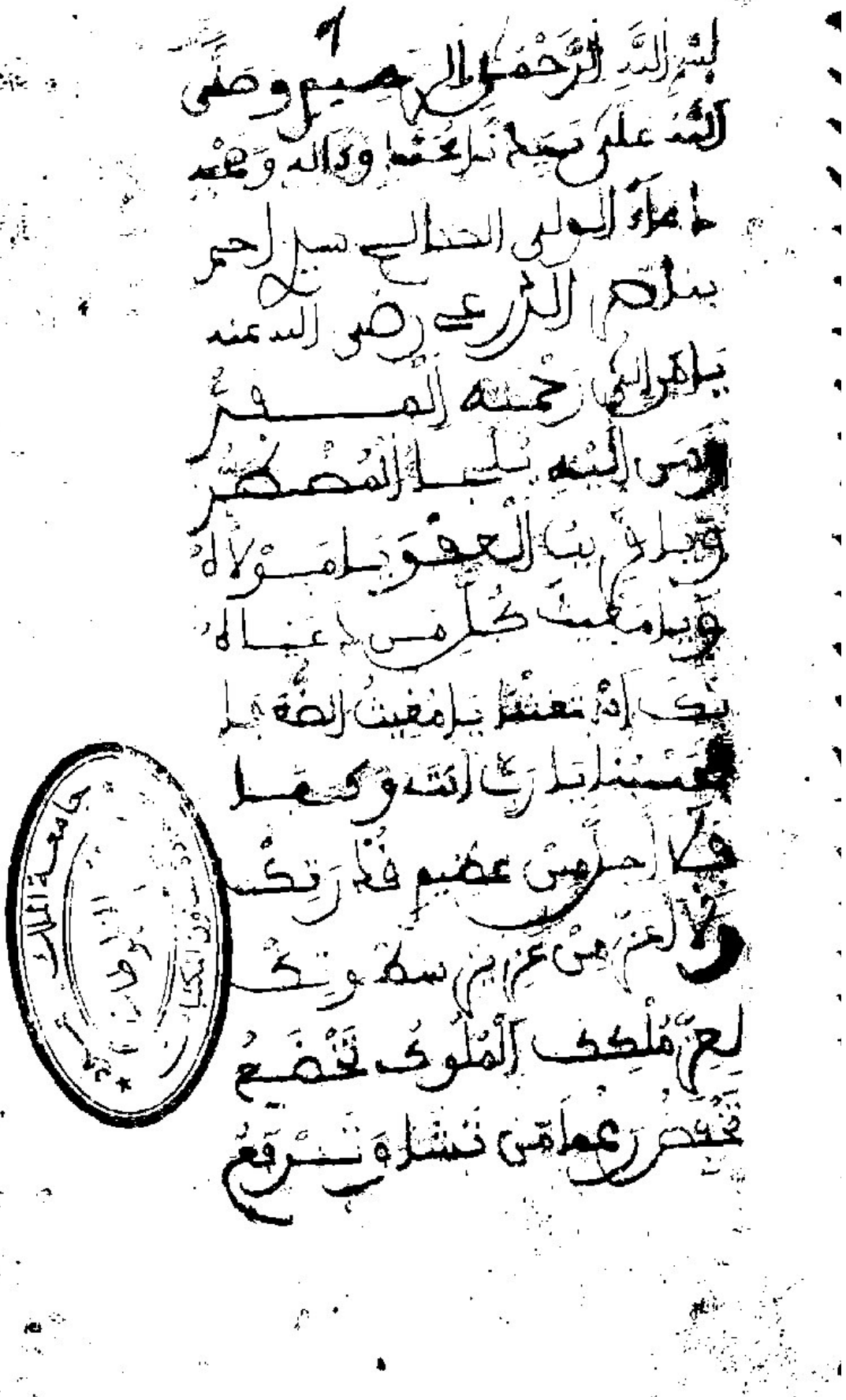

والأمر كله إليك رفعنا أمرنا إليك
وبيدك حله وعقده
وقد رفعنا أمرنا إليك
وقد شكونا ضعفنا عليك
فارحمنا يا من لا يزال راحما
بضعفنا ولا يزال رحيما
انظر إلى ما مسنا من الورى
فالناس من بينهم كما ترى
قد فرقتنا وفرقت شملنا
واخطت ما بين الجموع فرقتنا
واستضعفونا شوكة وعدة
واستضعفونا عدة وعدة
فيا من ملكه لا يسلب
لا ذا بجاهك الذي لا يغلب

اليك

إليك يا غوث الورى نستغيث
عليك يا كهف الضعيف نعتمد
أنت الذي نرجو لدفع العسرات
أنت الذي ندعو لكشف الغمرات
أنت العناية التي لا نرتجي
حمايته من غيرها بمكانتي
أنت الذي تسعى ببابك فضله
أكرم من أعنى بفيض نواله
أنت الذي تهدي إذا ضللنا
أنت الذي تعفو إذا زللنا
وسعت كل ما خلقت علما
ورأفة ورحمة وحلما
وليس منك في الوجود أفقر
ولا لما عندك مثل الفقر

يا واسع الإحسان يا خير من
عم الورى ولا يبالي غيره
يا منقذ الغرقى ويا حنان
يا محيي الهلكى ويا منان
ضاق الخناق يا سميع يا مجيب
عز الدواء يا من يداويب
وقد مددنا ربنا الذكر قل
ومنك مرجونا اللطف فل
فالطف بنا لما به قضيت
ورضا لما به رضيت
وأبد اللهم حال العسر
باليسر وامدد بالنصر
واجعل لنا على البغاة الغلبة
واقصر لدى الشر على من كلبه
واقهر عدا الدين يا قهار
يفصم مبلهم ويفني الدهر

واعكس

واعكس همومهم وخيب سعيهم
واقهر جنودهم واقسم أيمهم
واجعل اللهم بينهم تفرقا
فلن نعجزك فلن تكا
يا رب يا رب بحبل عصمتك
فإعتصمنا وبه نصرتك
فحكم لنا ولا تكن علينا
ولا تسلطهم بذنبنا علينا
فما لنا قوة لدفع
ولا استطعنا حيلة لنقع
وما لنا غير بابك الرفيع
ولا رجونا غير فضلك العميم
لما رجت من خيرك الضنون
بقدر ما تعلم كان يكون

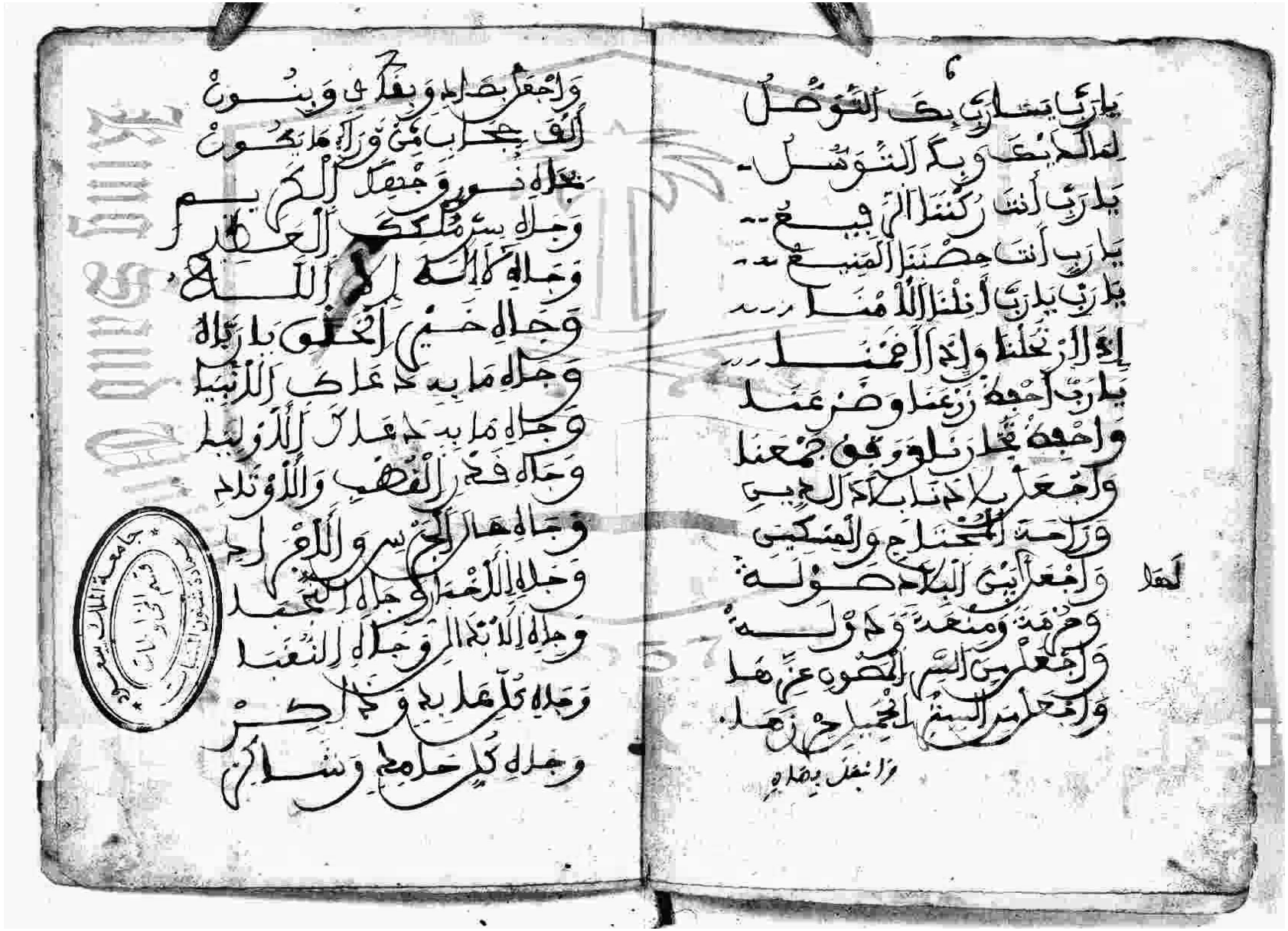

يارب يا سار بك التوصل
لما لم يعد بك التوسل
يارب أنت ركننا الرفيع
يارب أنت حصننا المنيع
يارب يارب أنلنا المنا
إذا أردنا وإذا أعملنا
يارب أجعله زرعا وضرعا
واجعله يجلو نورنا وقوى جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الريف
وراحة المحتاج والمسكين
واجعل أيتي البلاد حوله
وحرمة ومنعة ودولة
واجعل من الشر المحذور عزها
واجعل من السنين الجدب حرزها
وانقل بفضلك

وأجعل بصلاح وفلاح وبنون
ألف جحاب من ورائه ما يحزون
وجلاله نور وجهك الكريم
وجلال سر ملكك العظيم
وجلاله لا إله إلا الله
وجلال خير الخلق يارباه
وجلال ما به دعاك الأنبيا
وجلال ما به دعاك الأولياء
وجلاله فخر الفقهاء والأولياء
وجلاله حال الجلساء واللزام
وجلاله الأئمة وجلاله المعتمد
وجلاله الأئمة الرواة وجلاله النقلة
وجلاله تولى عليه وذاكر
وجلاله كل حامل وسائر

جامعة الملك سعود

وجلاء كل من رفعت فكرة
ممن ستر ب أو نشرت ذكره
وجلاء آية الكتاب المحكم
وجلاء اللبس الذي عم المعشر
يا رب يا رب وفقنا وفر
بيننا يا كذا صعبة حسرا
وفك عونك كل عاة من عمل
ربنا كرم بها الأيام من سعا
فا قبل دعاءنا بفضل الفضل
فنور من الغنى حساب العقل
وامنن علينا منة الكريم
واعطف علينا عطفة الخليم
وانشر علينا يا رحيم رحمتك
وابسط علينا يا رحيم نعمتك

وهم لنا في سلم الأفوال
واخذ لنا في سلم الأفعال
بلا رب واجعل لنا الشمشك
بالسنة الغراء والتمسك
وصن لنا أعز أصل المتفقه
بلا وعر فما تمام المعرفة
واجمع لنا ما بين علم وعمل
واحم وقاية الهدى الرسمي الامل
واهم فإني كاد البعد منذ الامل
وانهج بنا يا رب نهج السعداء
واخلق لنا يا رب خير الشهداء
واجعل بيننا فما أحلى
وعلمنا علما يليق بعلا

http://makhtota.ksu.edu.sa

الملحق II رقم 02

دعاء سيف النصر سيدي محمد بن ناصر

يا ربنا الأعلى ويا وهاب ... سبحانك اللهم يا تواب
صل وسلمن على النبي ... محمد ذي الخلق السني
وآله وصحبه الثقات ... الصادقين الطيبي الصفات
يا بر يا رحيم يا جبار ... ويا كريم العفو يا غفار
خذ بيميني واجبر انكساري ... وتب علي وأقل عثاري
يا محيي الأرضين بعد الموت ... داركنا بالتوبة قبل الفوت
بجاه خير الأنبيا خير البشر ... صل عليه الله ما لاح القمر
باسم الإله السامع القريب ... الصادق المواعد المجيب
ذي العز والبطش والانتقام ... القاهر الجبابر الضخام
نخمده حمد مضيم سأله ... نصر ا على أهل الفساد السفله
حمدا مضاعفا يوافي نعمه ... ويستبيح بالمزيد كرمه
مصليا على الرسول احمدا ... نبينا أفضل مهدي هدى
صل عليه ربنا وسلم ... وآله وكل من له انتمى
يا ربنا أنت العزيز القوي ... و أنا عبدك الذليل الضوي
و أنت أنت القادر الغني ... أنا الفقير العاجز الدني
يا ربنا يا من يجيب للضرير ... أنت بحالنا عليم وخبير
بك اعتصامي ربنا وحولي ... بك وقوتي لكل هول
يا رب أنت عالم بحالي ... علمك يغنيني عن السؤال
إليك أشكو البث والحزن ... فلا أرى على غيرك لي متكلا
يا رب أنت ركني الشديد ... وعدتي و ملجئي العتيد

.../...

-2-

فأنت حسبي وحسيب من بغى ... ظلما علينا وتعدى وطغى
يا رب من أمسى له أتباع ... بعدد و عدد مناع
فأنت حسبي و بنا البصير ... نعم الولي أنت و النصير
يا ربنا أنت ترى ما قد جرى ... فاقصم بقهر من علينا جسرا
مع السلامة لنا والعافية ... في الدين والدنيا وحسن الواقية
يا ربنا بجاه سيدي الغازي ... ناجزهم أحث ما نجاز
وشيخنا القباب عبد الله ... الشامخ القدر العظيم الجاه
يا ربنا من رامنا فرمه ... وقبل أن يأتينا فاقصمه
وكن لنا عليهم نصيرا ... إنك لم تزل بنا بصيرا
يا رب من يرد أذانا فاردا ... ضرره في نخره مردا

وأعط كل من يضر الزاويه عجزا وضعفا و صلا في الهاويه
وعذبنه عاجلا تعذيبا ما عذبت نفس به ترهيبا
وكل من منع منها مرفقا فأرده و أوبقنه موبقا
واردد كيودهم على نحورهم و أركسنهم لدى شرورهم
يا ربنا إنا غلبنا فانتصر وخذهم أخذ عزيز مقتدر
وامكر بهم مكرا وهم لا يشعرون ودمرنهم بما قد يمكرون
واضرب عليهم ذلة ومسكنة بالخوف مع مجاعة مقترنة
واجعلهم أذل خلق الله إلى القيامة بلا اشتباه
رب أدر عليهم من كثب دائرة ذات ثلاث شعب
ترد الغلاة وتشرد القلات سجس الأوجس و تومن الثلات-.../...

- 3 -

رب بحزبك ذوي التوفيق وفرقة التحقيق والتصديق
ضيق عليهم أيما تضييق ومزقنهم شر ما تمزيق
يا من دحا الأرض ومن طحاها أنزل بهم صاعقة نراها
تحرق الأحشاء من لظاها عدا المساكن ومن تناها
يا رب عن نصرك لا نستغني دمدم على فرق علينا يجني
دمدمة تقطع كل دابر وتجعل العزيز أخزى صاغر
ودمرنهم شر ما تدمير و تبرنهم أيما تتبير
وانصر عليهم حزبنا تجهيزا نصرا يكون بينا عزيزا
يا رب خذهم مأخذا وبيلا و لا تنج مذهم قبيلا
يا رب خذهم أخذات رابيه رب ولا تبق لهم من باقيه
وقتلنهم كقتل عاد بيد كل رائح وغاد
منتظمين في سليك عنقا يذكر سرمدا وليس يلقى
وصيرنهم أذل عبرة لكل ذي بصيرة و فكرة
يا رب يا واحد يا قهار و يا شديد البطش يا جبار
أنزل بهم داهية صماء فقيرة محيطة بكماء
يا رب و استر لنا العورات رب و أمنن لنا الروعات
يا رب كن لناصري مجيرا رب وكن لغادري مبيرا
يا مولانا انزل بهذا الوادي عافية دائمة التمادي
يا ربنا مريد أهل درعه بالخسف اركبه سريعا ردعه
بجاه خير الأنبياء احمدا صل عليه ثم سلم أبدا

انتهى

الملحق II رقم 03

توسل للشيخ سيدي محمد بن ناصر (الأب)

لك الشكر يامولاي والحمد مسجلا تعـاليت غفـارا لطيفا وموئـلا
واهـدي لخير المرسلين محمـد صلاة تفوح عنبـرا وقـرنفـلا
وبعـد سلامـا عابقـا متأرجـا ينـاغي محياه الكـريم المفضلا
وعتـرته والـه وصحـابه أولي البأس والسماح والسبق في العلا
وسلـت إليـك بالنبـي والـه وعتـرته والصحـب غـرا وكمـلا
وجبريل روحه الأمين وحزبـه مـن الملا الأعلـى ورسلك بالـولا
مع التابعين ثم تابعهم ومـن نحى نحوهم في الخير ليس بذي قـلا
وكل نبي أو ولي ومـن لـه لـديك مكـانـة بهـا قـد تكمـلا
وسيدي عبد الله نجل حسينهم && تقـيا نقـيا طـاب لبسـا ومـأكـلا
وسيدي أبي العباس احمد جلسه && جـوادا نصـوحا للـورى متـوكلا
وسيدي علي الكريم ابن أمـه && وليـا رضـوا بالقـضاء محسبـلا
وسيدي أبي إسحاق والده الذي && عـن الخلق أخفـاه الإله واخـملا
وسيدتي المولاة ميمونة التي && صار صيتها في الغرب قـدرا ومعتـلا
وسيدي أبي العباس احمد شيخهم && سليل أبي الحسين أورع من عـلا
وسيدي عمرو الذي قد تكاثرت && منـاقـبه وحـاز ذكـرا ومنبـلا

../..

وأعجوبة الدهر أبي القاسم الذي && لمـــولـــود انتمـــى ومنـــه تنســـلا

وصاحبه الغطريف عبد الواحد && ولـــيـــا منـــيبـــا منجـــبـــا متبـــتـــلا

وسيدي عمرو نجل موسى فانه && بذي الزمرة الغـــراء كـــان مـــوصلا

وشيخ الجميع سيدي الغازي انه && ولي كبير حاز فـــي السبق منـــزلا

بسلسلة إلـــى النبـــي محمـــد && تتـــابعها أكـــرم بهـــم ثـــم أفـــضـــلا

وسيدنا التقي نجل ليوســـف && علي أبي الحسيـــن نخبـــة مـــن تـــلا

وبحر العلوم الشيخ بلقاسم الذي && له شأو فضل دونـــه تقاس الطـــلا

وكـــل محـــب فرقـــة شاذليـــة&& ومـــن سبيل الغـــي قـــد حاد مميلا

وأهل طلاب العلم قاطبة ومـــن&& على المنهـــج القـــويم أسس معملا
فأسألـــك اللهـــم رب تكـــرما && بهـــم وبمن في الدهر من سلف خلا
ومن هو آت بعد من خلف لهـــم && قضيت بقرب منك والزهد بالســـلا
تفضل علـــي خالـــقي بلبانـــتي && فـــاني عـــلى سواك لست معـــولا

****

إليـــك رفعـــنا الأمر يا من له الأمر&& فـــليس لنا زيد سواك ولا عمـــر
أســـأنا وأذنبنـــا وحلمـــك واســـع && فعجـــل لنا بالعفـــو قد مسنا الضر
فمنـــك التمسنا العـــز والنصر منة && ومنك ينال الخيـــر أجمع والنصر
دعونـــاك مولانـــا ونحـــن أذلـــة && لتكشـــف بلوانا لقـــد مسنا الضـــر

--/--

- 3 -

فـــها نحـــن بباب الكريـــم التزامنا && ومن بابك المفتوح يشملنا الخيـــر
توكلنـــا وقـــف عليك وكـــل مـــن && تـــوكله وقـــف عليك لـــه الظفـــر
إذا اعتز أقـــوام علينا بجـــاههـــم && فإنـــا تعززنا بمن أمـــره الأمـــــر
وان امنوا فينا من الله مكرهم && فـــذاك دليـــل أن يحيـــق بهم المكـــر
وان هم اسروا غدرنا في نفوسهم && فقد خاب من كانت سريرته الغدر
ونصبـــر حتى يحكـــم الله بيننـــا && وان نحن متنا قبل فالموعد الحشر
أيضـــام عبد في حماكم قـــد نزل && يـــا سادة لهـــم السيادة في الأزل
إنـــي أتيت إليكـــم مستصـــرخا && يـــا مـــن بهم كل الأماني والأمـــل
أنتم حماة الحي يا غـــوث الورى && نصرا لنا عـــونا عيانا عـــن عجل
كـــم حاصرتني شـــدة بجيشـــها && وضاق صدري من لقاها وانزعـــج
حتى إذا يئست مـــن زوالـــها && جاءتني الألطـــاف تسعـــى بالفـــرج

انتهـــى

الملحق II رقم 04

سلسلة الطريقة الناصرية

سلسلة الطريقة الناصرية:

قال الشيخ أحمد بن عبد القادر التستاوتي في النزهة ما نصه :وجد بخط الإمام الأستاذ سيدنا ومولانا محمد بن ناصر رضي الله عنه ما نصه :بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما يقول كاتبه عبد ربه تعالى محمد بناصر الدرعي كان الله له أخذنا طريقة التصوف عن شيخنا سيدي عبد الله بن حساين الرقي عن شيخه أبي العباس أحمد بن علي الدرعي الحاجي عن شيخه سيدي أبي القاسم الغازي الدرعي أهلا السجلماسي دارا عن شيخه أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي **عن** شيخه أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني الراشدي عن شيخه أبي العباس أحمد زروق الفاسي عن شيخه أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن شيخه أبي الحسن عن الفرابي عن شيخه أبي العباس تاج الدين أحمد بن عطاء الله الإسكندراني عن شيخه أبي العباس أحمد المرسي عن شيخه أبي الحسن الشاذلي عن شيخه أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهم وعنا بهم آمين .عن شيخه سيدي عبد الرحمن الزيات المدني عن شيخه تقي الدين الفقير عن شيخه القطب فخر الدين عن شيخه القطب نور الدين عن شيخه القطب تاج الدين عن شيخه القطب شمس الدين عن القطب زين الدين القزويني عن القطب إبراهيم البصري عن القطب أحمد المرواني عن القطب سعيد عن القطب فتح السعود عن القطب سعد الغزواني عن القطب سبط النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.

الطريقة الناصرية:

أ-شروط الدخول في الطريقة:

-التقوى واتباع السنة ومخالفة الهوى وشهود المنة.
-الاعتماد على الله في الرزق لأنه هو الرزاق ذو القوة المتين.
-لا ترجوا ولا تخشوا إلا الله تعالى وأما السبحة والضياقة والخرقة فليس عندنا فيهن رواية وإنما طريقنا الذكر وهو نحو ما ذكر الشيخ السنوسي في آخر شرح العقيدة الصغرى فإن أردتم الدخول في السلسلة فصححوا التوبة بشروطها

وعليكم بتقوى الله والتوكل عليه في جميع الأمور و التأهب ليوم النشور والتزود لسكنى القبور.(من كلام الشيخ امحمد بناصر رضي الله عنه. (

ب - الورد الناصري:

يكون بعد الفراغ من الأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح وهو:

-أستغفر الله 100 مرة.

-اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى أله وصحبه وسلم تسليما 100مرة.

-لا إله إلا الله 1000مرة مع زيادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تمام كل مئة . أما المرأة فتكتفي ب100لا إله إلا الله (الهيللة).أما وقته فمن الصبح إلى الصبح وأفضل الأوقات هو من الصبح إلى طلوع الشمس.

ومن استطاع ألا يفتر لسانه عن لا إله إلا الله فهو الكمال والمختار.

-اختتام دلائل الخيرات و تنبيه الأنام والغنيمة ثلاث مرات في الأسبوع.

-ختم القرآن في كل اثني عشر يوما بقراءة خمسة أحزاب كل يوم.

وزاد الشيخ لبعض تلامذته بعد ورد الصبح وبعد ورد العصر إلى المغرب سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مئة مرة .لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مئة مرة.سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مئة مرة.

ومن قال بعد ورده سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يارب العالمين -ثلاثا-فكأنما عليه الطبع قال شيخنا.

مقتطفات من أقوال الشيخ رضي الله عنه:

-سأله أحد المريدين عن الكرامات وحقيقتها فأجاب رضي الله عنه: إذا رأيت رجلا واقفا على حدود الله فلم تبق لك كرامة تراها له فوق ذالك.

-وقال رضي الله عنه : أول ما يبتدئ به المريد التوبة وهي الندامة والإقلاع والتحول من الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة ولا تصح للعبد حتى يلزم نفسه الصمت ثم الخلوة ولا يصح له لزوم الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح له أكل الحلال إلا بأداء حق الله ولا يصح له أداء حق الله إلا بحفظ الجوارح ولا يصح له شيء مما ذكرنا حتى يستعين بالله تعالى على ذالك كله.

-سأله بعض الناس أن يظهر له الفضائل والكرامات التي يظهرها بعض الأولياء لتلاميذهم فقال له :
أما ما ذكرت من إظهار بعض الأمور لك فليس بيدي شيء من ذالك وإنما ذالك بيد الله ولم أبلغ درجة الأولياء حتى أظهر لأصحابي ما يظهره الأولياء لأصحابهم على أيديهم وإما الناس يحسنون الظن بنا فيعاملهم الله على قدر نياتهم فاتبع سبيل السنة المحمدية يظهر لك ما ليس فيه حساب.
-وسئل رضي الله عنه عن الحضرة التي هي عادة الفقراء فقال رضي الله عنه :أن الرقص أول من أحدثه أصحاب السامري لعنهم الله .ومن أراد من الفقراء ما ينفعه فليشتغل بتسبيحه أو قراءة القرآن أما الحضرة فلا فائدة فيها. وأما ضرب الرباب والعود وغيرها من الآلات المعروفة عند المداحين والمتصوفة فقد أنكره رضي الله عنه غاية الإنكار.
-وسئل عن المريد الصادق فقال :علامته خمسة أشياء أولها جسم طاهر من معاصي الله والثاني لسان رطب بذكر الله والثالث فكر دائم في ملكوت الله والرابع روح هائم في جلال الله والخامس قلب ساطع بأنوار الله.
-ومن كلامه رضي الله عنه : الذكر محتاج إلى القلب والقلب محتاج إلى الذكر لا يستغني أحدهما عن الآخر . فإذا اجتمع الذكر مع القلب تمت الحكمة ولا يصفو الذكر إلا بعد صفاء القلب ولا يصفو القلب إلا بعد المعرفة ولا تصفو المعرفة إلا بعد صفاء التوحيد ولا يصفو التوحيد إلا بعد الخروج من التقليد والعارف دون التوحيد لا يقتدى به في هذه الطريقة.
-وقال رضي الله عنه : معشر المريدين عليكم بذكر الله العظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة الأولياء فبذكر الله تطمئن القلوب و بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنور القلوب وبزيارة الأولياء تعرف الطريق إلى الله.

المراجع:
- طلعة المشتري في النسب الجعفري للشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.
- الأجوبة الناصرية للشيخ أبو عبد الله امحمد بناصر الدرعي .

مرسلة بواسطة جمعية سيدي أحمد بناصر للتنمية و التعاون
الموقع في الإنترنايت: http://asabdc.blogspot.com /

الخرائط

ملحقIII رقم 01

خريطة مصر

ملحق II رقم 02

خريطة لشبه الجزيرة العربية

ملحق III رقم 03

خريطة قبائل شبه الجزيرة العربية

ملحق III رقم 04

خريطة للوطن العربي

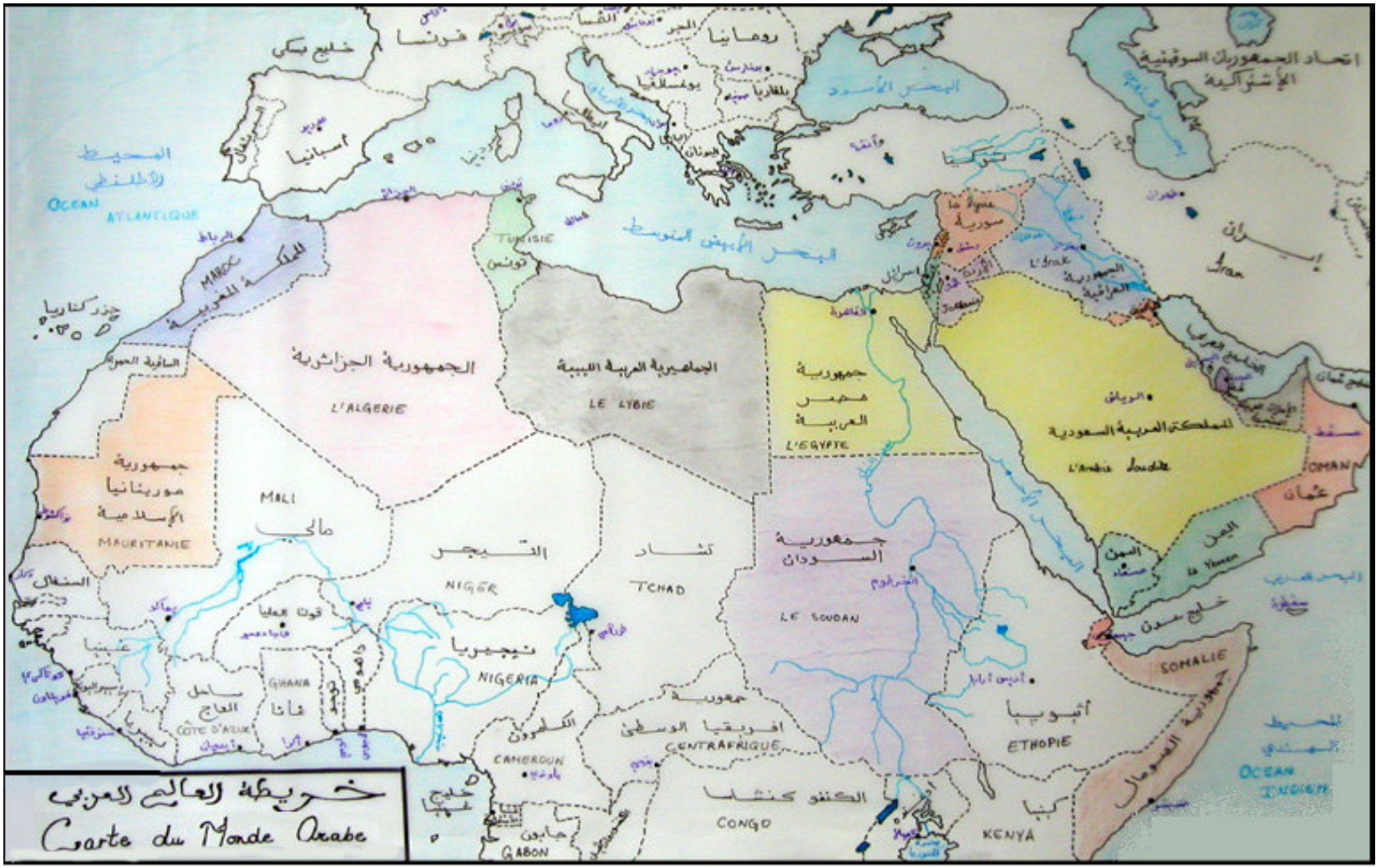

ملحق III رقم 05

خريطة الدولة العثمانية فى أوج اتساعها

البيبليوغرافية:

أ- المصادر المخطوطة والمطبوعة:

1- القرآن الكريم.

2- **رحلة الدرعي** نسخة الجزائر، 1997 طبعة 1312هـ.

3- **رحلة الدرعي** نسخة المغرب ط 1320.

4- ابن بشر، عثمان بن عبد الله، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق، عبد الرحمان بن عبد الله آل الشيخ، ط2، 1402هـ/ 1982م، مطبوعات دار الملك بن عبد العزيز، الرياض.

5- ابن حمادوش ،عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **الرحلة (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)**، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، الطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

6- ابن خلدون ،عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، 1973.

7- ابن غنام: حسين بن غنام، **تاريخ نجد (روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)**، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.

8- ابن سرور ،محمد بن سرور البكري الصديقي: **النزهة الزهية، في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية**، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

9- الأزهري محمد البشير ظافر الأزهري، **اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب أهل المدينة**، مطبعة الملاجي العباسية، 1342هـ، د.ت، د.ط.

10- الأفراني ،محمد بن الحاج محمد الأفراني، **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق، الدكتور عبد المجيد خيالي، طبعة 1، 2004م، الدار البيضاء.

11- الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار والأخبار**، ج1+ج2، دار الجيل، بيروت، د.ت، د.ط.

12- الجبرتي: عبد الرحمان بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج1، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، ط5،، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1987.

13- الجبرتي: عبد الرحمان بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج2، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، د.ط، 1997.

14- خالد بن محمد الفرج: **الخبر والعيان في تاريخ نجد**، تحقيق ودراسة عبد الرحمان بن عبد الله الشقير، ط1، مكتبة العبيكان، 2000م.

15- الخشاب إسماعيل بن سعد الخشاب: **أهل القرن الثاني عشر، تاريخ المماليك في القاهرة**، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، عماد أبو غازي، ط1، العربي للنشر، القاهرة، يناير، 1990.

16- العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج2، الطبعة الملكية، الرباط، 1974.

17- القادري محمد الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ج5، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق، طبعة1، الغرب الإسلامي، 1417هـ/1996م.

18- الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، **سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء الصلحاء بفاس**، ج1، تحقيق الدكتور الشريف محمد بن علي الكتاني، د ت، د.ط.

19- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير ، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج1، اعتناء الدكتور إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، د.ت، د.ط.

20- المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط.

21- محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

22- الناصري أحمد بن خالد الناصري، **طلعت المشتري في النسب الجعفري**، ج2، *Harvard college Librariy* , 1856 (مخطوط).

23- الناصري محمد المكي الناصري، **الدرر المرصعة**، ج1، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، د.ت، د.ط (مخطوط).

ب- قائمة المراجع باللغة العربية:

1- إسماعيل أحمد ياغي: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، د.ت، د.ط.

2- إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، **العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، 987هـ/1492هـ-(1400-1998)، ج1، الجناح الأسيوي، د.ط، د.ت.

3- اليكسي فاسيلييف، **تاريخ العربية السعودية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1995.

4- جرجي زيدان، **مصر العثمانية**، تحقيق محمد حرب، دار الهلال، الإسكندرية، 1994.

5- جلال يحي، **مصر الحديثة (1517م/1805م)**، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، د.ت.

6- جمال الدين شيال، **الحركة الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، مصر والشام**، 2 ج، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2001.

7- حسن محمد فهيم، **أدب الرحلات**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989.

8- حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، 1407هـ/1977م، الزهراء للإعلام، القاهرة.

9- ساوريس بن المقفع، **تاريخ مصر منذ البداية**، المجلد 2، الجزء2، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مطبعة مدبولي، 2006م، د.ط.

10- صلاح أحمد هويدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية**، 923/ 1213هـ (1517/ 1798)، دار المعارف، 1984.

11-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، **فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني**، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، دط، 1990.

12-عبد الرحمان عبد اللطيف عبد الله آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ط2، 1394هـ، دار اليمامة للبحث والترجمة.

13-عبد الرزاق معان، **دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني**، دار الآفاق العربية، دط، القاهرة، 1418هـ-1997م.

14- عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة الفقه المالكي**، ط1، 1983م، دار الغرب، بيروت.

15-عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث**، دار الفكر العربي، دت، دط،

16-عبد الله بن حمد الحقيل، **توحيد المملكة العربية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية**، ط1، 1990.

17-عبد الله الصالح العثيمين: **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، ط2، الرياض، 1990م.

18-علي سلطان: **تاريخ العرب الحديث**، 1918/1516، مكتبة طرابلس العالمية، دط، دت.

19-علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، 2007، ابن الجوزي، القاهرة

20-عمر عبد العزيز: **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، د.ط، د.ت.

21-عمر يحي محمد، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، مراجعة أحمد علي، ط2، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، 1964.

22- فوزي جرجس، **دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي**، العربي للنشر والتوزيع، د.ت

23-ل أ سيوديو، **تاريخ العرب العام، حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية**، ت. عبد الله علي الشيخ، ط1، 2002 الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

24-محمد أسعد طلس، **تاريخ العرب** ، المجلد 2، دار الأندلس، ط2، 1399هـ - 1979م.

25- محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964م، د.ط.

26-محمد رشيد رضا، **الوهابيون والحجاز**، مطبعة المنار، القاهرة، 1344هـ.

27-محمد صبري، تاريخ العصر الحديث، مصر من محمد علي إلى اليوم، دط، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، 1927م.

28- محمد المنوني، **دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية**، بتمكروت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1985م.

29- مديحة أحمد درويش، **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، دار الشروق للنشر والطباعة، ط1، 1400هـ - 1980م.

30- مسعود الندوي، **محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه**، ترجمة عبد العليم عبد العظيم السيتوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1420هـ، د.ط.

31- مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة بيروت، 1997م

32- ناصر الأنصاري: **المجمل في تاريخ مصر، النظم السياسية والإدارية**، ط3، 1993م، دار الشروق، القاهرة.

الموسوعات والأعلام :

1- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج، ط 5، 2002م، دار العلم للملايين، بيروت.

2- مسعود الخوند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج18، بيروت، لبنان، 2004م، د.ط.

3- **الموسوعة العربية العالمية**، مجلد 10، ط2، فهرست الملك فهد، أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ/1999م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Bernard louis, ***The arabs in history***, Otport université press, Lendand 1947.

2- L .A, ***Histoire des wahabites depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809***, L'imprimerie de Crapelet, Paris, 1810.

3- Louis Amelie Sedillot, ***Histoire des arabes***, Hachelle, Paris, 1854.

المجلات والدوريات:

1 – **العرب**، ج11-ج12 س 41، الجماديان، 1427هـ، حزيران، تموز، 2006، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع المملكة، العربية السعودية .

2- **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 15، 16 جويلية، تونس، مطبعة الإتحاد العام للشغل، 1979، جويلية.

3- المجلة التاريخية المغربية، عدد7-8 جانفي، ، 1977 تونس، مطبعة الإتحاد العام للشغل، جانفي، .1977

4- **مجلة التاريخ العربي**، ع/05، المغرب، 1998.

5- **مجلة سيرتا**، السنة الأولى، العدد الأول، جمادي الثاني، 1399هـ، ماي، 1979 مطبعة البعث، قسنطينة.

الفهارس:

الفهـارس:

01- فهرس الأعلام:

02- فهرس القبائل والجماعات:

03- فهرس الأماكن والبلدان:

04- فهرس الآيات القرآنية:

05- فهرس الموضوعات:

1– فهرس الأعلام:

"آ"

الآبي: 77

"أ"

إبراهيم الشيخ: 75، 76

إبراهيم باشا: 24، 50، 60، 61، 63

إبراهيم باشا المقتول: 24

إبراهيم بك: 21، 25، 26، 34، 35، 36، 37، 40، 41، 66، 100، 110

إبراهيم أبو شنب: 28، 92، 94

إبراهيم بن عبد الرحمان: 148

إبراهيم بن عبد القادر: 70

إبراهيم بن عبد الله: 71

إبراهيم الحلبي: 91

إبراهيم الخياري: 101

إبراهيم علي القيصري: 80

إبراهيم كتخدا: 35، 36

إبراهيم الكوراني: 73

إبراهيم اللقاني: 92، 94، 104

إبراهيم المتبولي: 93

ابن أبي زيان: 149

ابن أبي شيبة: 146

ابنة الأمير تاج: 46

إبن رستم: 77

ابن بشر: 55، 112، 132

ابن جزي: 77

ابن الحاجب: 77

ابن حجر: 135

ابن حجر العسقلاني: 150

ابن حجر المكني: 91

ابن الحسن الدرعي: 78

ابن حمادوش: 76

ابن الحنبلي: 91

ابن خشنة: 78

ابن خلكان: 98

ابن رستم: 150

ابن رشد: 77

ابن سالم البكري: 70

ابن سالم العياشي: 70

ابن: سويلم: 55

ابن عادل القرطبي: 77

ابن عبد ربه: 82

ابن عبد الرحمان الأنصاري: 100

ابن عبد: السلام النّاصري: 82

ابن عبد الوهاب: 53

ابن عرّاف: 91

ابن عريعر: 54

ابن عطا الله السكندري: 93

ابن عطية: 76

ابن غنام: 119

ابن كيران: 149

ابن مالك: 71

ابن محمد: 92

ابن المنير: 123

ابن هشام: 77

أبو ابراهيم بن حسينة: 105

أبو بكر الطُرطوشي: 123

أبو بكر السوجستاني: 71
أبو تركية: 88، 103
أبو الحسن التيجاني: 132، 150
أبو الحسن الشاذلي: 71، 118
أبو الحسن علي الزعتري: 90، 150
أبو الحسن علي المراكشي: 82
أبو الحسن النوري: 105
أبو الحسين الدرعي: 78
أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري: 81، 84
أبو الحفص محمد بن الفارض: 93
أبو الحكم الحسن بن عبد الرحمان: 105
أبو ذر الهروي: 82
أبو زيد عبد الرحمان الأخضري: 85
أبو زيد: عبد الرحمان الثعالبي: 78، 97
أبو زيد عبد الرحمان المكناسي: 82
أبو زيد المهدي: 78
أبو سالم العياشي: 82، 85، 91، 93، 94، 95، 96، 97، 100، 106، 110 : 128، 130، 136، 138، 141، 143
أبو السعود: 77
أبو شقيقة: 87
أبو طالب: 47
أبو العباس أحمد بن عبد القادر: 73
أبو العباس أحمد بن محمد: 79، 80
أبو العباس احمد بن موسى: 78
أبو العباس الجزولي: 70، 110
أبو العباس أحمد زروق: 87، 103
أبو العباس الشرادي: 76
أبو العباس المرسي: 71
أبو العباس الهشتوكي: 82
أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر: 134
أبو عبد الله الدقاق: 79
أبو عبد الله الرقي: 78
أبو عبد الله محمد بن مقيل: 86
أبو عبد الله محمد بن موسى الأنصاري: 72
أبو عبد الله محمد بن ناصر: 70
أبو عبد الله محمد راقم: 31
أبو العز المراكشي: 97
أبو علي الحسن المقداني: 79
أبو علي الحسين بن احمد: 73
أبو علي الحنفي بن أحمد شرحبيل: 71
أبو علي القالي: 82
أبو علي اليوسي: 98
أبو الغيث: 150
أبو الفتح: 74، 118
أبو الفتوح التلمساني: 70، 110
أبو القاسم بن إسماعيل: 107
أبو القاسم بن المولود: 107
أبو لبابة: 86، 105
أبو محمد عبد الله بن سالم: 97
أبو المطرف بن عميرة: 103
أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي: 98
أبو ناجي: 82
أبو نمي بركات: 42
الأجهوري: 98، 104
أحمد (الامام): 135، 150
أحمد آغا الانكشارية: 38
أحمد الآبار: 130

أحمد الأنصاري الرقي: 81، : 99
أحمد باشا الدفتردار: 38
أحمد بن إبراهيم: 71، 72، 73
أحمد بن أبي زيد الغواطي: 85
أحمد بن تيمية: 53، 150
أحمد بن حنبل: 135، 150
أحمد بن خالد: 53، 87
أحمد بن شحاتة: 87
أحمد بن عبد القادر: 72
أحمد بن عبد القادر التستاوتي: 70، 73
أحمد بن عبد الله: 71، 106
أحمد بن علي الدرعي: 53، 71
أحمد بن غالب البقري: 92، 93
أحمد بن محمد: 25، 69، 74، 75، 77، 92، 110
أحمد بن محمد المكني: 86
أحمد بن: محمد الهشتوكي: 85
أحمد بن موسى: 78
أحمد: بن ناصر: 70، 74، 75، 78،88، 104
أحمد الجزار: 29
أحمد خالد: 87
أحمد الخليفة: 72
أحمد الدردير: 40
أحمد سالم الجزار: 40
أحمد الفقي أبو العباس: 86
أحمد المغربي (الحاج): 95
أحمد المغيلي (الشافعي): 97
أحمد المقري: 95
أحمد المناوي: 123
أحمد المنجور: 130
إدريس بن عبد الله: 150
إدريس بن وطبان: 49
الإسكندر: 65
إسماعيل (الشيخ): 73
إسماعيل آغا الصعيدي: 33
إسماعيل احمد ياغا: 147
إسماعيل بك: 26، 35
أشهب: 93
الأفراني: 78
إفرنج أحمد: 21، 26، 27، 28، 29، 66
ألكسي أرلوف: 31
ألكسي فاسيلييف: 112، 125
الأمير (الشيخ): 41
أنس: 146
الأنصاري: 37
ايواظ بك: 27، 28
أيوب بك: 27، 28، 35

"ب"

البخاري: 70، 75، 79، 80، 82، 96، 135
البدوي: 119، 150
البرمودي: 135
البزار: 146
البكري :41، 92، 93، 94، 95، 96، 104، 120
البوصيري: 71، 93

"ت"

تاج: 46
التجموعتي: 82

تركي بن عبد الله: 50
"ث"
ثنيان: 55
"ج"
الجبرتي: 33، 36، 37، 38، 39، 112، 115، 150
الجرّاني: 149
جردان: 65
جعفر بن أبي طالب: 71، 110
جعفر بن موسى: 89
جورج فورنيه: 61
جورج فوستر سادلير: 64
"ح"
حامد بن محمد: 86
حسن آغا: 66
حسن باشا: 25، 34، 35، 36
حسن باشا الجزايرلي:
الحسن بن عبد الرحمان : 105
الحسن التيجاني: 150
حسن الكوفي: 86
الحسن المثلث: 95، 132
الحسن اليوسي: 70
حسين بك: 40
الحسين بن محمد: 75
الحسين شرحبيل: 76
الحسين العجمي: 97
حسين نقيب الأشراف: 91
حضر باشا: 33
الحطاب: 118
حفصة الأنصارية: 69، 71، 72، 110
حمد بن سويلم: 55
الحلبي (الشيخ): 73، 75
حمزة: 99، 100
الحنفي: 137
حواء: 47، 98
"خ"
خالد بن سعود: 51
خاير بك: 22
خديجة: 47، 97
الخزرجي: 123
خليل (الشيخ): 70، 77
خليل باشا: 32
الخياري (الشيخ): 101
"د"
الدردير (الشيخ): 21، 66
الدرعي: 116، 129، 130، 131، 150
دريعي: 65، 66
دهام بن داوس: 54، 57
دولا سكاري: 65، 66
"ذ"
ذا النون المصري: 93
ذي الفقار بك: 26
"ر"
ربيعة بن مانع المريدي: 47
ربيعة الفرس بن معيد : 46
ربيعة الفرس بن نزار: 48
ربيعة مرخان بن مقرن: 48

رينود: 62، 63

"ز"

الزركشي: 135

زيد بن الحطاب: 46، 54

زيد بن مرخان: 49

زينب بنت عبد الرحمان الدّرعية: 83

الزين المراغي: 103

"س"

السادات: 120

ستوذون: 26

سرور (الشريف): 26

سعود بن عبد العزيز: 57، 60

سعود بن فيصل: 51

سعود بن محمد: 49، 50، 58

سعود محمد القيسي : 49

سلطان حمد القيسي: 49

سليم الأول: 23، 25، 42

سليمان بن عبد الله: 52

سليمان بن محمد: 54

سليمان القانوني: 23

السنوسي (الشيخ): 77

السنهوري (الشيخ): 104

سويلم بن حبيب: 30، 35

السيوطي: 123، 150

"ش"

الشافعي: 36، 93، 120، 150

شارل مجالون: 37

شارل موري: 116

الشرقاوي: 21، 41

الشماس المصري: 102

الشمني: 82

شمهروش: 73، 75

"ص"

الصالح(سيدي): 77

صالح بن أحمد المطري: 76، 99

الصالح بن المعطي: 79

صالح الفلاحي: 149

الصعيدي (الشيخ): 33

صغير (الشيخ): 149

الصفدي (الشيخ)ك 101

"ض"

ضرار بن الأزور: 46

"ط"

طاهي بن شعيب: 58

الطرطوشي (الشيخ): 123

طوسون بن محمد علي: 59، 60، 66

طومان باي: 22

"ظ"

ظاهر العمر: 29، : 31

"ع"

عائشة: 134

العباس بن طلحة: 130، 149

العباس بن الطيب: 76

عبد الباقي: 85

عبد الحفيظ: 86، : 88

عبد الحي بن عبد الكريم: 99

عبد الرحمان بن بلقاسم: 93

عبد الرحمان بن حسن الشحروري: 71
عبد الرحمان بن حسن .....: 140
عبد الرحمان بن عمار: 87، : 103
عبد الرحمان الثعالبي: 78
عبد الرحمان عبد الرحيم: 112، 114، 141
عبد الرحمان الفيصل: 51
عبد الرحمن المجدوب: 83
عبد الرحمن المكناسي: 80
عبد الرحمن يوسف: 103
عبد الرزاق بومدين: 123
عبد الرزاق معان: 112، 119
عبد الرؤوف: 91
عبد السلام: 87
عبد السلام بن عثمان: 87، 104
عبد العزيز بن عبد الرحمن: 51
عبد العزيز بن عبد الله: 55
محمد عبد العزيز محمد: 50، 57، 58، 63
عبد العزيز الموقت: 59
عبد العزيز نوار: 118
عبد الفتاح الشعراوي: 38، 121
عبد القادر الأبار: 149
عبد القادر الفاسي: 82
عبد الكريم: 78، 99، 107
عبد الكريم: القسنطيني: 103، 105
عبد الكريم المهدي: 79
عبد الله: 59
عبد الله باعفيف: 87، 101
عبد الله بن إبراهيم: 52، 793
عبد الله بن بلقاسم: 93
عبد الله بن ثنيان: 51
عبد الله بن حسين: 69، 72، 81، 91
عبد الله بن سالم: 75، 97، 110، 135
عبد الله بن سعود: 50، 57، 58، 60، 61
عبد الله بن عباس: 47
عبد الله بن عبد الرحمن: 55
عبد الله بن عمر: 134
عبد الله بن فيصل: 51
عبد الله بن محمد: 71
عبد الله بن معمر: 53
عبد الله بن هاشم: 93
عبد الله التميمي: 99
عبد الله السوسي: 76
عبد الله الشرقاوي: 40
عبد الله المهدي: 148
عبد الله هاشم: 92
عبد الله اليمني: 97
عبد المالك التجمعتي: 83 ، 85
عبد الواحد بن غلبون: 103، 107
عبد الوهاب: 37
عبيدة بن الحارث: 102
عثمان باشا: 35
عثمان بك: 36
عثمان بن محمد: 55
عثمان بن معمر: 54، 56
عصاب العنيسي: 61
عقبة بن نافع: 73، 93، 106
العلوي (الشيخ): 48
علي آغا الانكشارية: 27

علي آزون: 60
علي البدوي: 123
علي بك: 30، 31، 36
علي بك الغزاوي: 33
علي بك الكبير: 25، 26، 27، 29، 31، 34، 35، 66
علي بن أبي طالب: 42
علي بن أحمد: 107
علي بن سلامة المهدي: 105
علي بن شعيب: 87
علي بن عبد الواحد: 107
علي بن عبد الله: 107
علي بن محمد: 92
علي بن محمد الزعتري: 73
علي بن محمد المقداد: 105
علي بن معمر: 91
علي بن يوسف: 71
علي التيطواني: 130
علي الزعتري: 40
علي الشبرماسي: 73
علي الشمولي: 75
علي الفرجاني: 86
علي المياسي: 87
عمر العيني (سيدي): 148
عمر مكرم: 41
عمرو بن العاص: 107
عودة بن يكون: 147، 148
العياشي: 128
عيسى (سيدي): 128

"غ"

الغازي: 71
الغزالي: 72

"ف"

فاطمة الزهراء: 42، 97
فتح الله خير: 87، 88
الفكهاني: 123
الفكون: 104
فولني: 37
الفيروز أبادي: 82
فيصل بن تركي: 51
فيصل بن سعود: 54
فيصل بن عبد الله: 60

"ق"

قاسم بك: 25
قاسم عواظ بك: 25
قانصو بك: 28
قتادة (الشريف): 42
القاضي: 77
القرطبي: 77
القشيري: 77
القليوبي: 90
القنيدي شاوش: 149
قطاس بك: 28

"ك"

كاترين: 31
الكرماني: 135
الكلاعي: 77
كوجك محمد: 26

"ل"
الليدي ستينهوب: 66
"م"
المازري: 77
مالك (الامام): 70، 75، 98
مانع المريدي: 48، 49
المتبولي: 93
المتوكل: 22، 58
المحجوب: 47
محمد أبو الذهب: 25، 26، 31، 32، 34، 35، 36، 96، 97
محمد أسعد طلس: 132
محمد أكرم: 132
محمد أمراد: 87
محمد باشا الشريف: 23
محمد باشا محطم العبيد: 24، 34
محمد بك: 40
محمد بك جورجا: 28
محمد بك الصغير: 28
محمد بن إبراهيم: 81
محمد بن إبراهيم الحلبي: 91
محمد بن ابراهيم الخياطي: 81
محمد بن أبي بكر: 89
محمد بن احمد الابان: 147
محمد بن الحاج: 85، 86
محمد بن حسن اليوسي: 105، 106
محمد بن حمد (خرفاش): 53
محمد بن دهام: 53
محمد بن زيان: 85
محمد بن سعود: 21، 49، 50، 51، 54، 55، 56، 57، 58، 67
محمد بن سعيد المراكشي: 71
محمد بن سليمان: 75، 96، 98
محمد بن سويلم: 54
محمد بن عامر: 58
محمد بن عبد السلام بناني: 76
محمد بن عبد العزيز: 57، 68
محمد بن عبد العزيز الرسموك: 73
محمد بن عبد الفتوح: 69
محمد بن عبد القادر (الحاج): 107
محمد بن عبد الله: 50، 51
محمد بن عبد المجيد: 80
محمد بن عبد الوهاب: 21، 43، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 57، 58، 67
محمد بن علاء الدين الملالي: 75
محمد بن علي الشبرميسي: 118
محمد بن عيسى: 85
محمد بن الفارض: 93
محمد بن الفضل الهندي: 100
محمد بن القيم الجوزية: 53
محمد بن محمد: 66، 78، 150
محمد بن محمد بن مقرن: 62
محمد بن محمد بن ناصر: 765
محمد بن محمد الصغير: 129، 148
محمد بن مقرن: 49
محمد بن مقيل: 75
محمد بن ناصر: 49، 70، 71، 72، 74، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 87، 104، 110

محمد تاج الدين: 96، 97، 134
محمد جخيعان: 103
محمد جفيرة: 89
محمد الحطاب: 73، 74
محمد حياة السندي: 52
محمد راقم: 31
محمد السادات: 40
محمد السعيد: 85
محمد الشربيني: 90، 117
محمد الصالح الشرقي: 76
محمد صبري: 116
محمد الصغير: 146
محمد الطيب القادري: 77
محمد علي: 22، 42، 50، 59، 60، 61، 63، 66، 67
محمد عمار: 87
محمد العيد بلحاج: 87
محمد القرّافي: 85
محمد المجموعي: 52
محمد المحبي: 71
محمد المنوني: 82
محمد النخلي: 135
محمود الثاني: 59
مديحة احمد درويش: 132
مراد بك: 21، 25، 26، 34، 35، 36، 37، 40، 41، 66
مرزوق الكفافي: 95
مسعود الأبار: 149
مسلم (امام): 70، 82
مشاري بن سعود: 50، 55
مصطفى أفندي: 24
مصطفى باشا النابلسي: 32
مصطفى بن فتح الله الخمود: 97
مصطفى الغازدوغلي: 26
مصطفى كتخدا: 27
المعطي (سيدي): 76
مقرن بن محمد: 49
المقريزي: 91، 94
المنصور: 58
المهدي: 99
موسى بن ربيعة: 49
موسى المصري: 76، 91، 150
موسى المصري القليوبي: 118
ميمونة بنت الحارث: 47
ميمونة الهلالية: 134

"ن"

نابليون: 29، 37، 64، 65، 66
نفيسة: 93
نمي: 36، : 149

"هـ"

هانم: 35
الهشتوكي: 105
همام بن داوس: 43، 48

"و"

وائل بن عبد القيس: 65
وطبان بن ربيعة: 49
الوليد بن عبد الملك: 102

"ي"

ياسف: 39

يحي بزار: 133

يوسف: 76

يوسف بك: 36

يوسف بن إبراهيم: 107

يوسف أبو السادات: 130

اليوسي:71، 82

2– فهرس القبائل والجماعات:

"آ"

آل حميد: 44

آل د رعة: 48

آل زامل: 43

آل سعود: 48، 49، 53، 59

آل معمر: 43، 44

آل يزيد: 49

"أ"

الأتراك: 39، 41، 116

الأتراك الصوفية: 118

الأتراك العثمانيون: 53

الأسرة السعودية: 62

الأسرة النجدية: 43

الأسرة الهاشمية: 42، 145

الأشراف: 44، 89، 91، 92، 132

أشراف الحجاز: 42

أعراب: 124، 130، 132

الأعراب: 47، 117، 127، 129، 145

أعراب البلاد الحجازية: 147

الأعراب المتلصصة: 128

أعراب السباهية: 28

أعراب سوريا: 66

الأغواث: 138، 142، 143، 144، 150

أكابر المدينة: 140

الأمراء المصريين: 35

أمراء مكة: 53

الأمويون: 149

الانجليز: 37، 66

الانكشارية: 26، 27
الأهالي: 20، 39
أهالي مصر: 53
أهالي الاسكندرية: 102
أهل الأحساء: 48
أهل البيت: 103
أهل بلدان نجد: 53
أهل الحجاز: 131
أهل الحرمين الشريفين: 136
أهل الدرعية: 39
أهل سجلماسة: 84
أهل سرت: 103
أهل السودان: 128
أهل االصحراء: 126
أهل فجيج: 107
أهل الكهف: 106
أهل المدينة: 77
أهل نجد: 44، 46
أهل الهند: 48
الأوجاقات: 26
أوجاقات السباهية: 27
الأوربيون: 68
أولاد الحاج عبد الواحد: 103
أولاد حبيب: 57
أولاد رحمان: 106
أولاد علي الحرابة: 89
أولاد علي النوري: 104
الأولياء: 120
أئمة اليمن : 43

"ب"

الباب العالي: 149
بدوي فارس: 65
بربر تونس: 111
البطالين: 142
البرغازون: 127
بكر: 48
البكرية: 120
البكوات: 28
بعض التونسيين: 149
بنو إسرائيل: 94
بنو تميم: 43
بنو حنيفة: 48
بنو خالد: 43، 44
بنو سالم: 124

"ت"

الترك: 48
تغلب: 48
تهامة: 44
التوارق: 93

"ث"

الثقات: 119

"ج"

الجاوشية: 28
جهينة: 124
الجواري: 120

"ح"

الحبابية: 30
الحجازية: 154

الحراميون: 147
حنفية: 142
"خ"
الخصي: 142
الخلافة العثمانية: 153، 154
الخوارج: 104
"د"
دهام بن داوس: 43
الدواسر: 43
الدول الأوربية: 80
الدولة السعودية: 21، 50، 51، 56، 57، 58، 59، 61، 62، 63، 66
الدولة العثمانية:22، 25، 31، 32، 34، 35، 42، 43، 48 ، 50، 56، 59، 60، 61، 66
الدولة المصرية: 122
الدولة النصرانية: 63
الدولة الوهابية: 59
"ذ"
ذو بركات: 42
ذو زيد: 42
ذوعون: 42
"ر"
الربعيون: 48
رجال التصوف: 118
الركب التونسي: 103، 148، 149
الركب الجزائي: 149
الركب الفاسي: 149
الركب المصري: 120
ركب المغرب: 87
الروافض: 99
"ز"
الزيدانية: 133
"س"
السباهية: 39
السعوديين: 42، 4، 46، 48، 59، 60، 61، 62، 63
السلالم: 28
السلطنة العثمانية: 42
"ش"
الشاميون: 97
الشريفيون: 42
الشعب المصري: 30
الشعراء: 137
شمر: 43
شيوخ الطرق: 119
"ص"
الصعاليك: 95
الصفد: 107
الصلحاء: 119
الصوفية: 99، 117، 119
"ط"
الشاذلية (الطريقة): 67
"ع"
العباد: 119
عبد القيس: 64
عبيد الأغواث: 142

العربان: 94، 102، 103
عربان الحبابية: 29
العزبان: 28، 32، 95
عزبان السلالمة: 38
عزبان المتفرقة: 37
العثمانيون: 21، 22، 43، 61، 65، 66
العراقيين: 99
عسير: 77
العلماء: 119
عنزة: 43، 48، 65

"غ"

الغازدوغلية: 21، 28، 34، 66

"ف"

الفاسيين: 93
الفاطميين: 149
الفرس: 62
الفرنسيين: 37
الفقارية: 21، 25، 28، 29، 66
فقهاء المدينة: 118

"ق"

القاسمية: 28، 29، 66، 81
القبائل العدنانية: 48
قحطان: 43
القواسم: 62، 63، 64

"م"

المالكية: 142
المتفرقة: 38
المتلصصة: 102
المجتمع: 123
المجتمع الإسلامي: 44
المجتمع العربي: 24، 120
المسلمين: 33، 44
المشارقة: 31
المشعوذين: 119
مشيخات الخليج: 79
المصرية...: 130، 154
المصريون: 38، 97
مضر: 48
المغاربة...: 71، 91، 95، 115، 122، 150
المماليك: 21، 22، 23، 24، 25، 28، 29، 30، 31، 32، 35، 37، 38، 39، 40
المماليك البحرية: 94
المملكة العربية السعودية: 41، 42، 66
المنشدون: 138
المؤرخين: 123

"ن"

الناصريين: 83
نزار: 48

"هـ"

الهنادي: 28، 30
الهوارة: 28، 30

"و"

الوفائية: 120
الولاة العثمانيون: 29
الوهابيين: 44، 46، 48، 56، 65، 66

3– فهرس الأماكن والبلدان:

"آ"

الآبار السبعة: 89

"أ"

ابن سيدي هلال: 86

أبو ريم: 106

أبو العظام: 107

أبي شعبة: 90

أبي المنجة: 24

أتوات: 94

أجدابيا: 89، 103

أجراميل: 125

أحد: 145

الأحساء: 42، 43، 44، 54، 58، 126، 131

الأحمر: 89

الأحلاق: 89

أرض النبط: 95

أركزو: 107

الأرياف المغربية: 81

الازبكية: 36

الأزهر 46، 50، 65

الأستانة: 39، 114

اسطنبول: 22، 29، 36، 61

الإسكندرية 37، 39، 102، 123، 150

اسلاوبل: 89

إيسنا: 30

أسوان: 47

أسيوط: 30

إسطبل عشرة : 95

الأطلس الكبير 81

اعتن: 149

الأغواط: 85، 106

الافلاج: 131

الأفلاق: 31

الأقصاب: 94

إقليم البحيرة: 30

اكرزو: 107

أكره: 147، 148

أمرزر: 82

الأناضول: 31

الأندلس: 149

أهل الكهف: 113

أوربا: 65، 113

أولاد تايب: 107

أولاد جلال: 85

أولاد رحمان: 106

إيلة: 97

"ب"

بازا: 85، 107

باسيل: 56

البحر الأبيض المتوسط: 31، 113

البحر الاسود: 31

البحر الأحمر: 113

بحر الروم: 94

البحر الصيني: 94

البحر المالح: 93
بحر النيل: 116
البحر الهندي: 94
البحرين 48
البحيرة: 35، 40
بدر: 96
بدر ينبوع: 127
برج سيدي خالد: 83
برقة: 88، 129
البركة: 83
بركة الفيل: 35
بريدة: 57
بريطانيا: 22، 61، 62، 63، 64، 67، 106
بسكرة: 85، 86
بسل: 60
بشار: 85، 86، 107
البصرة : 52
بصرى: 58
البغدان: 31
البقيع: 47، 99، 138، 140
بلاد جهينة: 147
البلاد الحجازية: 135
بلاد الخليج: 62
بلاد الشام: 22، 31، 39
بلاد العرب: 31، 59، 106
البلاد العربية: 57
بلاد فارس: 65
البلاد النجدية: 42، 62، 61
البلدان النجدية: 42
بلدان نجد: 46
بلبيس: 40
بليدة الفدا: 46
البليل: 125
بنابة: 90، 117
بندر المويلح: 123
بندر النخيل: 94، 112
البندقانيين: 121
البندقية: 31
بنو مقيل: 106
بولاق: 117
بئر الصعاليك : 130
بئر عروة: 102
بئر العلا: 131
بيشة: 60

"ت"

تاجورا: 86، 87
تافيليا: 90
تافيلالت: 107
التاكوت: 105
تامجروت : 69، 79، 81، 82، 128
تامزارت: 105
تجشمت: 107
تدمر: 65
تربة: 60
ترف: 47
تشفاون: 77
تكرت: 86
تلغمت: 85، 107

توهامة: 58، 60
توات: 128
تورغا: 88
تورغت: 87
توزر : 86، 105، 106
التوميات: 106
تيملي: 89

"ج"

جاوة: 131
جبال مسلاتة: 87
جبل أحد: 99
جبل ألواع: 147
جبل شمر: 57
جبل العميان: 125
الجبل الوعر: 89
الجبيلة: 46
الجحفة: 95
جدة: 32، 47، 48، 60، 114، 124، 131، 145
الجديدة: 89
الجرّان: 107
الجريد: 86
الجزيرة: 126
جزيرة العرب: 31، 48، 49، 112
الجزيرة العربية: 42، 43، 44، 50، 51، 56، 61، 62، 91
الجلفة: 150
الجنوب المغربي 81
جهينة: 146
الجيزة: 36

"ح"

حاسي الطرفة: 107
الحامة: 104، 105
حائل: 51
الحبشة: 113
الحجاز:21، 29، 31، 41، 42، 43، 44، 50،57، 58، 59، 60، 63، 66، 67، 93، 95، 98، 110، 121، 123، 124، 126، 129، 130، 131، 132، 144، 150
الحرم الشريف: 140
الحرمين: 32، 92
الحرمين الشريفين: 42، 130، 139
الحرم المكي: 47
حريملاء: 52
حلب: 69
حماة: 66
حميدة اللحم: 107
الحناكية: 60
حنين: 55، 124
الحوراء: 124

"خ"

خالد سيدي: 85
الخانقاه: 35
الخبراء: 60
خبيب: 47
الخرج: 43، 47
الخليج: 62، 64، 65
الخليج العربي: 63

خليج فارس: 44
خليص: 125، 133، 134
خيموت: 85
"د"
دار الحفيان: 149
الدار الحمراء: 93
دار السلطان: 148
دار المصري 130
دار الوقدة: 95، 133
الدانوب: 30
درب الحرة : 81، 82، 106
درعة: 81، 82، 108
الدرعية: 43، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 54، 55، 56، 57، 61، 63، 64، 110
درنة: 36، 89، 103
دقيوس: 106
الدلاء: 82
الدلتة: 30
دمياط: 114
دمشق: 31، 131
الدهناء: 44، 107
الدواسر: 131
الدوحة: 98
الديسة: 134
"ذ"
ذى طوى: 132
"ر"
الرس: 60
الرشيد: 37
الرملة: 31، 119
الرميلة: 39
روسيا : 31، 91
الرياض: 43، 48
الريان: 50، 51، 57، 58، 107
الريدانية: 22، 30
"ز"
زاكورة: 81
زاوية البركة: 82
زاوية الفتح : 82، 98
زاوية الفضل : 83، 150
الزاوية الناصرية : 69، 79، 83، 99
زايغ: 95، 124
الزبير: 49
الزرايب: 106
زريبة الوادي: 86
الزعفران: 103
"س"
ساحل بحر النيل : 90، 117
ساحل الخليج: 61
سبتة: 129
السبخة الجديدة : 89
سبخة سورغين: 103
السبخة الكبيرة : 86
السبع الوعرات : 147
سجلماسة: 69، 82، 84
سدير: 131
سرّاد: 86
سرت: 104

سرغين: 104
سفطة اللبن: 90
السماني: 89
السند: 65
سهل عابد: 87
السودان: 90
سوريا: 29، 59، 65
السويس: 31، 37، 53، 60، 93، 114
سيناء: 22
"ش"
الشام: 32، 33، 35، 36، 52، 56، 58، 65، 98، 113، 125، 150
شبه الجزيرة: 48
شبه الجزيرة العربية : 22، 41، 62، 66
الشجيرات السبع : 89
الشرق: 31، 65
الشرقية: 30
شرقي التوميات: 107
شعيب: 96
الشفتو: 107
شفيرة: 88
شمال افريقيا: 85
شمر: 113
الشميرة: 88
شنق قلعة: 36
شيكة: 89
"ص"
الصالحية: 32
الصرب: 31
الصعيد : 34، 35
الصمان: 57
صنعاء: 58، 131
صيدا: 31
الصين: 153
"ط"
الطائف : 58، 59، 60، 98، 145
طرة: 36
طرابلس : 73، 86، 90، 100، 103، 104
طفلا: 107
طنطا: 40
طيبة: 103
الطية: 147
"ظ"
الظهران: 98
"ع"
العادلية: 93
العارض: 49، 131
العالم الاسلامي: 131
عجرود: 93، 131
عدوان: 89
العراق: 56، 58، 59، 65
عرفات: 108
العروض: 48
عسفان: 125، 147
عسير: 58، 60
العطشانة: 107
العقبة: 94، 102
عقبة (سيدي): 85، 160

عقبة إيلا: 94
عقبة الشريف: 134، 149
عقبة وادي العقيق : 97
العقيبة: 89
العقيق: 145
عكّا: 30
عمان: 48، 62، 63
عنيزة: 76
العوارض: 48
عيسى (سيدي): 106
عين الأقصاب: 148
عين أنافى: 85
عين غزالة: 89
عين ماضي: 85
العيونية: 85
العيينة : 43، 52، 56

"غ"

غافق: 87
غبراء: 61
الغربية: 30
غزة : 130

"ف"

فارس: 65
فاس : 76، 79، 81، 82، 89
الفاسلون: 85
فجيج: 105
الفدا: 61
الفرس: 58
فرشوط: 30
فرنسا : 22، 34، 62، 64، 65، 67
فلسطين: 29، 106

"ق"

قابس: 86، 104، 105
القاهرة: 21، 22، 24، 25، 27، 28، 29، 30، 31، 34، 35، 37، 40، 90، 91، 102، 113، 114، 116، 117، 119، 120، 123، 150
قبا: 47، 125
القبة: 126
القرافة: 33، 36
القرافة الصغرى: 93
القرافتين: 120
القرز: 107
القرم : 30
قريوية: 46
القسطنطينية: 91
القصيم: 58، 131
قصبة المدار: 89
القصر: 80
قصرأحمر: 87، 90
قصون: 33
قطر: 44، 48
القطيف : 48، 54
القلزم: 33
القلعة: 22، 32، 38، 39
القليوبية: 30
القنادسة: 85، 107
القنفذة: 60

"ك"

الكاف: 102

الكديد: 125

كربلاء: 58

الكدير: 133

الكويت: 44، 51، 63، 131

"ل"

اللد: 31

الليوان الصغير: 33

"م"

مارت: 104

ماوية: 60

المجمعة: 67

مخليف: 85، 89

مدبر: 130

المدروفية: 89

مديروس: 125

المدينة: 42، 59، 60، 78، 95، 98، 99، 100، 101، 124، 127، 128، 131، 135، 139، 145، 147، 150

مدينة الرسول(ص): 52

المدينة المنورة : 60، 73، 75، 76

مرج دابق: 22

مزربا: 89

مزيريب: 58

مسراتة: 88

مسقط: 62

مسلاتة: 86

المسور: 107

المشرق : 69، 71، 77، 80، 81، 85

المشل: 133

مصر: 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 29، 30، 31، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 41، 42، 50، 59، 60، 66، 69، 70، 74، 80، 91، 92، 93، 102، 110، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 123، 130، 150

المعتمر: 88، 98، 107

المعلاة: 47

المغرب: 69، 70، 95، 100، 131، 139

مغيل: 85

مقطع الكبريت: 88

مكة: 42، 53، 58، 59، 60، 75، 91، 92، 96، 97، 100، 120، 124، 127، 131، 134، 136، 145، 150

مليلة: 85

المناكيد: 107

المنوفية: 39

منى: 96، 133

مهند النبط: 128

موسكو: 63

المويلح: 114، 122، 145، 148

"ن"

نابلس: 31

نجد: 21، 22، 42، 43، 48، 49، 50، 51، 53، 57، 58، 59، 60، 61، 63، 66، 67، 126، 132، 145

نفطة: 86

نفزاوة: 105
النمسا: 34
نمط: 124
نهر السند: 63
النيل: 113
"هـ"
الهند: 31، 65، 96، 113ن 114، 131، 135، 136، 149، 150
هولندا: 34
"و"
وادي بطحان: 101، 146
وادي الخريوع: 107
واد درعة: 71
واد الدواسر: 57
وادي سمالوس: 89
واد الشريق: 81، 98
واد الصفراء: 59
وادي الصفصاف: 107
وادي العقيق: 95، 100، 146
وادي غريس: 107
وادي الكبير: 107
وادي مدين: 101
واد المسير: 87
وادي موسى: 89
واد النيل: 35
وزان: 106
وزدر: 104
الوشم: 131
وفاء النيل: 24
وكدو: 107
ولدسن: 107
"ي"
يافا: 31
اليمامة: 48
اليمن: 42، 62، 91، 132، 133، 145
ينبع: 56، 59، 95، 101، 123، 124، 127، 131، 132، 133، 147، 150
ينصوب: 101
اليهودية: 88
يوكس: 85

04- فهرس الآيات القرآنية:

السور والآيات **رقم الصفحة**

«حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ» [سورة الأنعام، الآية 44].....33

«نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [سورة الحشر، الآية 19].....45

«شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ۚ » [سورة الشورى الآية 21].....45

«لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فارْهَبُونِ [سورة النحل الآية 51].....45

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [سورة الأعراف، الآية33].....45

«**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**». [الصافات، الآية 86].....46

«إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ»: [الزخرف، الآية 22].....46

«**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»: [الصافات، الآية 95،96].....46

«وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» [سورة الحج، الآية 25].....47

«وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» [سورة الحج، الآية 26]: 47

«وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» [سورة الرعد الآية 32].....47

«**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» [سورة الصافات الآيات، 180، 181، 182].....107

المحتوى :

عنوان الموضوع : **الصفحة:**

- المقدمة: 07
- **الفصل الأول:**

الأوضاع السياسية في مصر والحجاز إبان القرن 12 هـ/ 18م: 21

- الأوضاع السياسية في مصر: 22
- أوضاع مصر السياسية قبل القرن 12هـ، 18م: 22
- حالة مصر السياسية خلال القرن 12هـ،18م: 25

أ- فتنة إفرنج أحمد 1711/1708م: 26

ب- حركة علي بك الكبير 1768/ 1773م: 29

ج- حكم محمد أبو الذهب 1773/ 1775م: 32

د- عهد إبراهيم بك ومراد بك 1786/1776م: 34

- حملة حسين باشا الجزائرلي 34

هـ- فترة إسماعيل بك 1791/1786 م 35

و- عودة مراد بك وإبراهيم بك 1798/1791 م 36

- مظاهر المقاومة للشعب المصري، انتفاضات الشعب المصري: 38

ب- الأوضاع السياسية في الحجاز وشبه الجزيرة العربية: 41

- قبل القرن 18 ،خضوع الحجاز للسيادة العثمانية.

- حالة نجد والحجاز السياسية أثناء القرن 12هـ: 43
- قبل انتشار حركة محمد بن عبد الوهاب والسعوديين: 43

أ- الحالة السياسية: 43

ب- الحالة الدينية: 44

- ظهور السعوديين والوهابيين ودرهم في توحيد الجزيرة

وإعلان الدولة السعودية: 48

أ- السعوديون: 48

الدور الأول: 46

- الإمارة 1858م/ 1157هـ: 49

- المرحلة الأولى (1157هـ/ 1240هـ)/(1744م/ 1824م): 49
- المرحلة الثانية 1240/ 1319هـ: 50
- المرحلة الثالثة 1319هـ/ 1902م إلى غاية يومنا هذا: 51
- أوضاع الدرعية والحجاز في فترة الدولة السعودية الأولى: 51
(1157-1240هـ)/(1744-1824م).
- نبذة عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1115هـ/ 1208هـ): 51
- نبذة عن الإمام محمد سعود.....54
- مبايعة الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب: 55
- اللقاء بين الشيخ والإمام محمد بن سعود (المبايعة بينهما): 55
- قيام الدولة السعودية الأولى وتوسيعها وموقف الدولة العثمانية منها: 56
- حروب الدولة السعودية الأولى مع بلدان نجد: 57
- توسيع وامتداد الدولة السعودية خارج نجد: 58
- موقف الدولة العثمانية ومحمد علي والي مصر: 59
من توسعات الدولة السعودية الأولى
- الحملة المصرية الأولى بقيادة طوسون بن محمد علي باشا: 59
والي مصر (1226 هـ/1811 م).
- الحملة المصرية الثانية، حملة محمد علي نفسه 1228هـ/ 1811م: 60
- الحملة المصرية الثالثة حملة إبراهيم باشا: 60
- العلاقة الخارجية للدولة السعودية الأولى: 62
أ- العلاقة مع بريطانيا: 62
ب- العلاقة مع فرنسا: 64
- خاتمة الفصل الأول 66
الفصل الثاني (حياة الشيخ الدرعي وعصره):
مقدمة الفصل الثاني:.....69
- نبذة عن حياة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الأغلاني: 69
من حيث مولده وتربيته.
- شيوخه: 70

- أبوه: 70
- أمه: 71
- خلافته في تسيير شؤون الزاوية الناصرية: 72
- تلامذته: 76
- صفاته وأخلاقه: 77
- أعماله وإنجازاته: 80
- دوره في بناء الزوايا والمساجد في تمغروت: 80
- الزاوية الناصرية وموقعها: 80
- موقعها: 81
- دار الكتب الناصرية: 82
ب – تلخيص الرحلة: 84
-خلاصة الفصل الثاني:.....110

الفصل الثالث:

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في مصر والحجاز: 112
من خلال الرحلة (رحلة الدرعي)
1- الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية الثقافية في مصر: 113
أ- مظاهر الحياة الاقتصادية: 113
ب- مظاهر الحياة الاجتماعية الثقافية: 116
2- الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية الثقافية في الحجاز: 123
أ- مظاهر الحياة الاقتصادية: 123
- الزراعة السيحية: 126
- الرعي البدوي: 126
مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية: 131
- خلاصة الفصل الثالث: 150
الخاتمة: 152
- الملاحق: 159

- **الملحق رقم I**
- الملحق **I** رقم 01:
الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي المخطوط رقم1997 المكتبة الوطنية:..... 160
- الملحق **I** رقم 02:
الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي المخطوط رقم 2324 المكتبة الوطنية: 165
- الملحق **I** رقم 03:
الصفحات الأولى والأخيرة من رحلة الدرعي مخطوط دار الكتب الناصرية
طبعة 1320هـ: 169
- الملحق رقم II
- **رقم 01**: دعاء مبارك لأحمد بن ناصر صاحب الرحلة:.....174
- **رقم 02**: الدعاء الناصري للولي الصالح الشيخ محمد بناصر(الأب): 181
- **رقم 03**: توسل للشيخ سيدي محمد بناصر (الأب): 183
- **رقم 04**:سلسلة الطريقة الناصرية: 186
- الملحق رقم III
- **رقم 01** :خريطة مصر: 190
- **رقم 02** :خريطة نجد الحجاز: 191
- **رقم 03** :خريطة لشبه الجزيرة العربية: 192
- **رقم 04** خريطة للوطن العربي: 193
- **رقم 05** :خريطة الدولة العثمانية في أوج اتساعها: 194
- **قائمة المصادر والمراجع** : 196
- الفهارس العامة:
- فهرس الأعلام: 204
-فهرس الجماعات والقبائل: 213
-فهرس الأماكن والبلدان: 217
- فهرس الآيات القرآنية: 225
- فهرس المواضيع: 226